داود القيصري

الرسائل

KAYSERI METROPOLITAN MUNICIPALITY

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الرسائل

لداود القيصري

حققها وقدّم لها

محمد بايراقدار

قيصري – ١٩٩٧

المحتويات

تمهيد ٥

مقدمة ٧

١ـ ترجمة داود القيصري ٧

٢ـ مكانته العلمية وتأثيره ٩

٣ـ مؤلفاته ١١

٤ـ ملاحظات حول التحقيق ١٧

الرسائل

١ـ *المقدمات* ٢٣

٢ـ *كشف الحجاب عن كلام رب الأرباب* ٨٩

٣ ـ *رسالة في علم التصوف* ١٠٥

٤ـ *رسالة في معرفة المحبة الحقيقية* ١٣٥

٥ـ *أساس الوحدانية ومبنى الفردانية* ١٤٧

٦ـ *نهاية البيان في دراية الزمان* ١٦٣

٧ـ *تحقيق ماء الحياة في كشف اسرار الظلمات* ١٧٩

٨ـ *شرح تأويلات البسملة بالصورة النوعية الإنسانية* ١٩٣

الفهارس

١ـ الفهرس العام ٢٠٣

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

تمهيد

الحمد للّه الذي جعل صحيفة عالم الإمكان مرآة لمشاهدة ربوبيته وصير نشأة نوع الانسان مشكاة لمطالعة أنوار الوهيته.

والصلاة والسلام على أكمل نوع البشرية وأفضل النفوس النبوية محمد موائد المواهب الربانية ومنبع رحيق الفيض السبحانية وآله وأصحابه أجمعين الطاهرين والطيبين.

وبعد:

هذه طائفة من رسائل القيصري الصوفية ننشرها باستثناء أربعة منها لأول مرة، وتتناول جوانب بالغة الأهمية في تاريخ الفكر الصوفي بخاصة والفكر الإسلامي بعامة وتكشف عن ألوان من الفكر الصوفي والفلسفي عند المسلمين متنوعة.

إن تحقيق ونشر النصوص التي خلفوها لنا مفكرونا المتقدمون أمر في غاية الأهمية، لأن لا تكون دراسة تاريخ التفكر الإسلامي مجيدة حقاً ومفيدة فعلا إلاّ إذا اعتمد مباشرة على نصوصهم وآثارهم. انهم كتبوا كثيراً ولكن نشر القليل حتى الآن، مع أن كانت قد بدأت منذ مدة طويلة حركة قوية في العالم الإسلامي لنشر ما كان مجهولاً أو دفيناً من تراثنا الإسلامي والصوفي.

ولما داود القيصري من اهم المفكرين في العالم الاسلامي فقد أستحق الإهتمام الكبير في نشر مآثره. وفعلاً قام نجم الدولة ميرزا عباس بنشر أهم مؤلفه وهو الكتاب «**مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم**» وذلك عام ١٢٩٩هـ. (١٨٨١م) في طهران. وبعد سنة نشر ميرزا محمد شيرازي نفس الكتاب وذلك عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) في بومباي بالهند. طبعتهما، طبع على الحجر، بدون تحقيق ولا تعليق. وقد تبين لنا بعد الفحص الدقيق ان هاتين طبعتين حافلتان بالأخطاء.

وحديثاً، بعد أن شرح سيد جلال الدين آشتياني مقدمة الكتاب المشار اليه بالفارسية بعنوان : «**شرح مقدمة قيصري بر فصوص الحكم**» في سنة ١٣٨٥هـ . ش (١٩٦٦) في مشهد والطبعة الثانية في طهران ١٣٧٠هـ.ش (١٩٩١م)، و نشر ثلاث رسائل من تألفات داود القيصري تحت العنوان ؛ «التوحيد والنبوة والولاية: رسائل قيصري» وذلك عام ١٣٩٦ هـ.ش (١٩٧٦) في مشهد أيضاً. ونشرة الرسائل الثلاثة تحوي مع الأسف أخطاء وبالإضافة الى هذا كل من نصوصها ناقص إما في البداية أو في الوسط وفي الحقيقة فان هذه الطبعة ليست بتحقيق.

وسبق ان نشرنا رسالة لقيصري بعنوان «رسالة في علم التصوف» في **مجلة كلية الإلهيات** في انقرة (جـ ٣٠، ص. ٢١٥- ١٧١، ١٩٨٨). هذه الرسالة وهي احدى الرسائل الثلاثة التي نشرها آشتياني التي سبقت ذكرها آنفاً المسماة بـ « رسائل قيصري» ونشرتي تحوى أيضاً أخطاء مطبعية اذ انني كنت غائباً عن انقرة حين اصدارها فلم اجد فرصة لتصحيحها. ومن هنا رأيت من الضرورة إعادة تحقيق الرسائل التي قد نشرت نصوصها من جديد اضافة الى ذلك أردت أن أضم إليها اربع رسائل أخرى، والتي لم تنشر حتى الآن.

وقد قدمت لنشرة هذه الرسائل الثمانية بمقدمة تكلمت فيها عن سيرة داود القيصري ومصنفاته وختمتها بفصل بينت فيه منهجي الذي سلكته تحقيقها ووصفت فيه المخطوطات التي اعتمدت عليها في نشرتها.

ولا تفوتني أن اشكر صديقي الدكتور سليمان بايباره بكلية الإلهيات بجامعة أنقرة على المجهوداته المخلصة من تصحيحات وضرب على الآلة الكاتبة. وأيضاً احب ان اقدم عميق الشكر الى رئيس بلدية قيصري الدكتور شكري قراتبة والدكتور محمود ارول قليج على ما بذلوه من عناية فائقة وجهد كبير في اخراج هذا الكتاب.

واخيراً أسأل اللّه تعالى أن يقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

الدكتور محمد بايرقدار

أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة أنقرة

انقرة في أغسطس ١٩٩٦

مقدمة

١ـ ترجمة داود القيصري

سنحاول هنا مع قلة ما لدينا من المصادر والمراجع ان نقوم بوضع صورة واضحة، قدر الإمكان، عن حياة مفكرنا داود القيصري(١).

هو داود بن محمود بن محمد الرومي القيصري. أجمع الذين ترجموا للقيصري على إسمه هذا، كما أجمعوا على أنه ينعت ويلقب بـ « شرف الدين » وبـ « القيصري » نسبة الى مدينة قيصرية بالأناضول التي ولد فيها. وتضاف أحياناً نسب أخرى الى هذه النسبة: « القرماني » و « الساوي » مثالاً، وأيضاً إتفق المترجمون والمتقدمون والمتأخرون لداود القيصري على أنه التركي أصلاً والحنفي مذهباً.

لا نعرف شيئاً عن والديه ولا عن أسرته. ونجد بعض الناسخين لكتبه يذكرون عند ذكر إسمه أنه القيصري مولداً والساوي محتداً؛ فمن هنا نقول بان نسبه يرجع الى مدينة ساوى بأزربيجان. فاذاً قد هاجر جده أو عائلته من هناك الى قيصرية.

ولد القيصري في قيصرية، مدينة من أمهات المدن في وسط الأناضول؛ وعلى هذه نقطة تتفق الكثرة الكثيرة من أصحاب كتب التراجم سوى بروكلمان وسرلين. وهما يقولان بانه ولد في مدينة قرمان ولكن ليس لديهما دليل او شاهرعلى هذا. ولا يذكر أحد من المترجمين تاريخ مولده. ومع ذلك من الممكن انه نعينه بالتقريب:

تذكر بعض المصادر التاريخية أن قد تتلمذ القيصري على العالم المشهور سراج الدين الأرموي(٢). وهذا قد كان ممكناً من الناحية التاريخية. لاننا نعرف بانه كان قاضياً ومدرساً في قيصرية قبل سنة ٦٧١ (١٢٧٢) حين عين كقاضي القضاة في مدينة قونية، عاصمة الدولة السلاجقية الأناضولية. إذاً يلزم ان يكون القيصري تلميذه قبل التاريخ المذكور. لكي أن يكون تلميذاً في اثناء هذا التاريخ يلزم له ان يكون في اثنا أو خمس عشرة عمراً على الأقل. ومن هنا نفرض أنه ولد تقريباً فيما وبين عام ٦٥٦ـ ٦٦٠ (١٢٥٨/٢٦١).

اجمع كل المصادر والمراجع على انه نشأ في بلاده قيصرية (٣) وبدأ في تحصيل العلوم الدينية والعقلية في مدارسها. وما وصل إلينا شيء من تفصيل تحصيله الاول،

إلاّ انه قد تتلمذ على سراج الدين الأرموي (٥٩٤- ٦٨٢/ ١١٩٨- ١٢٨٣)، كما ذكرنا آنفاً.

وبعد إتمام تحصيله في قيصرية ذهب القيصري الى مصر للإختصاص في العلوم الدينية وأقام في القاهرة لمدة ثلاث أو اربع سنوات مشتغلاً بالدراسة و البحث. ومن هناك رجع الى الأناضول بفوز عظيم. تتفق جميع المصادر على هذا الموضوع. ولكن لم تتعرض لشئ من تفصيل رحلته العلمية هذه: متى رحل الى القاهرة؟ وممن أخذ العلم؟ وما قرأ؟ ومتى عاد الى بلاده؟ ولم نعثر على أجوبة لهذه الأسئلة. وهذا هو الطور الاول لحياته والذي نشأ فيه كعالم بالعلوم الدينية والعقلية.

ثم التقى داود القيصري المتصوف المشهور عبد الرزاق بن كمال الدين ابي الغنائم القاشاني (ت. ٧٣٠/١٣٢٩) وبعنايته سلك الى علم التصوف، كما ذكر القيصري نفسه(١). وهذه هي المعلومات الوحيدة التي تركها لنا عن نفسه. وايضاً لا نعرف شيئاً عن تفصيل هذا اللقاء. ومع ذلك نفرض انه قد وقع في مدينة ساوى؛ لإننا نعلم أن كان قد سافر القيصري الى ساوى، بلاد جده، وأقام فيها لمدة(٢).

بعض المصادر التاريخية تذكر انه قد كان تلميذاً عند العالم والمتصوف المشهور صدرالدين القونوي (٦٠٥ - ٦٧٣/ ١٢٠٧ - ١٢٧٤) وأخذ عنه علم التصوف(٣)؛ هذا ليس ممكنا تاريخياً. لان لم يذكر داود القيصري نفسه شيئاً عن هذا ولم يثبت انه وجد بمدينة قونية قبل وفات القونوي أو ان القونوي وجد بمدينة قيصرية. وثانياً داود القيصري قد سلك الى سبيل التصوف بالقاشاني خلال اقامته في ساوى، كما ذكرنا من قبل.

ونرى داود القيصري كمتصوف على عقب عودته من ساوى الى الأناضول؛ ودخل الى الحركة العلمية بالفعل عن طريق تأليف رسائل خاصة من جهة وعن طريق شرح للكتب المشهورة لبعض المتصوفين كمحي الدين ابن العربي وابن الفارض والقاشاني من جهة أخرى. هذا هو ا لطور الثاني لحياته.

وأما الطور الثالث فيتشكل حياته في التدرسية. لما فتح السلطان العثماني الثاني اورخان غازي مدينة ازنيق من الدولة البيزنطية في سنة ٧٣١ (١٣٣١) بنى فيها مدرسة وهي أول المدارس العثمانية والتي قد سميت « مدرسة ازنيق » واستدعى

السلطان القيصري الى ازنيق وعينه كمدير ومدرس بثلاثين أقجة يومياً(١). وذلك حولي سنة ١٣٣٦/ ١٣٣٧. وبقي القيصري فيها مديراً ومدرساً لمدة خمسة عشر سنة تقريباً حتى وفاته.

اجمعت المصادر القديمة على أنه مات في سنة ٧٥١/ ١٣٥٠ في ازنيق. ولكن بعض المراجع المعاصرة ثانوية الأهمية تشير الى تاريخ وفاته غير هذا: فهناك من قال بوفاته سنة ٧٤٥(٢) وهناك من قال بوفاته سنة ٨٠٠(٣) أو ٩٥١(٤) ودفن في ما يسمى اليوم بحي « شناردیبي » في ازنيق، مقابل مسجد جاندارلي خيرالدين باشا.(١)

عاش داود القيصري في الربع الأخير من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن للهجرة. إن هذا العصر كان عصر الإضطرابات من الناحية السياسية ففيه إستعمر الإيلخانيون الدولة السلاجقية الأناضولية. ولذلك النظام السياسي والأقتصادي انتقل الى ايديهم. وفسدت وحدة سياسية وإجتماعية الأتراك. فظهرت دول مختلفة مستقلة عن الحكومة المركزية في قونية: وهي سميت بـ « إمارات الأناضول ». وقامت الحرب الداخلية والخارجية. فولدت كثيراً من القلق والإضطرابات. ونتيجةً بدأ ركود كبير في الحركة العلمية في الأناضول.

ومع هذا الضعف الشديد في الحياة السياسية والعلمية في هذا العصر، فقد ظهر بعض المفكرين والعلماء الذين يعتبرون امتداداً لعصر الموسوعات السابق، منهم يونس أمره، وحاجي بكطاش ولي، وسلطان ولد، وشيخ أدب عالي، وكيكلي بابا، عاشق باشا، وعلاء الدين أسود (قره خواجه) وتاج الدين كردوي (أوكردي)، وأخي أورن ... الخ.

٢ـ مكانته العلمية وتأثيره:

بعد أنا استعرضنا حياة داود القيصري على قدر الإمكان، بقي علينا ان نعرض لمكانته العلمية وتأثيره على المفكرين المسلمين الذين جاءوا بعده.

نقرأ في المصادر التي بين أيدينا ان داود القيصري تفقه في العلوم العقلية والدينية

على أئمة العلماء في عصره وأنه برع في أكثر من فن؛ وصار إماماً في هذه العلوم ومتفرداً بها ومصنفاً في جميع انواعها ومتبحراً في دقيقها وجليلها.

بلاشك انه عالم كبير ومتصوف كامل وفيلسوف مدقق. وهو من أوائل كبار المفكرين العثمانين على الإطلاق في القرون الوسطى. وكانت دراسته الفلسفية و التصوفية دراسة عميقة ولم تكن دراسة سطحية. وله صيت عظيم وشهرة وافية. وبلغت شهرته الأفاق في اثناء حياته، والتي ما زالت حتى الى يومنا هذا.

يرجع الفضل الى داود القيصري ـ بغير منازع ـ في ارساء التطور الفلسفي لمذهب وحدة الوجود(١) ويعتبر من أفضل من عرض هذا المذهب متميزاً من بقية شرحه بشكل واضح. ولاشك في أن شرح القيصري لفصوص الحكم يعد الينبوع الثاني بعد فصوص الحكم نفسها لكل المتصوفين بعده والذين كتبوا عليه شروحاً وحواشياً وتعلقات. وهو بين أهل هذا المذهب كالباقلاني والغزالي بين الاشعرية.

إذا كانت مصادر التراجم لم تؤد إلينا ترجمة شفاية للقيصري فإنها لم تبخل علينا ببعض ما هو أهله من عبارات الثناء والتقدير، على ان التقدير الحقيقي لمكانته لا تعرف من هذه المصادر بقدر ما تعرف من تأثيره على من جاء بعده من المتصوفين والفلاسفة وغيرهم.

وقد ذكرنا من قبل أن شهرة وتأثير القيصري قد ظهر عندما كان على قيد الحياة، حيث نرى الشيخ على ركن الدين الشرازي (ت.٧٤٤/١٣٤٤)، لما كتب شرحه للفصوص بالفارسية اعتمد على كتاب «مطلع» وذلك في صراي عاصمة دولة آلتون أوردو(١) واستفاد الكثيرون من مفكري الأتراك والعجم والعرب من داود القيصري كثيراً؛ وانهم قد اقتبسوا فصولاً طويلة من مؤلفاته في كتبهم ونقلوا عنه كثير أقوال وآراء وعلقوا عليها اهمية كبيرة.

ويأتي على رأس هؤلاء المفكرين: شيخ علي يآر الشيرازي، وملا فناري، وشيخ بدر الدين السيماوي، وبالي افندي، والبوسنوي، وإسماعيل حقي البورسوي.. الخ من الأتراك؛ وحيدار بن علي العلوي الأملي، وملا صدر الدين الشيرازي، وميرداماد، وملا دماوردي، وعلامه امين، وحاجي ملا هادي سبزواري، ومحقق لاهيجي، وآقا محمد رضاء قمشه اي، وجامي... الخ من العجم؛ عبد الغني

النابلسي، وبهاء الدين العاملي، وشمس الدين محمد بن نصر السجزي، والشيخ أمر عبد القادر الجزائري.. الخ من العرب.

ولا يزال تأثير داود القيصري على المفكرين المسلمين مستمراً الى يومنا هذا. فعلى سبيل المثال لنذكر بعض الاسماء: كما ان المدرس أحمد عاصم باك قد درس كتاب «مطلع» اثناء تدرسه الخاصة في التصوف على ازميرلي اسماعيل حقي (١٨٦٩ - ١٩٤٦) وبعض تلاميذه آخر(١) وكذلك آية الله محمد علي شاه آبادي (ت.١٩٥٠) درس نفس الكتاب على أمام الخميني كل أحد وجمعة وايام العطل، وهو كان تلميذاً عليه في مدينة قم(٢).

٣ـ مؤلفاته:

فاذا نظرنا الى عناوين الكتب التي نسبتها المصادر والفهارس الى داود القيصري نرى أنه قد ألف كتباً في مختلف العلوم الدينية والعقلية يبلغ عددها الثلاثين مصنفاً بالتقريب. ولكن في الحقيقة ليس له مثل هذا العدد من المؤلفات لان نسبة بعضها اليه غير صحيحة وبعضها تسمى بأسماء مختلفة في المصادر والفهارس وكانوا بعض الناسخون قد نسخوا كل من المقدمات لشروحه رسالة مستقلة بعناوين مختلفة، وبالأضافة الى هذا نسبة بعضها مشكوكة. فاذاً نقسم المؤلفات المنسوبة اليه الى ثلاث أقسام: المؤلفات الموثوقة، والمؤلفات المشكوكة، والمؤلفات المنسوبة.

أ ـ المؤلفات الموثوقة:

ليس هنا بشك ولا اختلاف في نسب هذه المؤلفات الى داود القيصري، وعندنا عدة أمور وشواهد قطعية: قبل شئ يذكرها القيصري نفسه بعضها في بعض اسماً وثانياً اتفقت المصادر القديمة والحديثة جميعاً على نسبتها اليه. وهي:

١ـ مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم:

وهو شرح لفصوص الحكم لمحي الدين ا بن العربي. هذا الكتاب يتشكل من قسمين: الاول وهي مقدمة التي سماها داود القيصري نفسه «المقدمات» والثاني وهو قسم الشرح. هذا الكتاب كان اول ما صنف داود القيصري.

لا نعرف تاريخ تأليف هذا الكتاب بالضبط. ومع ذلك هذا وقع في سنة فيما بين ٧٢٨ ـ ٧٣٦ (١٣٢٧ ـ ١٣٣٥) لان اهداه القيصري الى غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله (ت. ١٣٣٥) والذي كان وزير الإيلخانين حول هذه السنوات، وربما وقعت حوالي سنة ١٣٢٩/ ١٣٣٠ لان نعرف أنه قد ألف رسائل أخرى قبل سنة ١٣٣٥. ونعرف ايضاً انه لم يؤلف كتاب **مطلع** كله دفعة واحدة، قد كتب قسم المقدمة أولاً وقسم الشرح ثانياً بعد مدة زمانية قصيرة حين كتب فيها رسالة أخرى: «كشف الحجاب عن كلام رب الأرباب»، لان لمح القيصري في قسم الشرح الى هذه الرسالة وايضاً لمح في الرسالة المذكورة الى قسم المقدمة.

ولان كانت بعض المصادر ذكر ان القيصري قد كتب شرحين مستقلين **لفصوص الحكم**، كبير وصغير(١) لكن هذا غير صحيح بل له شرح واحد فقط. وربما ما يسمى بالشرح الكبير وهو «**مطلع**» مع قسم المقدمة وبالشرح الصغير وهو «**مطلع**» بدون المقدمة.

الناسخون للمقدمات قد نسخوها بهذه العناوين المختلفة:

رسالة في وحدة الوجود (مكتبة برتو باشا، رقم ٢٥٦)،

قواعد و أصول في التصوف (المكتبة النور عثمانية، رقم / ٢٤٥٨)،

رسالة في جهود الغيب والغين (مكتبة حكيم اوغلي، رقم ٩٣٩/١٢)،

رسالة وصف الوجود (المكتبة السليمانية، رقم ٢٥٦).

كتاب **مطلع** مع المقدمات يحتل مكانة ممتازة بين مؤلفات القيصري من جهة وبين جميع الشروح للفصوص من جهة أخرى. ومن هنا كان الاحتفال له وكثرة الدراسات التي تناولته. هذه هي الدراسات على هذا الكتاب:

١ـ شيخ يآر علي بن زين الدين السيوايوش (ت. ١٤١١/٨١٤) كتب حاشية على الكتاب بالفارسية.(١)

٢ـ شيخ بدرالدين السيماوي (١٣٦٨ ـ ١٤٢٠): كتب حاشية على هذا الكتاب بالعربية(٢) خليل إينالجق يقول: كتب شيخ بدر الدين شرحاً للفصوص(٣)؛ بل هذا غير صحيح.

٣ـ آقا محمد رضاء قمشه اي: تعاليق بالفارسية، طهران، ١٣١٥

٤ـ آقا ميرزا أبو الحسن جلوهء اصفاني: تعاليق بالفارسية، طهران ١٣١٣

٥ـ آقا شيخ محمد حسين فاضل توني: تعاليق بالفارسية.

٦ـ فخر العلماء كردستاني: شرح بالفارسية، مشهد، ١٣٦٠.

٧ـ آقا ميرزا هاشم اشكوري: تعاليق بالفارسية.

٨ـ آقا شيخ غلامعلى شيرازي: تعاليق بالفارسية.

٩ـ آقا ميرزا محمود قمي: تعاليق بالفارسية.

١٠ ــ الامام الخميني: تعلقات على شرح فصوص الحكم، ١٤٠٦ (الطبعة الثانية ١٤١٠)

١١ـ سيد جلال الدين آشتياني: شرح بالفارسية، مشهد، ١٣٨٥. وحديثاً. ترجم منوچهر صدوقى سها المقدمات الى الفارسية، طهران، ١٣٩٨. وأيضاً ترجم حنري كوربن بعض فصول المقدمات الى الفرنسية.

٢ــ *كشف الحجاب عن كلام رب الأرباب*:

وهي رسالة في صفة كلام اللّه. وأهداها الى غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل اللّه ايضاً. واذا تاريخ تأليفها يقع حولي سنة ١٣٢٩/ ١٣٣٠.

٣ـ *شرح القصيدة التائية*:

هو شرح للقصيدة التائية المسماة بنظم الدر لإبن الفارض. ويتشكلُ من قسمين: القسم الأول، وهو مقدمة يبحث فيها القيصري عن أس علم ا لتصوف. والقسم الثاني، وهو قسم الشرح. وأهداه الى وزير ولكن لم يذكره اسماً. وربما هذا الوزير هو ايضاً غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل اللّه، لانه يصف هذا الوزير قائلاً «.... غيثا الملة والحق والدين...» ومن هنا نقول بان تاريخ تالفيه يقع حوالي سنة ١٣٣٠/ ١٣٣٠.

وكان الناسخون قد فصلوا قسم المقدمة عن قسم الشرح ونسخوا المقدمة كأنها رسالة مستقلة بعناوين مختلفة فيما يلي:

رسالة في علم التصوف (مكتبة ايا صوفيا، رقم ١٨٩٨/٨)،

رسالة في بيان أسرار التوحيد وانواعه (مكتبة حافد أفندي، رقم ٤٥٢/٥)،

رسالة التوحيد (مكتبة ازميرلي، رقم ٣٦٩٢/٣، خزائن كتب الأوقاف بالبغداد، رقم ٣٣٤٨/١٤،

رسالة مراتب التوحيد (مكتبة دنزليلي، رقم ٤٠٤/٤)،

شرح نظم السلوك (مكتبة فيانا، رقم ٤٧٣)،

الشجرة اليقين في علم التصوف (مكتبة جامعة استانبول، رقم ١٥١)، التوحيد والنبوة والولاية (في نشرة آشتيائي).

٤ـ شرح القصيدة الميمية:

هو شرح للقصيدة الميمية المسماة بالخمرية لإبن الفارض ايضاً. ويتشكل من قسمين: قسم المقدمة وقسم الشرح. يقول القيصري بانه قد ألفه بعد شرح القصيدة التائية. اذاً تاريخ تأليف هذا الشرح يقع حولي سنة ١٣٣٢/١٣٣١. وأهداه الى أمين الدين عبد الكافي بن عبد الله التبريزي. لا نعرف شيئاً عن هذا الرجل ولكن نفترض انه احد وزراء أو أمراء الإيلخانيين في الاناضول.

٥ـ تحقيق ماء الحياة وكشف أسرار الظلمات:

لهذه الرسالة اسماء مختلفة ايضاً في المصادر والفهارس:

رسالة في أحوال الخضر (المكتبة النور عثمانية، رقم ٢٢٦٣/٢).

رسالة في بيان أحوال الخضر عليه السلام،

رسالة في ماء الحياة،

تحقيق ماء الحياة وكشف أستار الظلمات (بريستين رقم ٧٣/٥).

أهداها القيصري الى القاضي محمود بن محمد بن العزيز لا نعرف شيئاً عن هذا القاضي. وألفها عام ٧٣٢، لأن يقول الناسخ لنسخة خطية منها موجودة في المكتبة النورعثمانية بانه قد نقل هذه نسخة من خط المؤلف والذي في يوم الجمعة في اوسط شهر الصفر ٧٣٢هـ. وقد نقلنا هذه الرسالة من النسخة المذكورة الى اللغة التركية مع

التعاليق(١).

٦ـ أساس الوحدانية ومبنى الفردانية:

هذه الرسالة على صغرها أحدى من أهم مؤلفات القيصري. فانه يبحث فيها عن مفهوم الأحد والواحد والكثرة، وعن الفرق بين الأحد والواحد. أهداها القيصري الى سلطان ولكن لم يذكر اسمه. ونفرض انه السلطان أورخان غازي، السلطان الثاني العثماني. فتاريخ تأليفها يقع بعد عام ١٣٣٥.

٧ـ نهاية البيان في دراية الزمان:

هذه الرسالة ايضاً هي من أهم مؤلفات القيصري. ويبحث فيها عن ماهية الزمان وانواعه. وينقد أرسطو ومن تبعه وأبا بكر البركاة البغدادي على تعريف بالزمان. أهداها الى سلطان ايضاً ولكن لم يذكر اسمه. أظن انه السلطان أورخان غازي ايضاً. لا نعرف تاريخ تأليفها بالضبط. وهذا يقوم أيضاً بعد عام ١٣٣٥.

ولها تذكر المصادر والفهارس هذه التسميات الأخرى:

رسالة في تحقيق الزمان (مكتبة پاتنا رقم٦،٢٦٣٩، ٤٥٤، ٢)

رسالة في الزمان (مكتبة جار اللّه، رقم ٣/ ٢٠٦١؛ بريستين رقم ٥٨٨).

٨ـ شرح تأويلات البسملة بالصورة النوعية الإنسانية:

هو شرح لتأويلات بسم اللّه الرحمن الرحيم في مقدمة لتأويلات القرآن الكريم للقاشاني. لا نعرف شيئاً عن تاريخ تأليف هذا الشرح لاننا لا نجد فيها اشارة الى هذا.

ب ـ المؤلفات المشكوكة:

هي المؤلفات التي نسبت الى داود القيصري في المصادر والفهارس، ولكننا لسنا متأكدين من صحة نسبتها اليه وحتى نجد بعض منها في المكتبات مع الأسف. وهي كما يلي:

١ـ *شرح كتاب عنقاء المغرب:* انفرد بذكره ماسنيون ونص على وجود نسخة

مخطوطة له في القاهر(١).

٢ـ *رسالة في الإرادة:* انفرد بذكرها دفتر كتبخانهء سليمانية، ١٣١١، ص. ١٨، ن. ٦٤٨.

٣ـ *شرح كتاب الحجاب:* انفرد بذكره ماسنيون ونص على وجودنسخة مخطوطة له في القاهرة(٢).

٤ـ *رسالة المرموزة:* انفرد بذكرها ماسنيون ونص على وجود نسخة مخطوطة لها في المكتبة الهندي بلندن(٣).

٥ ـ *شرح الأسماء الحسنى:* انفرد بذكره دفتر كتبخانهء عاشر افندي، ١٣٠٦، ص. ١٤٦.

٦ـ *شرح رسالة علوم الحديث:* انفرد بذكره الطلسي ونص على وجود نسخة مخطوطة لها في خزائن كتب الأوقاف(١).

٧ـ *مجموعة العلوم:* انفرد بذكرها طوقن ونص على وجود نسخة مخطوطة لها في مكتبة بايزيد تحت الرقم ٢٨٨(٢).

٨ـ *شرح القصيدة الشيخ الأكبر.*

ج ــ المؤلفات المنسوبة:

هي المؤلفات التي نسبت الى داود القيصري في المصادر والفهارس لكنها ليست له حسب ما تبين لدى فحصنا الدقيق لها. وهي:

١ـ *قرة عين الشهود ومرآة عرائس الغيب والوجود:* وهو شرح التائية للبوسنوي (مكتبة راغب باشا، رقم ٧٠٦).

٢ ـ *شرح أصول الحديث:* وهو من مؤلفات داود القرصي

٣ـ *شرح الفرائض:* وهو من مؤلفات محسن القيصري.

٤ـ *شرح الحديث الأربعين:* وهو من مؤلفات صدر الدين القونوي.

٥ـ *شرح عروض الأندلسي:* وهو من مؤلفات محسن القيصري.

٦ـ *شرح المنازل السائرين:* وهو من مؤلفات القاشاني.

٧ـ *كشف وجوه الغر لمعاني نظم الدر:* وهومن مؤلفات القاشاني.

٤ـ ملاحظات حول التحقيق

أ ـ منهجي للتحقيق:

أما عملي في تحقيق نصوص الرسائل فقد كان على النحوي التالي:

لم اتبع في التحقيق طريقة النص المختار ـ باستثناء المقدمات ـ لأن كلاً من النصوص ليس بخط المؤلف. وبعض النسخ الخطية كانت قريبة عن عهد المؤلف ولكن تحوي أخطاء وحذوفاً بحيث لم اجد مسوغاً تجعلني أفضل أحد النصوص على الأخر واتخذه أساساً للنشر، وإنما اتبعت طريقة المقارنة بين النصوص. ورغم صعوبة هذه الطريقة الأخرة إلاّ أنني وجدت ان كلاً من النصوص يصحح بعضه بعضاً. وترتيب النصوص في التحقيق يقوم بحسب التسلسل الزماني لتاريخ تأليفها.

وقد استخدمت كلمة «ناقص» في الهامش للدلالة على حذف الكلمات أو الجملة أو الفقران الطويلة من النص. وانا مسؤول عن إضافة كل الكلمات بين قوسين ( )، اذا رأيت ان إضافتها ضرورية لإستقامة المعنى.

ب ـ وصف المخطوطات

١ـ المقدمات:

هنا ننشر قسم المقدمة لكتاب «مطلع» فقط، والتي سماها القيصري نفسه بـ «المقدمات» كما رأينا. ولذلك نرجح هذه التسمية كعنوان لنشرها من بين سائر التسميات.

يوجد لرسالتنا هذه عدة مخطوطات نعرف منها حتى الآن اكثر من مائة في العالم. واعتمدت في تحقيقها على نسخة خطية ونسختين مطبوعتين.

أ ـ النسخة الخطية: وهي من مخطوطات مكتبة شهيد علي باستانبول، تحت رقم

١٢٤٢، وهي بخط المؤلف، لذلك كان اعتمادي عليها في نسخ المخطوطة والمطبوعة.

ب ـ النسخة المطبوعة الأولى: وهي طبعة نجم الدولة بطهران سنة ١٢٩٩ (١٨٨١) واستعملت نسخة من هذه الطبعة موجودة في مكتبة زهدى بگ باستانبول، تحت رقم ٤٠٨. ورمزنا إليها بالرمز (ز).

ج ـ النسخة المطبوعة الثانية: وهي طبعة ملا محمد شَيرازي ببومباي ١٣٠٠(١٨٨٢). واستعملت نسخة من هذه الطبعة موجودة في مكتبة حسن حسني باستانبول تحت رقم ٦٨٣. ورمزنا اليها بالرمز (ح).

٢ـ *كشف الحجاب عن كلام رب الأرباب*:

ننشر هذه الرسالة لأول مرة اعتماداً على مخطوطتين.

أ ـ مخطوطة أسعد أفندي باستانبول تحت رقم ٩/ ١٦٨٢. والرسالة تقع في ١٧ صفحة من القطع المتوسط، من ص.ب ـ ٧٣ الى ص. ب ـ ٨١، مسطرتها ٢١ سطراً وليس بها تاريخ نسخها ولا اسم الناسخ ويوجد على هوامش بعض الصفحات تصويبات. ورمزنا اليها بالرمز (أ).

ب ـ مخطوطة ولي الدين أفندي باستانبول تحت رقم ٥/ ١٨١٤. الرسالة تقع في ١٣ صفحة من القطع الكبير، من ص. أ ـ ٥٤ الى ص . ب ـ ٥٩، ومسطرتها ٢٢ سطراً بدون التاريخ ولا اسم الناسخ. ورمزنا اليها بالرمز(و).

٣ـ رسالة في علم التصوف:

وهي قسم المقدمة لشرح القصيدة التائية. ننشرها تحت هذا العنوان، اعتماداً على نسخة مطبوعة وثلاث نسخ مخطوطة:

أ ـ النسخة المطبوعة: وهي طبعة سيد جلال الدين آشتياني تحت العنوان: «التوحيد والنبوة والولاية» في «رسائل قيصري» مشهد ١٣٩٦. وهي ناقصة وتحوي أخطاء. رمزنا اليها بالرمز (ج).

ب ـ النسخة المخطوطة الأولى: وهي من مخطوطات مكتبة كوبرولي باستانبول

تحت رقم ١٣٠ المقدمة تقع في ٢٨ صفحة من القطع الكبير، من ص. بـ ١ الى ص. أ ـ ١٥. ومسطرتها ٣٣ سطراً. ورمزنا اليها بالرمز (ك).

ج ـ النسخة المخطوطة الثانية: وهي مخطوطات المكتبة النورعثمانية باستانبول تحت رقم ١/ ٢٥٢١. المقدمة تقع في ٤١ من القطع المتوسط، من ص. بـ أ الى ص. ب ٢١. ومسطرتها ١٨ سطراً. ورمزنا اليها بالرمز (ن).

د ـ النسخة المخطوطة الثالثة: وهي من مخطوطات مكتبة سرز باستانبول تحت رقم ٢٦٠٢. المقدمة تقع في ٢٨ صفحة من القطع الكبير، من ص .ب ـ١ الى ص. ب ـ١١. ومسطرتها ٢٨ سطراً. وهي ناقصة. ورمزنا اليها بالرمز (س).

٤ـ رسالة في معرفة المحبة الحقيقية:

وهي قسم المقدمة لشرح القصيدة الميمية. ننشرها لأول مرة اعتماداً على نسختين خطيتين:

أ ـ النسخة الأولى: وهي من مخطوطات المكتبة السليمانية باستانبول تحت رقم ٢٨/ ١٠٢٨. وتتألف المقدمة من ٧ صفحات من القطع الكبير، من ص.أ ٣٢٢ الى ص.أ ٣٢٥. ومسطرتها ١٩ سطراً. بدون تاريخ ولا اسم الناسخ. وهي ناقصة رمزنا اليها بالرمز (سل).

ب ـ النسخة الثانية: وهي من مخطوطات مكتبة رشيد أفندي باستانبول تحت رقم ٨٢٨. المقدمة تقع ٧ صفحات من القطع الكبير، من ص. ب ـ١٧٩ الى ص. ب ـ ١٨٢. ومسطرتها ٣٥ سطراً. ورمزنا اليها بالرمز (ر).

٥ـ تحقيق ماء الحياة وكشف أسرار الظلمات:

ننشر هذه الرسالة لأول مرة اعتماداً على ثلاث نسخ مخطوطات.

أ ـ مخطوطة نورعثمانية تحت رقم ٢٦٨٧/٢. تقع في ١٨ صفحة من القطع المتوسط، من ص. ب ـ ١٣٩ الى ص. أ ـ ١٤٨. مسطرتها ١٦ سطراً. وهي ناقصة. نقلها الناسخ الذي لم يذكر اسمه في شهر جماد الأخرة سنة ٧٤١ نقلاً من خط المؤلف. ورمزنا اليها بالرمز (ن).

ب ـ مخطوطة برنستين تحت رقم ٥، ٧٣١. تقع في ١٤ صفحة من القطع الكبير. ومسطرتها ٢٩ سطراً ورمزنا اليها بالرمز (ب).

٦ ـ *أساس الوحدانية ومبنى الفردانية*:

عثرنا على نسخة مطبوعة ونسختين خطيتين من هذه الرسالة.

أ ـ النسخة المطبوعة: وهي طبعة سيد جلال الدين آشتياني في كتابه المشار اليه. وهي ناقصة. رمزنا اليها بالرمز (ج).

ب ـ النسخة الخطية الأولى: وهي موجودة في مكتبة ولي الدين أفندي تحت رقم ٣/ ١٠١٤. وتقع في ٩ صفحات من القطع الكبير، من ص. أ ـ ٤٤ الى ص. ب ـ ٤٨. ومسطرتها ٢٢ سطراً. رمزنا اليها بالرمز (و).

ج ـ النسخة الخطية الثانية: وهي موجودة في مكتبة درگاه بقونية تحت رقم ٩/ ٥٠٢٠. وتقع في ٩ صفحات من القطع الصغير، من ص. أ ـ ٥٥ الى ص. ب ـ ٥٩. وهي ناقصة. ورمزنا اليها بالرمز (د).

٧ ـ *نهاية البيان في دراية الزمان*:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة مطبوعة وثلاث مخطوطات.

أ ـ النسخة المطبوعة: وهي طبعة جلال الدين آشتياني في كتابه المشار اليه. وهي ناقصة.

ب ـ مخطوطة أسعد أفندي تحت رقم ٨/ ١٦٨٢. وتتألف من ١٨ صفحة، من ص . ب ـ ٦٥ الى ص. ب ٧٣. ومسطرتها ٢٢ سطراً. ورمزنا اليها بالرمز (أ).

ج ـ مخطوطة ولي الدين أفندي تحت رقم ٤/ ١٨١٤ تتألف من ٩ صفحات، من ص. أ ـ ٤٩ الى ص. أ ـ ٥٣. ومسطرتها ٢٢ سطراً. ورمزنا اليها بالرمز (و).

د ـ مخطوطة بريستين تحت رقم ٥٨٨، تتألف من ١٦ صفحات، من ص ١ الى ص. أ ـ ١ ومسطرتها ٣٥ سطراً. ورمزنا اليها بالرمز (ب)

٨ ـ شرح تأويلات البسملة بالصورة النوعية الإنسانية:

ننشر هذا الشرح لأول مرة اعتماداً على نسختين مخطوطتين:

أ ـ مخطوطة مكتبة فاتح باستانبول تحت رقم ٢/ ١٤١. وتتألف من ٨ صفحات، من ص. ب ـ ٣٢٦ الى ص. أ ـ ٣٣٠. ورمزنا اليها بالرمز (ف).

ب ـ مخطوطة أسعد أفندي تحت رقم ١٦/ ١٦٩٣. وتتألف من ٦ صفحات، من ص. ب ـ ١٩٤ الى ص أ ـ ١٩٧. ومزنا اليها بالرمز(أ).

لحياة داود القيصري ومؤلفاته وعصره أنظر:

Bayrakdar (M.) Kayserili Davûd (Davûdu'l - Kayserî), Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, No 912, Ankara, 1988 .

1- Brockelmann (C.): GAL., 2, 229; Sarton (G.) Introduction to the History of Science, 3, pt 2, 262.

٢ـ خواجه سعيد الدين: *تاج التواريخ*، ج ١، ص. ٢٤٣؛ أحمد جودت باشا: *قصص الأ نبياء*، ص. ٩٩٧

٣ بورسه لي محمد طاهر: *عثمانلي مؤلفلرى*، جـ ١، ص. ٦٧؛ عآشق باشا زاده: *تواريخ آل عثمان*، ص. ٤٣ـ ٤٢؛ محمد ثريا: *سجلى عثمالي*، جـ ح، ص. ٣٢٣؛ شمس الدين سامي: *قاموس الأعلام*، جـ ٣، ص. ٢١١٢.

١ـ انظر مثلاً: *مقدمة لمطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم*.

2- Dorn (B.) Catalogue des Manuscrits et Xylogaphes Orientaux de la Bibliothéque Impérial de St. Pétersbourg, Pétersbourg, 1852, 24

٣ـ خواجه سعد الدين: *تاج التواريخ* جـ ١، ص ٢٤٣؛ أحمد جودت باشا: قصص الانبياء، ص ٩٩٧

١ـ عاشق باشا، ص. ٤٣

٢ـ محمد ثريا، ص. ٣٢٣

3- Dorn (B.):24

٤ـ البغدادي: *هدية العارفين*، استانبول، ١٩٥١ ، جـ ١، ص. ٣٦١.

١ـ بورسه لي: جـ ١، ص. ٦٨

١ـ محمد ضيا: *يگي قاپو مولوي خانسي*، استانبول ١٣٢٩، ص. ١٤و ٤٤

1- Togan (A.Z.V): **Umûmî Türk Tarihine Giriş**, 2. baskı. İstanbul, 1970

1- İzmirli (İ.H.): «Ahmed Âsım Bey», **İslâm-Türk Ansiklopedisi**, 1 1941, 581- 583

٢ ـ امام الخميني: *مصباح الهداية الى الخلافة والولاية*، طهران، ١٣٦٠؛ محمد الوجداني: *سرگزشتاي وزها از زندگی إمام*، طهران، ١٣٦٢، جـ ١، ص ١٤٤ـ ١٤٥.

١ـ بورسه لي: جـ ١، ص. ٦٨

١ـ نسخة خطية لهذه الحاشية موجودة في مكتبة حسين چلبي (بورسه) رقم ٤٥٣

٢ـ محمد شرف الدين: *سيماونه قاضيسي اوغلى شيخ بدر الدين*، ص. ٦٩

3- İnalcık (H.) **The Ottoman Empire**, London, 1973, 189

1- Bayrakdar (M.) **Kayserili Davûd**, 45-72

1- Massignon (L.) **La Passion d'al- Hallâj,** Nouvelle éd., Paris, 1975, 4,42

2- Massignon (L.):42

3- Massignon (L.): 42

١ـ محمد أسعد الطلسي: *الكشاف من مخطوطات خزائن كتب الأوقاف*، البغداد، ١٩٥٣، ص. ٢٨٠

2- Togan (A.Z.V): **Umûmî Türk Tarihine** Giriş, 372

***

المقدمات

المقدمات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عين الاعيان بفيضه[١] الاقدس الاقدم، وقدرها بعلمه في غيب ذاته وتمم، ولطف برش نور التجلي عليها وانعم، واظهرها بمفاتيح خزائن الجود والكرم عن مكامن الغيوب ومقار[٢] العدم، و وهب لكل منها ما قبل استعداده فاكرم، واوجد[٣] منها ما كان ممكناً واحكم لذاته[٤] باظهار ملابس اسمائه في القدم، ودبرها بحكمته فاتقن وابرم، فسبحان الذي تجلى بذاته لذاته فاظهر آدم واستخلفه على مظاهر اسمائه المنعوتة[٥] بالعالم، واجمل فيه جميع الحقائق وابهم ليكون صورة اسمه الجامع العزيز الاكرم وحامل اسرار العليم الاعلم فيدل به عليه فيعلم.

وصلى الله على من هو الاسم الاعظم الناطق بلسان مرتبته «انا سيد ولد آدم»[٦] المبعوث بالرسالة الى خير الامم وعلى آله واصحابه والمصطفين من العرب والعجم الرافعين بانوارهم استار الظلم وعلى وارثيه من الاولياء والكمل السالكين لطريق[٧] الامم، المطلعين بالحق على الاسرار والحكم.

وبعد: يقول العبد الضعيف داود بن محمود بن محمد الرومي القيصري الساوي محتداً انجح الله مقاصده في الدارين، فلما[٨] وفقني الله تعالى وكشف على انوار اسراره ورفع عن عين قلبي[١٠] اكنة استاره وايدني بالتأييد الرباني باعلام رموزه والتوفيق الصمداني باعطاء كنوزه وساقتني الاقدار الى خدمة مولانا الامام العلامة الكامل المكمل وحيد دهره وفريد عصره، فخر العارفين، قرة[١١] عين ذات الموحدين، ونور بصر المحققين، كمال الملة والحق والدين عبد الرزاق بن جمال الدين ابي الغنايم القاشاني، ادام الله على المستفيدين بركة انفاسه وانار بمعارفه قلوب الطالبين وجلاسه. وكان جملة من الاخوان المشتغلين بتحصيل الكمال الطالبين

١- يفيضه: ح، ٢- مقاتر: ز، ٣- اجود: ح، ٤- ساقطة في ح، ٥- المنعوتة: ح، ٦- ابن ماجة: زهد ٣٢، ٧- الطريق: ح ٨- ساقطة في ح، ٩- ساقطة في ح، ١٠- عيني: ح، ١١- ساقطة في ح.

لاسرار حضرة[١] ذي الجمال والجلال، شرعوا في قراءة كتاب **فصوص الحكم** الذي اعطاه النبي للشيخ الكامل المكمل، قطب العارفين وامام الموحدين وقرة عين المحققين وارث الانبياء والمرسلين خاتم الولاية المحمدية كاشف الاسرار الالهية الذي لا يسمح لمثله الدهور والاعصار ولا يأتي بقرينه الفلك الدوار محي الملة والحق والدين رضي الله عنه، وارضاه[٢] وجعل اعلا[٣] جنانه موطنه ومثواه ليخرجه الى الخلق ويبين لهم ما ستر من الحقائق، ويكشف عليهم ما انحجب[٤] من الاسرار والدقائق لانه كاد ان يتجلى الحق بالنور الموجب للظهور[٥] وقرب ان ينكشف لهم ما ستر من الحقائق ويكشف كل مرموز ومستور وحان طلوع شمس الحقيقة من مغربها وبروز عرش الربوبية من مشرقه.

وكان الحق قد اطلعني على معانيه المتساطعة انوارها والهمني بفحاويه المتعالية اسرارها وأراني في سرى من بشرني بمعرفتي هذا الكتاب وخصصني بالعلم به من بين سائر الاصحاب، من غير تأمل سابق فيه او مطالعة واستحصار لمعانيه. عناية من الله الكريم وفضلاً من الرب الرحيم لانه هو المؤيد بنصره من يشاء من عباده والموفق بالظفر على اسرار مبدئه ومعاده. مع تجوال[٦] عقول العقلاء حول فنائه وترجاعهم خاسرين وتطواف فهوم الفضلاء حريم حماه وترددهم خائبين لكونه منزلاً من سمائه تحيط بفلك العقل ولا تحاط ومقاماً ينوط بكل ما يناله الفهم، ولا يناط مشيراً بحقائق. عجزت العقول عن ادراكها وكاشفاً لدقائق وقفت القلوب عن ذرى افلاكها، وحارت اعين ذوي البصائر والابصار في عرايس معانيها المتلألئة من وراء الحجاب، وشخصت ابصار اهل العلم والفهم في محاسن مجاليها المتجلية لأولي الالباب النظم: يحول عقول الخلق حول جنابه، ولم يدركوا من برقه غير لمعة من سرابه.

سنح لي ان اكشف بعض اسراره على طالبيه وارفع القناع عن وجوه عرايس معانيه التي فاضت على قلبه المنور وروحه المطهر من حضرة العليم الخبير الحكيم القديم بالتجلي منه عليه والدنو منه والتدلي اليه امتثالاً لامره وانقياداً لحكمة حيث قال: هذه الرحمة التي وسعتكم فوسعوا ودخولا فيمن قال تعالى فيهم: «ومما رزقناهم ينفقون»[٧] واداء لشكره كما قال: «واما بنعمة ربك فحدث»[٨]

١- حضرت : ح، ٢- اختاره: ح ، ٣- على: ح، ٤- الحجاب: ح، ٥- المظهور: ح، ٦ - تحوال ، ٧- البقرة: ٣، ٨- الضحى : ١١.

فشرعت فيه مستعيناً بالله طالباً الرحمة ان اقيّد بعض ما فتح الله لي فيه وما استفدت من كتب الشيخ وكتب اولاده، رضوان الله عليهم اجمعين، بعبارة واضحة واشارة لايحة من غير ايجاز مخلّ ولا تطويل ممل شارطاً ان لا انزل كلامهم الآعلى قواعده ولا اتعرض في معاقده الاّ باذيال عقائده، بل ابين بحيث يتضح للناظر معنى الكتاب ويعلم ما هو العاطل[١] من الصواب فيحق الحق ويبطل البطل من غير اشارة مني وخطاب مع اعترافي[٢] بالعجز والتقصير واقراري بانه هو العليم الخبير. ولما كان العلم بهذه الأسرار موقوفاً على معرفة قواعد واصول، اتفقت[٣] عليها هذه الطائفة، قدمت لبيانها فصولاً وبينت فيها اصولاً تبتني قاعدة التوحيد عليها وتنتسب هذه الطريقة اليها بحيث يعلم منها اكثر مقاصد[٤] هذا العلم لمن وفقه الله تعالى وانعم عليه بالفهم.

وجعلتها اثنى عشر فصلاً: الاول في الوجود وانه هو الحق. والثاني في اسمائه وصفاته تعالى. والثالث في الأعيان الثابتة والتنبيه على بعض مظاهر[٥] الاسماء في الخارج. والرابع في الجوهر والعرض وما يتبعهما على هذه الطريقة. والخامس في بيان العوالم الكلية والحضرات الخمس الالهية. والسادس فيما يتعلق بالعالم المثالي. والسابع في مراتب الكشف وانواعها اجمالاً. والثامن في ان العالم هو صورة الحقيقة الانسانية بحسب مراتبها. والتاسع في بيان خلافة الحقيقة المحمدية والاقطاب. والعاشر في بيان الروح الأعظم ومراتبه واسمائه في العالم[٦] الانساني. والحادي عشر في عود الروح ومظاهره العلوية والسفلية لله[٧] تعالى. والثاني عشر في النبوة والرسالة والولاية. ووشحتها بغرايب قد من الله علي ولم أر[٨] في كتب الطائفة شيئاً منها ولطائف استنبطها من قواعدهم.

وسميت الكتاب «***مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم***». وجعلته مشرفاً بالقاب المولى المعظم الصدر الأعظم، صاحب ديوان الأمم، دستور الممالك في العالم، مربى ضعفاء[٩] العرب والعجم، سلطان الوزراء واكمل في عصره من الورى[١٠] حاوى[١١] الشيم الملكية، مظهر الصفات الرحمانية، مجمع[١٢] الاخلاق الربانية اللطيف بعباد الله المتخلق باخلاق الله الذي لم يتشرف

١- الباطل:ز ، ٢- اعتراف: ح، ٣- اتفق : ح، ٤- قوعد :ز، ٥- مظادم: ح، ٦- عالم : ح، ٧- إليه:ح، ٨- اكن: ز ، ٩- الضعفاء:ح، ١٠- الوزى: ز. ١١-خاوى:ز، ١٢- بجميع:ح .

مسند الوزارة بمثله في الصدارة ولم يمكن احاطة صفاته بلسان العبارة والاشارة.

شعر:

كملت محاسنه ولو انهدى(١) السنا، للبدر عند تمامه لم يخسف،

وعلى تفنن واصفيه بحسنه(٢)، يفنى الزمان وفيه مالم يوصف،

لو دت نفسه مدحاً فما من فضيلة، تأملت الاجل عنها وقلت.

الصاحب غياث الملة والحق والدين امير محمد بن الصدر(٣) السعيد الشهيد المغفور المرحوم رشيد الدنيا والدين، انار الله تعالى ضريح السلف، وضاعف جلال الخلف واعز انصار دولته واعوان رفعته لازال الحفيظ لجنابه حفيظاً والرقيب المجيب له رقيباً لكونه متجلياً بهذه الأسرار العلية، وحاملاً للانوار السنية، سالكاً طريق الحق، متوجهاً الى مقعد الصدق، مدبراً بظاهره نظام العالم، مشاهداً بباطنه كمال بني آدم.

فاستحق ان يخلد بخلود ذكره ويحمد بمحامد(٤) خلقه وخلقه ان قرن بعنايته الجسيمة التامة والطافه العميمة(٥) العامة ونظر اصحابه المخاديم الكرام وقدوة فضلاء الانام اعزهم الله وحرسهم الى يوم القيام. وكل ناظر فيه بعين الانصاف تاركاً(٦) طريق الجور والاعتساف اذ لايستفيد بهذا النوع من العلم الاّ من تنور باطنه بالفهم وجانب طريق الجدل ونظر بنظر من انصف وعدل وانعزل عن شبهات الوهم الموقع في الخطأ والخلل، وطهّر الباطن عن دنس الاغيار وتوجه الى الله(٧) الواحد القهار، وآمن بان فوق كل ذي علم عليم وعلم قصور العقل عن ادراك أسرار العزيز الحكيم. فان اهل الله انما وجدوا هذه المعاني بالكشف واليقين لا بالظن والتخمين وما ذكره(٨) فيه مما يشبه الدليل والبرهان انما جيء به تنبيهاً للمستعدين من الاخوان، اذ الدليل لايزيد فيه الاخطاء والبرهان لا يوجب عليه الاجفاء(٩) لانه طور لا يصل اليه الاّ من اهتدى ولا يجده عياناً الاّ من زكى نفسه واقتدى. فارجو(١٠) من الله الكريم ان يحفظني على الطريق القويم ويجعل سعي مشكوراً وكلامي مقبولاً واسأل الله العون والتوفيق والعصمة من الخطاء في مقام التحقيق.

١- اهدت: ز ، ٢- لحسنه : ح ، ٣- صدر:ز، ٤- كمحامد:ح ، ٥- العمية:ح ، ٦- تارك:ح، ٧- ساقطة في ح، ٨- ذكر : ح، ٩- الخفاء : ح، ١٠- فأرجوا:ح .

الفصل الاول في الوجود وانه هو الحق

اعلم ان الوجود من حيث هو، هو غير الوجود الخارجي والذهني. اذ كل منهما نوع من انواعه، فهو من حيث هو هو، اي لا بشرط شئ، غير مقيد بالاطلاق والتقييد. ولا هو كلي ولا جزئي ولا عام ولا خاص ولا واحد بالوحدة الزائدة على ذاته ولا كثير؛ بل يلزمه هذه الاشياء بحسب مراتبه ومقاماته المنبه عليها بقوله «رفيع الدرجات ذو العرش»(١) فيصير مطلقاً ومقيداً وكلياً وجزئياً وعاماً وخاصاً و واحداً وكثيراً من غير حصول التغير في ذاته وحقيقته. وليس بجوهر، لانه موجود في الخارج لا في موضوع(٢) او ماهية(٣) لو وجدت لكانت لا في موضوع. والوجود ليس كذلك والاّ يكون كالجواهر المتعينة(٤) المحتاجة الى الوجود الزائد ولوازمه. وليس بعرض، لانه عبارة عما هو موجود في موضوع او ماهية لو وجدت لكانت في موضوع. والوجود ليس موجوداً بمعنى ان له وجوداً زائداً فضلاً عن ان يكون موجوداً في موضوع، بل موجوديته بعينه وذاته لا بأمر اخر يغايره عقلاً او خارجاً. وايضاً لو كان عرضاً لكان قائماً بموضوع موجود قبله بالذات، فيلزم تقدم الشئ على نفسه. وايضاً وجودهما زائد عليهما.

والوجود لا يمكن ان يكون زائداً على نفسه؛ ولانه مأخوذ في تعريفهما لكونه اعم منهما فهو غيرهما. وليس امراً اعتبارياً، كما يقول الظالمون لتحققه في ذاته مع عدم المعتبرين اياه فضلاً عن اعتباراتهم سواء كانت(٥) عقولاً او غيرها(٦) كما قال عليه السلام: «كان الله ولم يكن معه شيء»(٧). وكون الحقيقة بشرط الشركة امراً عقلياً(٨) اعتبارياً لا يوجب ان يكون لا بشرط الشئ؛ كذلك فليس صفة عقلية وجودية بمعنى(٩) ان العدم غير داخل في مفهومه، كالوجوب والامكان للواجب والممكن. وهو اعم الاشياء باعتبار عمومه وانبساطه على الماهيات حتى يعرض مفهوم العدم(١٠) المطلق والمضاف في الذهن عند تصورهما. ولذلك يحكم العقل عليهما(١١) بالامتياز بينهما وامتناع احدهما وامكان الآخر. اذ كل ما(١٢) هو ممكن وجوده ممكن عدمه، وغير ذلك من الاحكام.

١-غافر: ١٠، ٢- موضع: ز، ٣- مهية: ز، ٤- المنعية: ح، ٥-كانوا: ح، ٦- هم: ح، ٧- ذكر البخاري نحوه بدء الخلق ١؛ ابن حنبل/٤٣١، ٨- ساقطة في ح، ٩- ساقطة في ح، ١٠- عدم: ز، ١١- ساقطة في ح، ١٢- بنو: ح.

وهو اظهر من كل شيء تحققاً و(١) انية حتى قيل فيه انه بديهي واخفى من جميع الاشياء ماهية وحقيقة، فصدق فيه ما قال اعلم الخلق به في دعائه «ما عرفناك حق معرفتك» ولا يتحقق شيء في العقل ولا في الخارج الا به. فهو المحيط بجميعها بذاته وقوام الاشياء به لان الوجود لو لم يكن، لم يكن شيء لا في الخارج ولا في العقل فهو مقومها، بل هو عينها اذ هو الذي يتجلى في مراتبه ويظهر بصورها وحقائقها في العلم والعين. فيتسمى بالماهية والاعيان الثابتة كما نبينه في الفصل الثالث ان شاء الله تعالى.

فلا واسطة بينه وبين العدم كما لا واسطة بين الموجود والمعدوم مطلقاً. والماهية الحقيقية واسطة بين وجودها الخاص وعدمها، و المطلقة الاعتبارية لا تحقق لها في نفس الامر والكلام فيما له تحقق فيه. ولا ضد له ولا مثل، لانهما موجودان متخالفان او متساويان. فخالف جميع الحقائق لوجود اضدادها وتحقق امثالها دونه(٢)، فصدق فيه ليس كمثله شئ.

والوجود (٣) من حيث هو، واحد؛ فلا يمكن ان يتحقق في مقابلته وجود اخر. وبه يتحقق الضدان ويتقوم المثلان، بل هو الذي يظهر بصورة الضدين وغيرهما ويلزم منه الجمع بين النقيضين. اذ كل منهما يستلزم سلب(٤) الاخر واختلاف الجهتين انما هو باعتبار العقل. واما في الوجود فتتحد الجهات كلها. فان الظهور والبطون وجميع الصفات الوجودية المتقابلة مستهلكة في عين الوجود(٥) فلا مغايرة الاّ في اعتبار العقل.

والصفات السلبية، مع كونها عائدة الى العدم، ايضاً راجعة الى الوجود(٦) من وجه. فكل من الجهات المتغايرة من حيث وجودها العقلي عين ماهيتها(٧) ولكونهما يجتمعان(٨) في عين الوجود يجتمعان ايضاً في العقل. اذ لولا وجودهما فيه لما اجتمعا، وعدم اجتماعهما في الوجود الخارجي، الذي هو نوع من انواع الوجود المطلق لا ينافي اجتماعهما في الوجود من حيث هو هو. ولا يقبل الانقسام والتجزي اصلاً خارجاً و عقلاً لبساطته. فلا جنس له ولا فصل فلا حد له. ولا يقبل الاشتداد والضعف في ذاته، لانهما لا يتصوران الاّ في الحال القارّ كالسواد والبياض الحالين

١- ف (ز، ٢- ساقطة في ح،٣- الموجود:ز، ٤- سبب:ح، ٥- الوجوه: ح، ٦- الوجوه:ح، ٧- ما فيها: ح، ٨- مجتمعين:ز.

في محلين او الغير(١) القار متوجهاً الى غاية ما من الزيادة او النقصان، كالحركة، ولا الزيادة والنقصان. والشدة والضعف يقع عليه بحسب ظهوره وخفائه في بعض مراتبه كما في القار الذات كالجسم وغير القار الذات كالحركة والزمان؛ وهو خير محض. وكل ماهو خير فهو منه وبه. وقوامه بذاته لذاته. اذ لا يحتاج في تحققه الى أمر خارج عن ذاته. فهو القيوم الثابت بذاته، والمثبت لغيره.

وليس له ابتداء والاّ لكان محتاجا الى علّة موجودة؛ لامكانه حينئذ، ولا له انتهاء والا لكان معروضاً للعدم، فيوصف بضده او يلزم الانقلاب. فهو ازليٌ وابديٌ «فهو الاول والاخر والظاهر والباطن»(٢) لرجوع كل ما ظهر في الشهادة او بطن في الغيب اليه، «وهو بكل شئ عليم» لاحاطته بالاشياء بذاته.

وحصول العلم لكل عالم انما هو بواسطته(٣). فهو اولى بذلك، بل هو الذي يلزمه جميع الكمالات وبه تقوم كل من الصفات كالحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك. فهو الحي العليم المريد القادر السميع البصير بذاته لا بواسطة شئ اخر. اذ به يلحق الاشياء كلها كمالاتها؛ بل هو الذي يظهر(٤) بتجليه وتحوله في صور مختلفة بصور تلك الكمالات. فيصير تابعاً للذوات، لانها ايضاً وجودات خاصة مستهلكة في مرتبة احديته ظاهرة في واحديته. وهو حقيقة واحدة. لاتكثر(٥) فيها وكثرة ظهوراتها وصورها، لايقدح(٦) في وحدة ذاتها وتعينها وامتيازها بذاتها، لا بتعين زائد عليها. اذ ليس في الوجود ما يغايره ليشترك(٧) معه في شئ ويتميز عنه(٨) بشئ وذلك لاينافي ظهورها في مراتبها المتعينة، بل هو اصل جميع التعينات الصفاتية والاسمائية والمظاهر العلمية والعينية ولها واحدة لا تقابل(٩) الكثرة هي اصل الوحدة المقابلة لها وهي عين ذاتها الاحدية الاصلية(١٠) والوحدة الاسمائية المقابلة للكثرة التي هي ظل تلك الوحدة الاصلية الذاتية، ايضاً عينها من وجه كما سنبين ان شاء الله تعالى.

وهو نور محض لانه ظاهر بذاته وهو مظهر لغيره. اذ به يدرك الاشياء كلها، ومنور سموات الغيوب والارواح وارض الاجسام، لانها به توجد وتتحقق. ومنبع جميع الانوار الروحانية والجسمانية. وحقيقته غير معلومة لما سواه. وليست عبارة عن الكون

١- لغير: ح، ٢- الحديد: ٣، ٣- لواسطته: ز، ٤- تظهر: ح، ٥ -تكثير: ح، ٦- تقدح: ح، ٧- يشترك: ح، ٨- ساقطة في ح، ٩- يقابل:ز، ١٠- ساقطة في ح.

ولا عن الحصول والتحقق والثبوت، ان اريد بها المصدر لان كلا منها عرض حينئذ ضرورة؛ وان اريد بها مايراد بلفظ الوجود فلانزاع، كما اراد اهل الله بالكون وجود العالم. وحينئذ لا يكون شئ منها جوهراً ولا عرضاً كما مر؛ ولا معلوماً بحسب حقيقته. وان(١) كان معلوماً بحسب انيّته(٢) والتعريف اللفظي لا بد ان يكون بالاشهر ليفيد العلم. والوجود اشهر من الكون وغيره ضرورة. والوجود العام(٣) المنبسط على الاعيان في العلم(٤) ظل من ظلاله لتقيده بعمومه وكذلك الوجود الذهني والوجود الخارجي ظلان لذلك الظل لتضاعف التقييد، واليه الاشارة بقوله: «ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً»(٥) فهو الواجب الوجود، والحق سبحانه وتعالى الثابت بذاته المثبت لغيره، الموصوف بالاسماء الالهية، المنعوت بالنعوت الربانية، المدعو بلسان الانبياء والاولياء، الهادي خلقه الى ذاته الداعي مظاهره بانبيائه الى عين جمعه ومرتبة الوهيته؛ اخبر: «بلسانهم انه بهويته مع كل شئ وبحقيقته مع كل حي». ونبه ايضاً انه عين الاشياء بقوله: «هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم»(٦) فكونه عين الاشياء بظهوره في ملابس اسمائه وصفاته في عالمي العلم والعين. وكونه غيرها باختفائه في ذاته واستعلائه بصفاته عما يوجب النقض والشين، وتنزهه عن الحصر والتعيين وتقدسه عن سمات الحدوث والتكوين وايجاده للاشياء، واختفاؤه فيها مع اظهاره اياها واعدامه لها في القيمة الكبرى، ظهوره بوحدته. وقهره اياها بازالة تعيناتها وسماتها وجعلها متلاشية كما قال «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»(٧)، «وكل شئ هالك الا وجهه»(٨) وفي الصغرى تحوله من عالم الشهادة الى عالم الغيب او من صورة الى صورة في عالم واحد.

فالماهيات صور كمالاته ومظاهر اسمائه وصفاته، ظهرت اولاً في العلم ثم في العين بحسب حبه اظهار آياته ورفع اعلامه ورایاته، فتكثر بحسب الصور، وهو على وحدته الحقيقية(٩) وكمالاته السرمدية؛ وهو يدرك حقائق الاشياء بما يدرك حقيقة ذاته، لا بأمر آخر، كالعقل الاول وغيره، لان تلك الحقائق ايضاً عين ذاته حقيقة، وان كانت غيرها تعيناً ولا يدركه غيره كما قال: «لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار»(١٠) «ولا يحيطون به علماً»(١١) «وما قدروا الله حق قدره»(١٢)

١- وفي: ز، ٢- انية: ز، ٣- العالم: ح، ٤- العالم: ح، ٥- الفرقان: ٤٥، ٦- الحديد: ٣، ٧- الغافر: ١٦، ٨- القصص: ٨٨، ٩- الحقيقة: ح، ١٠- الانعام: ١٠٣، ١١- طه: ١١٠، ١٢- الانعام.

ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد »(١) نبه عباده تعطفاً منه ورحمته لئلا يضيعوا اعمارهم فيما لايمكن حصوله، واذا علمت ان الوجود هو الحق « وهو معكم اينما كنتم »(٢)، « ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون » (٣)، « وفي انفسكم افلا تبصرون »(٤)، « وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله »(٥). وقوله: « الله نور السموات والارض »(٦)، « والله بكل شيء محيط »(٧) و « كنت سمعه وبصره »(٨) وسر قوله عليه السلام: « لو دليتم بحبل لهبط على الله »(٩) وامثال ذلك من الاسرار المنبهة للتوحيد بلسان الاشارة.

تنبيه للمستبصرين بلسان اهل النظر:

الوجود واجب لذاته. اذ لو كان ممكنا لكان له علة موجودة، فليزم تقدم الشئ على نفسه. لا يقال: الممكن في وجوده لا يحتاج الى علة(١٠) وهو غير موجود عندنا، لكونه اعتبارياً لانا لا نسلم انّ الاعتباري لا يحتاج الى علة. فانه لا يتحقق في العقل الاّ باعتبار المعتبر فهو علته. وايضاً المعتبر لا يتحقق في الخارج الاّ بالوجود اذ عند زوال الوجود عنه مطلقاً لا يكون الاّ عدماً محضاً. فلو كان اعتبارياً لكان جميع ما في الوجود ايضاً اعتبارياً. اذا الماهيات المنفكة عن الوجود امور اعتبارية وهو ظاهر البطلان. وتعقل الشئ نفسه لا يخرجه عن كونه أمراً حقيقياً؛ ولان طبيعة الوجود من حيث هي هي حاصلة للوجود(١١) الخاص الواجبي وهو في الخارج فيلزم ان تكون تلك الطبيعة موجودة فيه لكن لا بوجود زائد عليها. وحينئذٍ ولو كانت ممكنة لكانت محتاجة الى علة ضرورة.

تنبيه آخر

الوجود ليس بجوهر ولا عرض لما مر. وكلٍ ما هو ممكنٍ فهو إما جوهر او عرض؛ ينتج ان الوجود بممكن، فتعين ان يكون واجباً نظراً وايضاً الوجود لاحقيقة له زائدة على نفسه والاّ يكون كباقي الموجودات في تحققه بالوجود، ويتسلسل. وكل ما هو كذلك فهو واجب بذاته لاستحالة انفكاك ذات الشئ عن نفسه.

١- آل عمران: ٣٠ ، ٢- الحديد: ٤ ، ٣- الواقعة: ٨٥ ، ٤ - الذاريات: ٢١ ، ٥- الزخرف: ٨٤ ، ٦ - النور: ٣٥ ، ٧- النساء : ١٢٦ ، ٨- البخارى : رقاق: ٣٨، ٩ - احمد بن حنبل:٢ / ٣٧٠ ، ١٠- علته: ح ، ١١- للموجود: ح.

فان قلت: الوجوب نسبة تعرض للشئ نظراً الى الوجود الخارجي فما لا وجود له في الخارج زائداً على نفسه، لا يكون متصفاً بالوجوب.

قلت: الوجوب عارض للشئ الذي هو غير الوجود باعتبار وجوده اما اذا كان ذلك الشئ عين الوجود فوجوبه بالنظر الى ذاته لاغير، لان الوجوب يستدعي التغاير مطلقاً لا بالحقيقة؛ كما ان العلم يقتضي التغاير بين العالم والمعلوم تارة بالاعتبار وهو عند تصور الشيء نفسه، وتارة بالحقيقة وهو عند تصوره غيره. وايضاً كل ماهو غير الوجود يحتاج اليه من حيث وجوده وتحققه. والوجود من حيث هو وجود لايحتاج الى شئ. فهو غنى في وجوده عن غيره. وكل ماهو غنى في وجوده عن غيره، فهو واجب. فالوجود واجب بذاته.

فان قلت: الوجود من حيث هو هو كلي طبيعي، وكل كلي طبيعي لا يوجد الاّ في ضمن فرد من افراده، فلا يكون الوجود من حيث هو، واجباً لاحتياجه في تحققه الى ما هو فرد منه. قلت: ان اردتم بالكبرى الطبايع الممكنة الوجود فمسلم(١) ولكن لاينتج(٢) المقصود، لان الممكنات من شأنها ان توجد وتعدم. وطبيعة الوجود لا يقبل ذلك لما مر. وان اردتم ما هو اعم منها، فالكبرى ممنوعة. وليتامل في قوله تعالى «ليس كمثله شئ» (٣) الاية؛ بل لا نسلم. ان الكلي الطبيعي في تحققه متوقف على وجود ما يعرض عليه ممكناً كان او واجباً اذ لو كان كذلك للزم الدور، سواء كان العارض منوعاً او مشخصاً. لان العارض لا يتحقق الاّ بمعروضه فلو توقف معروضه عليه(٤) في تحققه لزم الدور.

والحق كل كلي طبيعي في ظهوره مشخصاً في عالم الشهادة يحتاج الى تعينات مشخصة له فائضة عليه من موجده وفي ظهوره في عالم المعاني منوعاً يحتاج الى تعينات كلية منوعة له، لا في تحققه في نفسه. وايضاً كل ما ينوع(٥) او يشخص(٦) فهو متأخر عن الطبيعة الجنسية والنوعية بالذات، والمتأخر لا يكون علة لتحقق المتقدم، بل الأمر بالعكس اولى؛ والجاعل للطبيعة طبيعة اولى منهما ان يجعل تلك الطبيعة نوعاً او شخصاً بضم ما يعرض عليها من المنوع والمشخص. وجميع التعينات الوجودية راجعة الى عين الوجود. فلا يلزم احتياج حقيقة الوجود في كونها في الخارج الى غيرها. وفي الحقيقة ليس في الوجود غيره.

١- فسلم: ز، ٢ - ينتج: ز، ٣- الشورى: ١١، ٤ - اليه : ح، ٥- متنوع: ز، ٦- متشخص: ز.

تنبيه آخر

كل ممكن قابل للعدم. ولا شئ من الوجود المطلق يقابل له. فالوجود واجب بذاته. لايقال: ان وجود الممكن قابل للعدم لانا نقول: وجود الممكن عبارة عن حصوله في الخارج وظهوره فيه، هو من اعراض الوجود الحقيقي الراجعة اليه بوجه عند اسقاط الاضافة لاعينه. وايضاً القابل لابد ان يبقى مع المقبول. والوجود لا يبقى مع العدم. فالقابل له هو الماهية لا وجودها ولا يقال: ان اردتم ان العدم لا يعرض على الوجود فمسلم. ولكن لم لايجوز ان يزول الوجود في نفسه ويرتفع؛ لانا نقول: العدم(١) ليس بشئ حتى يعرض الماهية او الوجود. وقولنا الماهية تقبل العدم، معناه انها قابلة لزوال الوجود عنها، وهذا المعنى لايمكن في الوجود والاّ لزم(٢) انقلاب الوجود الى العدم.

وايضاً امكان عدمه مقتضى ذاته حينئذ والوجود يقتضي بذاته نفسه ضرورة، كما مر. وذات الشيء الواحد لايمكن ان يقتضى نفسه، وامكان عدم نفسه. فلا يمكن زواله. وفي الحقيقة الممكن ايضاً لا ينعدم، بل يختفى ويدخل في الباطن الذي ظهر منه. والمحجوب يزعم انه ينعدم وتوهم انعدام وجود الممكن ايضاً؛ انما ينشأ من فرض الافراد للوجود(٣) كالافراد الخارجية التي للانسان مثلاً؛ وليس كذلك. فان الوجود حقيقة واحدة، لا تكثر فيها، وافرادها باعتبار اضافتها الى الماهيات. والاضافة امر اعتباري فليس لها افراد موجودة لتنعدم(٤) وتزول، بل الزائل اضافتها اليها. ولايلزم من زوالها انعدام الوجود وزواله ليلزم انقلاب حقيقة الوجود بحقيقة العدم. اذ زوال الوجود بالاصالة، هو العدم ضرورة. وبطلانه ظاهر.

تفريع

واذا لم يكن للوجود افراد حقيقية مغايرة لحقيقة(٥) الوجود، لا يكون عرضاً عاماً، عليها. وايضاً لو كان عرضاً عاماً لكان اما جوهراً، واما(٦) عرضاً. وقد بينا انه ليس بجوهر ولا عرض. وايضاً الوجود من حيث هو هو، محمول على الوجودات المضافة، لصدق قولنا: هذا الوجود وجود. وكل ما هو محمول على الشئ لا بد ان يكون بينه وبين موضوعه ما به الاتحاد وما به الامتياز. وليس ما به الاتحاد هنا سوى

١- لعدم: ز ، ٢- لزام : ح، ٣- الوجود: ح، ٤- ليعدم: ز، ٥- الحقيقة: ح، ٦- او : ح

نفس الوجود وما به التغاير سوى(١) نفس الهذية، فتعين ان يكون الوجود من حيث هو هو، عين الوجودات المضافة حقيقة، والاّ لم يكن وجوداً ضرورة. والمنازع يكابر مقتضى عقله، الاّ ان يطلق لفظ الوجود عليها وعلى الوجودات(٢) من حيث هو هو بالاشتراك اللفظي وهو بين الفساد.

وما يقال بان الوجود يقع على افراده لا على التساوي(٣) فانه يقع على وجود العلة ومعلولها بالتقدم والتأخر وعلى وجود الجوهر والعرض بالاولوية وعدمها وعلى وجود القار وغير القار بالشدة والضعف، فيكون مقولاً عليها بالتشكيك. وكل ماهو مقول بالتشكيك لا يكون عين ماهية شئ ولا جزؤه. ان ارادوا به ان التقدم والتأخر والاولوية وعدمها والشدة والضعف باعتبار الوجود من حيث هو هو، فهو ممنوع لكونها من الأمور الاضافية التي لا تتصور(٤) الاّ بنسبة بعضها الى بعض ولان المقول على سبيل التشكيك، انما هو باعتبار الكلية والعموم. والوجود من حيث هو، لا عام ولا خاص. وان ارادوا به انها(٥) يلحق الوجود بالقياس الى الماهيات فهو صحيح. لكن لا يلزم منه ان يكون الوجود من حيث هو مقولا عليها بالتشكيك. اذ اعتبار المعروضات غير اعتبار الوجود وذلك بعينه كلام اهل الله. لانهم ذهبوا الى ان الوجود باعتبار تنزله في مراتب الاكوان وظهوره في خطائر الامكان، وكثرة الوسائط يشتد خفاؤه، فيضعف ظهوره وكمالاته باعتبار قلتها تشتد نوريته ويقوى ظهوره فتظهر كمالاته وصفاته فيكون اطلاقه على القوى اولى من اطلاقه على الضعيف. وتحقيق ذلك بان تعلم(٦) ان للوجود مظاهر في العقل كما ان له مظاهر في الخارج منها، الامور العامة والكليات التي لاوجود لها الاّ في العقل وكنه مقولاً على الافراد المضافة الى الماهيات بالتشكيك انما هو باعتبار ذلك الظهور العقلي.

ولذلك قيل: انه اعتباري، فلا يكون من حيث هو هو مقولاً عليها بالتشكيك، بل من حيث انه كلي محمول عقلي. وهذا المعنى جزئي(٧) لا ينافي كونه عين ماهية افراده باعتبار كلية الطبيعي(٨) كما ان الحيوان طبيعية(٩) فقط، جزء لأفراده(١٠) غير محمول عليها وباعتبار اطلاقه، اي لا بشرط شئ جنس محمول عليها وباعتبار(١١) عروضه على فصول الانواع التي تحتها عرض عام عليها، وهكذا الامر في(١٢) كل ما

١- ساقطة في ح ، ٢- الوجود: ح، ٣- التساوى : ز ٤- يتصور: ح، ٥- انه: ز ، ٦- نعلم:ز، ٧-ساقطة في ح، ٨- الطبيعي: ح ، ٩- طبيعة : ح ، ١٠ - الافراد : ز ، ١١- ساقطة في ح ١٢ - على: ز.

يقع على افراده بالتشكيك؛ والتفاوت في أفراد الوجود ليس في نفس الوجود، بل في ظهور خواصه من العلية والمعلولية في العلة والمعلول، ولكونه(١) قائماً بنفسه(٢) في الجوهر غير قائم بنفسه في العرض ولشدة الظهور في قار الذات وضعفه في غير قار الذات، كما ان التفاوت بين افراد الانسان ليس في نفس الانسانية بل بحسب ظهور خواصها فيها. فلو كان مخرجاً للوجود من ان يكون عين حقيقة الافراد لكان مخرجاً للانسانية من ان يكون عين خقيقيته افرادها والتفاوت الذي بين الافراد الانسانية لا يمكن مثله في افراد شئ اخر من الموجودات.

ولذلك صار بعضها اعلى مرتبة واشرف مقاماً من الاملاك(٣) وبعضها اسفل رتبة واحسن حالاً من الحيوان كما قال الله تعالى: « اولئك كالانعام بل هم اضل »(٤) وقال « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين »(٥) لذلك « يقول الكافر ياليتني كنت تراباً »(٦) وهذا القدر كاف لاهل الاستبصار في هذا الموضع ومن نور الله عين بصيرته وفهم ما مرّ وأمعن النظر فيه لا يعجز عن دفع الشبه الوهمية والمعارضات الباطلة. والله المستعان وعليه التكلان.

اشارة الى بعض المراتب الكلية واصطلاحات الطائفة فيها

حقيقة الوجود، اذا اخذت بشرط ان لا يكون معها شئ، فهي المسماة عند القوم بالمرتبة الاحدية المستهلكة جميع الاسماء والصفات فيها، وتسمى جمع الجمع، وحقيقة الحقائق، والعماء ايضاً. واذا اخذت بشرط شئ، فاما ان تؤخذ بشرط جميع الاشياء اللازمة لها كليتها(٧) وجزئيتها(٨) المسماة بالاسماء والصفات، فهي المرتبة الالهية المسماة عندهم بالواحدية ومقام الجمع. وهذه المرتبة باعتبار ايصال لمظاهر(٩) الاسماء، التي هي الاعيان والحقائق، الى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج، يسمى مرتبة الربوبية. واذ اخذت لابشرط شئ آخر(١٠) ولا بشرط لاشئ فهي(١١) المسماة بالهوية السارية في جميع الموجودات. اذا اخذت بشرط ثبوت الصور العلمية فيها، فهي مرتبة الاسم الباطن المطلق والاول والعليم ورب الاعيان الثابتة.

١- يكون ه: ح، ٢- في نفسه: ز ، ٣- افلاك: ح ، ٤- الاعراف: ١٧٩ ، ٥- التين : ٤-٥ ، ٦- النساء ،٧- كليها: ز ، ٨- جزئيها: ز، ٩- المظاهر: ز ، ١٠- ساقطة في ح ، ١١- فهو: ح

واذا اخذت بشرط كليات الاشياء فقط، فهي مرتبة الاسم الرحمن، رب العقل الاول المسمى بلوح القضاء و أم الكتاب والقلم الاعلى. واذا اخذت بشرط ان تكون الكليات فيها جزئيات مفصلة ثابتة من غير احتجابها عن كلياتها، فهي مرتبة الاسم الرحيم، رب النفس الكلية المسماة بلوح القدر؛ وهو اللوح المحفظ والكتاب المبين. واذا اخذت بشرط ان تكون الصور المفصلة جزئية متغيرة، فهي مرتبة الاسم الماحي والمثبت والمحيى والمميت(١)، رب النفس المنطبعة في الجسم الكلى المسماة بلوح المحو والاثبات.

واذا اخذت بشرط ان تكون قابلة للصور النوعية الروحانية والجسمانية، فهي مرتبة الاسم القابل، رب الهيولي الكلية، المشار اليها «بالكتاب المسطور والرق المنشور»(٢) واذا اخذت مع قابلية التأثير والتأثر، فهي مرتبة الاسم الفاعل، المعبر(٣) عنه بالموجد والخالق، رب الطبيعة الكلية. واذا اخذت بشرط الصور الروحانية المجردة، فهي مرتبة الاسم العليم والمفصل والمدبر، رب العقول الكلية والنفوس الناطقة.

وما يسمى باصطلاح الحكماء بالعقل المجرد، يسمى باصطلاح اهل الله بالروح؛ ولذلك يقال للعقل الاول روح القدس ما يسمى بالنفس المجردة الناطقة يسمى عندهم بالقلب. اذا كانت الكليات فيها مفصلة وهي شاهدة اياها شهوداً اعيانياً والمراد بالنفس عندهم النفس المنطبعة الحيوانية.

واذا اخذت بشرط الصور الحسية الغيبية، فهي مرتبة الاسم المصور، رب عالم الخيال المطلق والمقيد. واذا اخذت بشرط الصور الحسية الشهادية، فهي مرتبة الاسم الظاهر المطلق والاخر، رب عالم الملك ومرتبة الانسان الكامل عبارة عن جمع(٤) جميع المراتب الالهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة الى اخر تنزلات الوجود، ويسمى بالمرتبة العمائية ايضاً. فهي مضاهية للمرتبة الالهية. ولا فرق بينهما لا بالربوبية والمربوبية. لذلك صار خليفة الله. واذا علمت هذا، علمت الفرق بين المراتب الالهية والربوبية والكونية.

وجعل بعض المحققين المرتبة الالهية هي بعينها مرتبة العقل الاول باعتبار جامعية الاسم الرحمن لجميع(٥) الاسماء كجامعية الاسم الله لها. هذا وان كان حقاً من

١- ساقطة في ح ، ٢- الطور : ٢-٣ ، ٣- المعبر: ح ، ٤- جميع: ح ، ٥- بجميع :ح .

وجه، لكن كون اسم الرحمن تحت حيطة الاسم الله يقضي بتغاير المرتبتين، ولولا وجه المغايرة بينهما، ما كان تابعاً للاسم «الله» في بسم الله الرحمن الرحيم. فافهم.

تنبيه آخر

قد مر ان كل كمال يلحق الاشياء بواسطة الوجود(١) هو، للوجود(٢) بذاته؛ فهو الحي القيوم العليم المريد القادر بذاته، لا(٣) بالصفة الزائدة عليها، والاّ يلزم الاحتياج في افاضة هذه الكمالات منه الى حياة وعلم وقدرة وارادة اخرى. اذ لا يمكن افاضتها الاّمن الموصوف بها. واذا علمت هذا، علمت معنى ما قيل ان صفاته عين ذاته ولاح لك حقيقته(٤). وان المعنى به ما ذكر، لا ما يسبق على الافهام من ان الحياة والعلم والقدرة الفائضة منه (٥) اللازمة له، عين ذاته، وان كان هذا ايضاً صحيحاً من وجه آخر، فان الوجود في مرتبة احديته يفنى(٦) التعينات كلها، فلا يبقى فيها صفة ولا موصوف ولا اسم ولامسمى الاّ الذات فقط. وفي مرتبة واحديته التي هي مرتبة الاسماء والصفات يكون صفة وموصوفا واسماً ومسمى؛ وهي المرتبة الالهية. كما ان المراد من قولنا: ان وجوده عين ذاته انه موجود بذاته لابوجود فائض منه وهو عين ذاته فيتحد الحياة والعلم والقدرة وجميع الصفات الثبوتية كاتحاد الصفة والموصوف في المرتبة الاولى، وحكم العقل بالمغايرة بينهما في العقل، ايضاً كالحكم بالمغايرة بين الموصوف والصفة في العقل مع اتحادهما في نفس الوجود، اي العقل يحكم ان العلم مغاير للقدرة والارادة في العقل كما يحكم بالمغايرة بين الجنس والفصل. واما في الوجود فليست الا الذات الاحدية فقط كما انهما في الخارج شئ واحد؛ وهو النوع. لذلك قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه: «كمال الاخلاص نفي الصفات عنه»

وفي المرتبة الثانية يتميز العلم عن القدرة، وهي عن الارادة فيتكثر الصفات وبتكثرها يتكثر الاسماء ومظاهرها. وتتميز الحقائق الالهية بعضها عن بعض، فالحياة والعلم والقدرة وغير ذلك من الصفات يطلق على تلك الذات وعلى الحقيقة اللازمة لها من حيث انها مغايرة لها بالاشتراك اللفظي لان هذه الحقائق اعراض من وجه، لانها اما اضافة محضة او صفة(٧) حقيقية(٨) ذو اضافة وجواهر من وجه اخر كما

١- للوجود: ز ، ٢- الموجود :ز ، ٣- إلاّ: ح ، ٤- حقيقة: ح ، ٥- له :ز ، ٦- نفي: ز ، ٧- صفته: ز ، ٨- حقيقته: ز.

في المجردات. اذ علمها بذواتها عين ذواتها من وجه. وهكذا الحياة والقدرة وتلك الذات جلت من ان يكون جوهراً اوعرضاً. ويظهر حقيقة(١) هذا المعنى عند من ظهر له سريان الهوية الالهية في الجواهر كلها التي هذه الصفات عينها ومن حيث ان هذه الحقائق كلها وجودات خاصة، والذات الاحدية وجود مطلق والمقيد هو المطلق مع اضافة التعين اليه؛ وهو ايضاً يحصل من تجلياته يكون اطلاقها عليها وعلى تلك الذات بالاشتراك المعنوي وعلى سبيل التشكيك وعلى افراد نوع واحد منها، كالتعينات في العلم مثلاً على سبيل التواطؤ. فهذه الحقائق تارة لاجوهر ولا عرض، وهي واجبة قديمة، وتارة جواهر ممكنة حادثة وتارة اعراض تابعة للجواهر. فمن لاح له حقيقة(٢) ما ذكر وظهرت(٣) وجوه الاعتبارات عنده خاص من الشكوك والشبهات والله الهادي.

الفصل الثاني في اسمائه وصفاته تعالى

اعلم ان للحق سبحانه وتعالى بحسب «كل يوم هو في شأن»(٤) شؤونات وتجليات في مراتبه(٥) الالهية. وان له بحسب شؤونه ومراتبه صفات واسماء. والصفات اما ايجابية او سلبية. والاول اما حقيقة لا اضافة(٦) فيها، كالحياة والوجوب والقيومية على احد معنييه او اضافة محضة، كالاولية والاخرية، او ذو اضافة، كالربوبية والعلم والارادة. والثاني كالغني والقدوسية والسبوحية. ولكل(٧) منها نوع من الوجود سواء كانت ايجابية او سلبية. لان الوجود، يعرض العدم والمعدوم ايضاً من وجه(٨) وليست الأ تجليات ذاته تعالى بحسب(٩) مراتبه التي تجمعها مرتبة الالوهية، المنعوتة بلسان الشرع بالعماء، وهي اوّل كثرة وقعت في الوجود وبرزخ بين الحضرة الاحدية الذاتية وبين المظاهر الخلقية؛ لان ذاته تعالى اقتضت بذاته بحسب(١٠) مراتب الالوهية والربوبية صفات متعددة متقابلة، كاللطف والقهر والرحمة والغضب والرضا والسخط وغيرها؛ وتجمعها النعوت الجمالية والجلالية. اذ كل ما يتعلق باللطف هو الجمال، وما يتعلق بالقهر هو الجلال. ولكل جمال ايضاً جلال، كالهيمان الحاصل من الجمال الالهي؛ فانه عبارة عن انقهار العقل منه وتحيره فيه. ولكل جلال جمال، وهو اللطف المستور في القهر الالهى، كما

١- حقية: ح ، ٢- حقية : ح، ٣- ظهر: ز ،٤-الرحمن: ٢٩ ، ٥- مراتب: ح ، ز ، ٦- الاضافة: ح، ٧- الكل: ز ، ٨- ساقطة في ح ، ٩- حسب: ح ، ١٠- حسب: ح .

قال الله : « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب »(١) وقال امير المؤمنين عليه السلام: « سبحان من اتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته. واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته » ومن هنا يعلم سر قوله عليه السلام: « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات »(٢) وهذا المشار اليه برزخ بين كل صفتين متقابلتين والذات مع صفة معينة واعتبار تجلى من تجلياته تسمى بالاسم. فان الرحمن ذات لها الرحمة والقهار ذات لها القهر.

وهذه الاسماء الملفوظة هي اسماء الاسماء. ومن هنا يعلم ان المراد بالاسم عين المسمى، ما هو. وقد يقال الاسم للصفة، اذ الذات مشتركة بين الاسماء كلها، والتكثر فيها بسبب تكثر الصفات. وذلك التكثر باعتبار مراتبها الغيبية التي هي مفاتيح الغيب وهي معان معقولة في غيب الوجود والحق تعالى، يتعين بها شؤون الحق وتجلياته. وليست بموجودات عينية؛ ولا تدخل في الوجود اصلاً، بل الداخل فيه ما تعين من الوجود الحق في تلك المراتب من الاسماء فهي موجودة في العقل، معدومة في العين. ولها الاثر والحكم فيما له الوجود العيني، كما اشار اليه الشيخ رضي الله عنه في الفصل الاول؛ وسيجئ بيانه ان شاء الله تعالى.

ومن وجه يرجع التكثر الى العلم الذاتي، لان علمه تعالى بذاته لذاته، اوجب العلم بكمالات ذاته في مرتبة احديته. ثم المحبة(٣) الالهية اقتضت الذات بكل منها على انفرادها متعيناً في حضرته العلمية ثم العينية. فحصل التكثر فيها.

والصفات تنقسم الى ما له الحيطة التامة الكلية والى ما لايكون لذلك في الحيطة. وان كانت هي ايضاً محيطة باكثر الاشياء فالاول هي الامهات للصفات المسماة بالائمة السبعة، وهي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام. وسمعه عبارة عن تجليه بعلمه المتعلق بحقيقة الكلام الذاتي في مقام جمع الجمع والاعياني في مقامي الجمع والتفصيل ظاهراً وباطناً لابطريق الشهود. وبصره عبارة عن تجليه وتعلق علمه بالحقائق على طريق الشهود. وكلامه عبارة عن التجلي الحاصل من تعلقي الارادة والقدرة لاظهار ما في الغيب وايجاده، قال تعالى: « انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون »(٤) وهذه الصفات وان كانت اصولاً لغيرها، لكن بعضها ايضاً

١- البقرة : ١٧٩ ، ٢- البخارى : رقاق، ٢٨، ٣- املحية: ح ، ٤- يس: ٨٢ .

مشروط بالبعض في تحققه. اذ العلم مشروط بالحياة والقدرة بهما، وكذلك(١) الارادة والثلاثة الباقية مشروطة بالاربعة المذكورة.

والاسماء ايضاً تنقسم(٢) بنوع من القسمة الى اربعة اسماء هي الامهات(٣) وهي الاول والآخر والظاهر والباطن. ويجمعها الاسم الجامع وهو الله والرحمن، قال تعالى: «قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى»(٤) اي فلكل منهما الاسماء الحسنى الداخلة تحت حيطتهما. فكل اسم يكون مظهره اولياً وابدياً. فازليته من الاسم الاول، وابديته من الاسم الاخر، وظهوره من الاسم الظاهر، وبطونه من الاسم الباطن. فالاسماء المتعلقة بالابداء(٥) والايجاد داخلة في الاول والمتعلقة بالاعادة والجزاء داخلة في الآخر. وما يتعلق بالظهور والبطون داخلة في الظاهر والباطن. والاشياء(٦) لاتخلو من هذه الاربعة: الظهور والبطون والاولية والاخرية.

وتنقسم بنوع من القسمة ايضاً الى اسماء الذات واسماء الصفات واسماء الافعال. وان كانت كلها اسماء الذات لكن باعتبار ظهور الذات فيها تسمى اسماء الذات وبظهور الصفات فيها تسمى اسماء الصفات، وبظهور الافعال؛ فيها تسمى اسماء الافعال واكثرها يجمع(٧) الاعتبارين او الثلاث. اذ فيها ما يدل على الذات باعتبار وما يدل على الصفات باعتبار اخر. وما يدعل على الافعال باعتبار ثالث، كالرب؛ فانه بمعنى(٨) الثابت للذات وبمعنى المالك للصفة وبمعنى المصلح للفعل.

واسماء الذات هو الله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، العلي، العظيم، الظاهر، الباطن، الاول، الاخر، الكبير، الجليل، المجيد، الحق، المبين، الواجد، الماجد، الصمد، المتعال، الغني، النور، الوارث، ذو الجلال ،الرقيب. واسماء الصفات وهو(٩) الحي، الشكور، القهار، القاهر، المقتدر، القوي، القادر، الرحمن، الرحيم، الكريم، الغفار، الغفور ، الودود، الرؤوف، الحليم، الصبور، البر، العليم، الخبير، المحصي، الحكيم، الشهيد، السميع، البصير. واسماء الافعال هو المبدئ، الوكيل، الباعث، المجيب، الواسع، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الخالق، البارئ، المصور، الوهاب، الرزاق، الفتاح، القابض، الباسط، الخافض،

١- كل: ز ، ٢- منقسم: ز ، ٣- الاهيات: ح ، ٤- الاسراء: ١١٠، ٥-الابدأ: ح ، ٦- الاسماء: ح، ٧- لجمع : ح ، ٨- لمعنى : ح ، ٩- هي: ز

الرافع، المعز، المذل، الحكم، العدل، اللطيف، المعيد، المحي، المميت، الوالي، التواب، المنتقم، المقسط، الجامع، المغنى، المانع، الضار، النافع، الهادي، البديع، الرشيد. هكذا عين الشيخ قدس سره الاسماء في كتابه المسمى *بانشاء الدوائر*، نقلتها من غير تبديل وتغير تبركاً وتيمناً بانفاسه المباركة.

ومن الاسماء ما هي مفاتيح الغيب التي لايعلمها الا هو ومن تجلي له الحق بالهوية الذاتية من الاقطاب والكمل، قال تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الاّ من ارتضى من رسول»(١) واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه بقوله «او استأثرت به في علم غيبك»(٢) وكلها داخل تحت الاسم الاول والباطن بوجه وهي المبدأ للاسماء التي هي المبدأ للاعيان الثابتة كما سنبين ان شاء الله تعالى. ولا تعلق لها بالاكوان. قال الشيخ رضي الله عنه في *فتوحاته المكية*: واما الاسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها الا هو، لانه لا(٣) تعلق لها بالاكوان». ومنها ما هي مفاتيح الشهادة، اعني الخارج، اذ قد يطلق ويراد بها المحسوس الظاهر فقط، وقد يراد بها اعم من ذلك كما قال: «عالم الغيب والشهادة»(٤) وكلها داخلة تحت الاسم الاخر والظاهر بوجه آخر. فالاسماء الحسنى هي أمهات الاسماء كلها. واعلم ان بين كل اسمين متقابلين اسم ذو وجهين، متولد منهما هو برزخ بينهما كما ان بين كل صفتين متقابلتين صفة ذات وجهين متولدة منهما؛ ويتولد ايضاً من اجتماع الاسماء بعضها مع بعض سواء كانت متقابلة او غير متقابلة، اسماء غير متناهية؛ ولكل منها مظهر في الوجود العلمي والعيني.

تنبيه

اعلم ان اسماء(٤) الافعال بحسب أحكامها تنقسم(٥) اقساماً: منها اسماء لا ينقطع حكمها ولا ينتهي اثرها، ازل الآزال وابد الآباد، كالاسماء الحاكمة على الأرواح القدسية والنفوس الملكوتية(٦) وعلى كل ما لايدخل تحت الزمان من المبدعات وان كانت داخلة تحت الدهر. ومنها ما لا ينقطع حكمه ابد الآباد وان كانت منقطعة الحكم ازل الآزال، كالاسماء الحاكمة على الآخرة، فانها ابدية، كما دلت الآيات على خلودها وخلود أحكامها، وغير ازلية بحسب الظهور. اذ إبتداء

١- الجن: ٢٦-٢٧ ، ٢- احمد بن حنبل: ١/٣٩١-٣٩٢ ، ٣- ساقطة في ح، ٤- الرعد : ٩ ، ٤- الاسماء: ح ، ٥- ينقسم: ح ، ز ، ٦- للملكية:ز .

ظهورها من انقطاع النشأة الدنياوية. ومنها ما هو مقطوع الحكم ازلاً ومتناهي(١) الاثر ابداً كالاسماء الحاكمة على كل ما يدخل تحت الزمان وعلى النشأة الدنياوية، فانها غير ازلية ولا ابدية بحسب الظهور وان كانت نتائجها بحسب الآخرة ابدية. وما ينقطع أحكامه، اما ان ينقطع مطلقاً ويدخل الحاكم عليه في الغيب المطلق الالهي، كالحاكم على النشأة الدنياوية، واما ان يستتر ويختفي تحت حكم الاسم الذي يكون اتم حيطة منه عند ظهور دولته.

اذ للاسماء دول بحسب ظهوراتها وظهور احكامها، واليها تستند ادوار الكواكب السبعة التي مدة كل دورة(٢) منها الف سنة والشرايع: اذ لكل شريعة اسم من الاسماء تبقى ببقاء دولته، وتدوم بدوام سلطنته وتنسخ بعد زوالها؛ وكذلك(٣) التجليات الصفاتية اذ عند ظهور صفة ما منها تختفي أحكام غيرها تحتها. وكل واحد من الاقسام الاسمائية يستدعي مظهراً به يظهر أحكامها وهو الاعيان. فان كانت قابلة لظهور الأحكام الاسمائية كلها كالاعيان الانسانية كانت في كل آن مظهراً لشأن من شؤونها. وان لم يكن قابلة لظهور وأحكامها كلها كانت مختصة ببعض الاسماء دون البعض، كاعيان الملائكة. ودوام الاعيان في الخارج وعدم دوامها فيه دنيا واخرة راجع الى دوام الدول الاسمائية وعدم دوامها فافهم. فانك ان امعنت النظر في هذا(٤) التنبيه وتحققت المطلوب منه تظهر لك اسرار كبيرة والله الهادي.

تنبيه آخر

اعلم ان الاشياء الموجودة في الخارج، كلها داخلة تحت(٥) الاسم الظاهر من حيث وجودها الخارجي، والحق من حيث ظهوره عين الظاهر، كما انه من حيث بطونه، عين الباطن. فكما(٦) ان الاعيان الثابتة في العلم من حيث الباطن، اسماؤه تعالى، والموجودات الخارجية مظاهرها كذلك طبايع الاعيان الموجودة في الخارج من حيث الظاهر، اسماؤه تعالى. والاشخاص مظاهرها.

فكل حقيقة خارجية، سواء كانت جنساً او نوعاً، اسم من أمهات الاسماء، لكونها كلية مشتملة على افراد جزئية، بل كل شخص ايضاً اسم من الاسماء الجزئية، لان الشخص هو عين تلك الحقيقة مع عوارض مشخصة لها لاغير هذا باعتبار اتحاد

١- منتهى: ح، ٢-دور: ز، ٣- وكل: ز، ٤- هذه: ح، ٥- يجب: ز ٦- وكما: ح.

الظاهر والمظهر في الخارج. واما باعتبار تغايرهما العقلي، فالاشخاص مظاهر للحقائق الخارجية، كما انها مظاهر للاعيان الثابتة، وهي مظاهر للاسماء والصفات. فافهم.

تنبيه آخر

قال بعض الحكماء من المتأخرين: ان علمه تعالى بذاته هو عين ذاته، وعلمه بالاشياء الممكنة عبارة عن وجود العقل الاول مع الصور القائمة به هرباً من مفاسد يلزمهم. وهذا وان كان له وجه عند تعلم الحكمة الالهية المتعالية من الموحدين، لكن لا يصح مطلقاً ولا على قواعدهم، لانه حادث بالحدوث الذاتي. وحقيقة علمه تعالى قديمة، لانها عينه. فكيف يمكن ان يكون هو هو بعينه؛ وايضا العقل، لكونه ممكناً حادثاً مسبوق بالعدم الذاتي، معلوم للحق، لان ما لا يعلم لا يمكن اعطاء الوجود له. فالعلم به حاصل قبل وجوده ضرورة، فهو غيره وماهيته مغايرة لحقيقة العلم بالضرورة، لان العلم قد يكون واجباً بالذات، كعلم الحق سبحانه ذاته بذاته وقد يكون صفة ذا(١) اضافة وقد يكون اضافة محضة بخلاف الماهية.

فان قلت «علمه بذاته مغاير لعلمه بمعلوماته؛ وهذا العلم المسمى بالعقل الاول»، قلت: حقيقة العلم واحدة والمغايرة بين افرادها اعتبارية، اذ(٢) اختلافها بحسب المتعلقات فهي لا تقدح في وحدة حقيقته. والحق يعلم الاشياء بعين ما يعلم به ذاته، لا بأمر آخر. وكونه صفة ذات اضافة او اضافة محضة في بعض الصور، ينافي كونه عين العقل الاول لكون الاول عرضاً والثاني جوهراً. وكونه من(٣) الجواهر، كما مر، انما هو بسريان(٤) الهوية الالهية فيها. وليس عندهم كذلك. فلا يمكن ان يكون جوهراً وايضاً كما انه عالم بالاشياء وكذلك قادر، فكونه عبارة عن علمه دون قدرته، ترجيح بلا مرجح، بل عكسه اولى لشمول(٥) قدرته على كل ما بعده عندهم دون علمه.

وايضاً القول بان العقل عين علمه تعالى تبطل العناية الالهية السابقة على وجود الاشياء كلها. وليس عبارة عن حضوره عنده تعالى، لان الحضور صفة الحاضر وهو العقل(٦) وعلمه تعالى صفته فهو غيره. وايضاً حضوره متأخر بالذات عن الحق لانه صفته، وهو متأخر بالذات عن الحق وعن علمه، لانه مع جميع كمالاته، متقدم

١-ذات: ز، ٢- اذا : ح، ٣- في: ح ، ٤- لسريان: ز ، ٥- الشمول : ز ، ٦- العقلي: ح

بالذات على جميع الموجودات. فلا يفسر علمه تعالى بالحضور. وايضاً يلزم احتياج ذاته تعالى في اشرف صفاته الى ماهو غيره صادر منه. وايضاً ويلزم ان لا يكون عالماً بالجزئيات وأحوالها من حيث هي جزئية، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

نعم! لو يقول العارف المحقق: انه عين علمه تعالى من حيث انه عالم بحقائق الاشياء والمعاني الكلية على سبيل الاجمال، والمظهر عين الظاهر باعتبار يكون حقاً ويكون هو اسمه العليم كما مر بيانه في التنبيه المتقدم، لان ماهيته عبارة عن الهوية الالهية المتعينة بتعين خاص، سميت به عقلاً اولاً. لكن لا يختص هو بذلك، بل النفس الكلية ايضاً كذلك لاشتماله على الكليات والجزئيات، بل كل عالم بهذا الاعتبار يكون اسمه العليم لا العقل الاول فقط. والحكيم لايشعر بهذا المعنى، اذ عنده ان العقل وغيره مغاير للحق تعالى ماهية وجوداً ومعلولاً(١) من معلولاته، فيلزم ان يكون في اشرف صفاته وكمالاته محتاجاً الى غيره تعالى عنه.

والحق ان كل من انصف يعلم(٢) في نفسه ان الذي ابدع الاشياء واوجدها من العدم الى الوجود، سواء كان العدم زمانياً او غير زماني يعلم تلك الاشياء بحقائقها وصورها اللازمة لها، الذهنية والخارجية، قبل ايجاده اياها، والاّ لا يمكن اعطاء الوجود لها، فالعلم غيرها. والقول باستحالة ان يكون ذاته تعالى وعلمه الذي هو عين ذاته محلاً للأمور المتكثرة، انما يصح، اذا كانت غيره تعالى، كما عند المحجوبين عن الحق. اما اذا كانت عينه من حيث الوجود والحقيقة، وغيره باعتبار التعين والتقيد؛ فلا يلزم ذلك وفي الحقيقة ليس حالاً ولا محلاً، بل شئ واحد ظهر بصورة(٣) المحلية تارة والحالية واخرى. فنفس الأمر عبارة عن العلم الذاتي الحاوي لصور(٤) الاشياء كلها كليها وجزئيها، صغيرها وكبيرها، جمعاً وتفصيلا، عينية كانت او علمية ؛ «لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء»(٥)

فان قلت: العلم تابع للمعلوم وهو الذات الالهية وكمالاته، فكيف يكون عبارة عن نفس الامر؟ قلت: الصفات الاضافية، لها اعتباران: اعتبار عدم مغايرتها للذات، واعتبار مغايرتها لها. فبالاعتبار الاول، العلم والارادة والقدرة وغيرها من الصفات، التي تعرض لها الاضافة،ليس تابعاً للمعلوم والمراد والمقدور.لانها عين الذات ولاكثرة

١- معلول: ح، ٢- من : ح، ٣- ساقطة في ح ، ٤- بصور: ح ، ٥- يونس: ٦١.

فيها. وبالاعتبار الثاني العلم تابع للمعلوم، وكذا الارادة والقدرة تابعة للمراد والمقدور. وفي العلم اعتبار آخر، وهو حصول صور الاشياء فيه. فهو(١) ليس من حيث تبعيته لها عبارة عن نفس الأمر، بل من حيث ان صور تلك الاشياء حاصلة فيه، عبارة عنه. ومن حيث تبعيته لها يقال الأمر في نفسه كذا، اي تلك الحقيقة التي يتعلق بها العلم، وليست غير الذات في نفسها كذا. وجعل بعض العارفين العقل الاول عبارة عن نفس الأمر، حق، لكونه مظهراً للعلم الالهي من حيث احاطته بالكليات المشتملة على جزئياتها ولكون علمه مطابقاً لما في علم الله تعالى. وكذلك النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ بهذا الاعتبار عبارة عن نفس الأمر.

ولا يعلم حقيقة العلم وكيفية تعلقه بالمعلومات الا الله. والزعم ببداهته انما ينشأ من عدم الفرق بين الظل وما هو ظله، لان علوم الاكوان ظلال لوجوداتهم. وايضاً حصوله بديهي، ولا يلزم من بداهة العلم بحصول الشئ بداهة العلم بحقيقته وماهيته. والله اعلم بالحقائق.

الفصل الثالث في الاعيان الثابتة والتنبيه على بعض المظاهر الاسمائية

اعلم ان للاسماء الالهية صوراً معقولة في علمه تعالى، لانه عالم بذاته لذاته. واسمائه وصفاته وتلك الصور العلمية(٢) من حيث انها عين الذات المتجلية بتعين خاص ونسبة معينة هي المسماة بالاعيان الثابتة، سواء كانت كلية او جزئية، في اصطلاح اهل الله. ويسمى كلياتها بالماهيات والحقائق وجزئياتها بالهويات عند اهل النظر. فالماهيات هو الصور الكلية الاسمائية المتعينة في الحضرة العلمية تعيناً(٣) اولياً. وتلك الصور فائضة عن الذات(٤) الالهية بالفيض الاقدس والتجلي الاول(٥) بواسطة الحبّ الذاتي وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الاّ هو، ظهورها وكمالها.

فان الفيض الالهي ينقسم بالفيض الاقدس والفيض المقدس. وبالاول يحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الاصلية في العلم. وبالثاني يحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها؛ واليه اشار الشيخ بقوله: «والقابل لا يكون الاّ من فيضه الاقدس». وذلك الطلب مستنداً اولاً الى الاسم الاول والباطن، ثم بهما الى الآخر

١- ساقطة في ح ، ١- العقلية: ز ، ٢- ساقطة في ح ، ٣- من : ح ، ٤- الولى: ح.

والظاهر، لان الاولية والباطنية ثابتة للوجود العلمي؛ والآخرية والظاهرية للعينيّ. والاشياء ما لم توجد في العلم لم يمكن وجودها في العين.

والأعيان بحسب امكان وجودها في الخارج وامتناعها فيه ينقسم الى قسمين: الاول، الممكنات، والثاني؛ الممتنعات. وهي قسمان: قسم يختص بفرض العقل اياه، كشريك الباري في اجتماع النقيضين والضدين في موضوع خاص ومحل معين وغيرها، وهي أمور متوهمة ينتجها العقل المشوب(١) بالوهم؛ وعلم الباري جل ذكره يتعلق بهذا القسم من حيث علمه بالعقل والوهم، ولوازمها من توهم ما لا وجود له ولا عين؛ وفرضهما(٢) اياه لا من حيث ان لها ذواتا(٣) في العلم او صوراً اسمائية والاّ يلزم الشريك في الوجود ونفس الأمر. قال الشيخ رضي الله عنه في *الفتوحات* في ذكر الاولياء الناهين عن المنكر من الباب الثالث والسبعين: «فلم يكن ثمة شريك اصلاً، بل هو لفظ ظهر تحته العدم المحض، فانكرته المعرفة بتوحيد الله الوجودي، فيسمى منكراً من القول وزوراً».

وقسم لا يختص بالفرض، بل هي أمور ثابتة في نفس الأمر موجودة في العلم، لازمة لذات الحق؛ لانها صور للاسماء الغيبية المختصة بالباطن من حيث هو ضد الظاهر. اذ للباطن وجه يجتمع مع الظاهر ووجه لايجتمع معه وتختص الممكنات، بالاول والممتنعات بالثاني.

وتلك الاسماء هي التي قال رضي الله عنه في فتوحاته: «واما الاسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها الاّ هو؛ لانه لا تعلق لها بالاكوان». والى هذه الاسماء اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «او استأثرت به في علم غيبك»(٤) ولما كانت هذه الاسماء بذواتها طالبة للباطن، هاربة(٥) عن الظاهر، لم يكن لها وجود فيه. فصور هذه الاسماء وجودات علمية ممتنعة الاتصاف بالوجود العيني؛ ولا شعور لاهل العقل بهذا القسم، ولا مدخل للعقل فيه. والاطلاع بامثال هذه المعاني انما هو مشكوة النبوة والولاية والايمان بهما.

١- المشوب: ح. ٢-فرضهما: ح، ٣-ذوات: ح. ٤- «اللهم اني اسئلك لكل اسم هو لك سميت به نفسك وانزلت في كتابك او علمته احداً من عبادك ، او استأثر به في علم غيبك» انظر نحوه : ابن العربي : الفتوحات ، ف. ٤٠٢ ج: ٧ ، ص: ٣٢٦، ٥- هادية: ح.

فالممتنعات حقائق الهية من شأنها عدم الظهور في الخارج، كما ان من شأن الممكنات ظهورها فيه، وكل حقيقة ممكن وجودها وان كانت باعتبار ثبوتها في الحضرة العلمية ازلاً وابداً، ما شمت رائحة الوجود، لكن باعتبار مظاهرها الخارجية كلها موجودة فيه. وليس شئ منها باق في العلم بحيث لم توجد(١) بعد، لانها بلسان استعداداتها طالبة للوجود العيني. فلو لم يعط الواهب الجواد وجودها، لم يكن الجواد؛ جواداً ولو اوجد بعضها دون البعض، مع انها كلها طالبة للوجود يكون ترجيحا بلا مرجح، وافرادها لتوقفها بازمانها التي يعلمها الحق وقوعها فيها، تظهر من الغيب الى الشهادة ظهوراً غير منقطع الى انقراض النشأة الدنياوية وفي الاخرة ايضاً، كما جاء في الحديث الصحيح: «المؤمن اذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي»(٢) قال تعالى: «ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم».(٣)

والأعيان الممكنة ينقسم الى الأعيان الجوهرية والعرضية. والأعيان الجوهرية كلها متبوعات، والعرضية كلها توابع. والجواهر ينقسم الى بسيط روحاني، كالعقول والنفوس المجردة، والى بسيط جسماني، كالعناصر، والى مركب في العقل دون الخارج، كالماهيات(٤) الجوهرية المركبة من الجنس والفصل والى(٥) بسيط في الخارج دون العقل، كالاجسام البسيطة، والى مركب فيهما كالمولدات الثلاث(٦) وكل من الأعيان الجوهرية والعرضية ينقسم الى أعيان الاجناس العالية والمتوسطة والسافلة. وكل منها ينقسم الى الانواع، وهي الى الاصناف والى الاشخاص. فسبحان الذي «لا يعزب عن علمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم»(٧)

فعالم الأعيان مظهر الاسم الاول والباطن المطلق، وعالم الارواح مظهر الاسم الباطن والظاهر المضافين؛ وعالم الشهادة مظهر الاسم الظاهر المطلق والآخر من وجه؛ وعالم الآخرة مظهر الاسم الآخر المطلق. ومظهر اسم الله الجامع لهذه الاربعة هو الانسان الكامل الحاكم في العوالم كلها. وعالم المثال مظهر الاسم المتولد من اجتماع الظاهر والباطن، وهو البرزخ بينهما. والاجناس العالية مظاهر أمهات الاسماء التي

١- يوقد: ح، ٢- الترمذى: الجنت، ٢٣؛ ابن ماجة: زهد، ٣٩، ٣- فصلت: ٣١، ٤- الماهية: ز، ٥- ساقطة في ح، ٦- الثلث: ز، ٧- سباء: ٣.

تشتمل الاسماء الاربعة عليها. والمتوسطة مظاهر الاسماء التي تحتها في المرتبة. والسافلة مظاهر الاسماء التي دونها في الحيطة والمرتبة.

وكذلك الانواع الحقيقية(١) مظاهر الاسماء التي تحت(٢) حيطة الانواع الاضافية، وهي ان كان بسيطة، يكون كل منها(٣) مظهراً لاسم خاص معين. وان كانت مركبة ،يكون كل منها مظهراً لاسم حاصل من اجتماع اسماء متعددة؛ واشخاصها مظاهر دقائق(٤) الاسماء التي يحصل من اجتماع بعضها مع بعض. ومن هذه الاجتماعات يحصل اسماء غير متناهية ومظاهر لا يتناهى. ومن هنا يعلم سر قوله تعالى «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً»(٥) لان كلماته تعالى، هي أعيان الحقائق كلها وكمالات الاسماء المشتركة، مشتركة بين مظاهرها بخلاف الاسماء المختصة، فان كمالاتها ايضاً مختصة.

ولابد ان يعلم ان كل ما هو موجود في الخارج وله صفات متعددة، فهو مظهر لها كلها. فان كان يظهر منه في كل حين صفة منها، فهو مظهر تلك الصفة في ذلك الحين، كما ان الشخص الانساني تارة يكون مظهر الرحمة وتارة مظهر النقمة باعتبار ظهور الصفتين فيه، وان كان يظهر فيه صفة معينة(٦) او صفات متعددة دائماً، فهو مظهر لها دائماً بحسبها.(٧) فالعقول والنفوس المجردة من حيث انها عالمة بمبادئها وما يصدر منها، مظاهر للعلم الالهي وكتب الهية. والعرش مظهر الرحمن ومستواه؛ والكرسي، مظهر الرحيم. والفلك السابع مظهر الرزاق. والسادس مظهر العليم. والخامس مظهر القهار والرابع مظهر النور والمحي. والثالث مظهر المصور. والثاني مظهر الباري. والاول مظهر الخالق. هذا باعتبار الصفة الغالبة على روحانية الفلك المنسوب اليه ذلك الاسم. فكلما امعنت النظر في الموجودات وظهر لك خصائصها، تعرف انها مظاهر لها. والله الموفق.

، ١- القيقة: ح ، ٢- تجب: ز ، ٣- منهما : ز ، ٤- رقايق: ز ، ٥- الكهف: ١٠٩، ١- متعينة: ح ، ٢- يحسب: ح ،.

تنبيه

الأعيان (الثابتة) من حيث انها صور علمية، لا توصف بانها مجعولة؛ لانها حينئذ معدومة في الخارج. والمجعول لا يكون الاّ موجوداً، كما لا يوصف الصور العلمية والخيالية التي في اذهاننا بانها مجعولة ما لم يوجد في الخارج. ولو كانت كذلك، لكانت الممتنعات ايضاً مجعولة، لانها صور علمية. فالجعل انما يتعلق بها بالنسبة الى الخارج وليس جعلها الاّ ايجادها في الخارج، لان الماهية جعلت ماهية فيه. وبهذا المعنى تعلق الجعل بها في العلم اولى[١] وحينئذ يرجع النزاع لفظياً، اذ لا يمكن ان يقال: ان الماهيات ليست بافاضة فائض في العلم واختراعه، والاّ يلزم ان يكون حادثة بالحدوث الذاتي، لكنها ليس مخترعة كاختراع الصور الذهنية، التي لنا اذا اردنا اظهار شيء لم يكن، ليلزم تأخر الأعيان العلمية عن الحق في الوجود تأخراً زمانياً، بل علمه تعالى ذاته بذاته، يستلزم الأعيان من غير تأخرها عنه تعالى في الوجود فتعين[٢] العلم الذاتي يعلم تلك الأعيان لا بعلم[٣] آخر، كما توهم من جعل علمه بالعالم عين العقل الاول. فافهم.

تنبيه آخر

اعلم ان للأعيان الثابتة اعتبارين: اعتبار انها صور الاسماء، واعتبار انها حقائق الأعيان الخارجية. فهي بالاعتبار الاول كالأبد ان للأرواح، وبالاعتبار الثاني كالأرواح للابدان.

وللاسماء ايضاً اعتباران: اعتبار كثرتها، واعتبار وحدة الذات، المسماة بها كما مر فباعتبار تكثرها محتاجة الى الفيض من الحضرة الالهية الجامعة لها وقابلة له، كالعالم. وبأعتبار وحدة الذات الموصوفة بالصفات، ارباب لصورها فياضة اليها. فبالفيض الاقدس، الذي هو التجلي بحسب اولية الذات وباطنيتها يصل الفيض من حضرة الذات اليها والى الأعيان دائماً. ثم بالفيض المقدس الذي هو التجلي بحسب ظاهريتها واخريتها، وقابلة الأعيان واستعداداتها، يصل الفيض من الحضرة الالهية اليها والى الأعيان الخارجية.

وكل عين هي كالجنس لما تحتها واسطة في وصول ذلك الفيض الى ما تحتها من

١- اوبا : ح ؛ اول: ز ، ٢- فيعين: ز ، ٣- يعلم: ح.

وجه، الى ان ينتهي الى الاشخاص كواسطة(١) العقول والنفوس المجردة الى ما تحتها عما(٢) في عالم الكون والفساد، وان كان يصل الفيض الى كل ما له وجود من الوجه الخاص الذي له مع الحق بلا واسطة. والأعيان من حيث انها ارواح وحقائق للخارجية، ولها جهة المربوبية والربوبية تقبل القيض بالاولى، وترب(٣) صورها الخارجية بالثانية.

فالاسماء مفاتيح الغيب والشهادة مطلقاً، والأعيان الممكنة مفاتيح الشهادة. ولما كان الفيض عليها وعلى الاسماء كلها من حضرة الجمع(٤) من غير انقطاع بحسب استعداداتها، نسب الشيخ رضي الله في الكتاب: الفيض مطلقاً الى حضرة الجمع، والقابلية الى الأعيان، وان كانت هي ايضاً فياضة الى ما تحتها من الصور من حيث ربوبيتها. فلا يتوهم متوهم ان الأعيان لها جهة القابلية فقط. والاسماء لها جهة الفاعلية فقط. وان الاسماء ينقسم الى ما له التاثير، والى ما له التأثر(٥) فيجعل البعض منها فاعلاً مطلقاً. والاخر قابلاً مطلقاً والله اعلم.

هداية للناظرين

الماهيات كلها وجودات خاصة علمية، لانها ليست ثابتة في الخارج، منفكة عن الوجود الخارجي، ليلزم الواسطة بين الموجود والمعدوم، كما ذهبت اليه المعتزلة فان(٦) قولنا: الشئ اما ان يكون ثابتاً في الخارج واما ان لا يكون بديهي. والثابت في الخارج هو الموجود فيه بالضرورة؛ وغير الثابت هو المعدوم. واذا كان كذلك، فثبوتها منفكة عن الوجود الخارجي في العقل. وكل(٧) ما في العقل من الصور فائضة من الحق. وفيض الشئ من غيره مسبوق بعلمه(٨) به، فهي ثابتة في علمه تعالى، وعلمه وجوده(٩) لانه ذاته. فلو كانت الماهيات غير الموجودات المتعينة في العلم، لكان ذاته تعالى محلاً للأمور المتكثرة المتغايرة لذاته تعالى حقيقة، وهو محال.

وما يقال: بانا نتصور الماهية مع ذهولنا عن وجودها انما هو بالنسبة الى الوجود الخارجي؛ اذ لو نذهل عن وجودها الذهني، لم يكن في الذهن شئ اصلاً ولو سلم: ذهولنا عن وجودها الذهني مع عدم الذهول عنها، لا يلزم ايضاً انها يكون غير

١- كوساطة : ح، ٢- هما : ح؛ مما : ز ، ٣- يشرب: ح، ٤- الجميع : ز ، ٥- التأثير: ح ، ٦- لان : ز، ٧- كلما: ز ، ٨- بعلمه : ح ، ٩- وجود: ح ،

الوجود مطلقاً، لجوازان يكون الماهية وجوداً خاصاً يعرض لها الوجود في الذهن، وهو كونها في الذهن، كما يعرض لها في الخارج، وهو كونها في الخارج. فيحصل الذهول عن وجودها في الذهن، ولا يحصل عنها والوجود، قد يعرض لنفسه باعتبار تعدده، كعروض الوجود العام، اللازم للوجودات الخاصة.

والحق ما مر من ان الوجود يتجلى بصفة من الصفات، فيتعين ويمتاز عن الوجود المتجلي بصفة اخرى. فيصير حقيقة ما من الحقائق الاسمائية، وصورة تلك الحقيقة في علم الحق تعالى هي المسماة بالماهية والعين الثابتة. وان شئت قلت تلك الحقيقة هي الماهية فانه ايضاً صحيح.

وهذه الماهية لها وجود خارجي في عالم الأرواح، وهو حصولها فيه، ووجود في عالم(١) المثال وهو ظهورها في صورة جسمانية ووجود في الحس. وهو تحققها(٢) فيه ووجود علمي في اذهاننا وهو ثبوتها فيه. ومن هنا قيل: ان الوجود هو الحصول والكون. وبقدر ظهور نور الوجود بكمالاته في مظاهره تظهر تلك الماهيات، ولوازمها تارة في الذهن واخرى في الخارج. فيقوى ذلك الظهور ويضعف بحسب القرب من الحق والبعد عنه. وقلة الوسائط وكثرتها وصفاء الاستعداد وكدره، فيظهر للبعض جميع الكمالات اللازمة لها وللبعض دون ذلك.

فصور تلك الماهيات اذا كانت(٣) في اذهاننا، هي ظلالات تلك الصور العلمية الحاصلة فينا بطريق الانعكاس من المبادى العالية او بظهور نور الوجود فينا بقدر نصيبنا من تلك الحضرة. ولذلك صعب العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه الاّ من تنور قلبه بنور الحق، وارتفع الحجاب بينه وبين الوجود المحض، فانه يدرك بالحق تلك الصور العلمية على ما هي عليه في انفسها ومع ذلك بقدر انيته(٤) ينحجب عن ذلك، فيحصل التميز بين علم الحق بها وبين علم هذا الكامل. فغاية عرفان العارفين اقرارهم بالعجز والتقصير، وعلمهم برجوع الكل اليه، وهو العليم الخبير. فان علمت قدر ما سمعت، فقد اوتيت الحكمة «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً».(٥)

١- العالم : ح ، ٢- بتحقيها : ح .٣،- ساقطة في ح . ٤- انينية: ز ، ٥- البقرة: ١٦٩،

تتميم(١)

الأعيان من حيث تعيناتها العدمية وامتيازها من الوجود المطلق، راجعة الى العدم، وان كانت باعتبار الحقيقة والتعينات الوجودية عين(٢) الوجود. فاذا قرع سمعك من كلام(٣) العارفين: ان عين المخلوق عدم، والوجود كله لله، فتلق(٤) بالقبول فانه يقول ذلك من هذه الجهة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث كميل رضي الله عنه :«صحو المعلوم مع محو الموهوم» وامثال ذلك كثيرة في كلامهم.

والمراد من قولهم: الأعيان الثابتة في العدم او الموجودة من العدم ليس ان العدم ظرف لها، اذ العدم لا شئ محض، بل المراد انها حال كونها ثابتة في الحضرة العلمية ملتبسة بالعدم الخارجي، موصوفة به فكأنها كانت ثابتة في عدمها الخارجي ثم البسها الحق خلعة الوجود الخارجي اياها، فصارت موجودة. والله اعلم.

الفصل الرابع في الجوهر والعرض على طريقة(٥) اهل الله

اعلم انك اذا امعنت النظر في حقائق الاشياء، وجدت بعضها متبوعة مكتنفة بالعوارض، وبعضها تابعة لاحقة لها. والمتبوعة، هي الجواهر، والتابعة هي الاعراض. ويجمعهما الوجود، اذ هو المتجلي بصورة كل منهما. والجواهر متحدة في عين الجوهر، فهو حقيقة واحدة هي مظهر الذات الالهية من حيث قيوميتها وحقيقتها، كما ان العرض مظهر الصفات التابعة لها. ألا ترى كما ان الذات الالهية لاتزال محتجبة(٦) بالصفات، فكذلك الجوهر لايزال مكتنفاً بالاعراض، وكما ان الذات مع انضمام صفة(٧) من صفاتها، اسم من الاسماء، كلية كانت او جزئية؛ كذلك الجوهر مع انضمام معنى من المعاني الكلية اليه يصير جوهراً خاصاً مظهراً لاسم خاص من الاسماء الكلية، بل عينه، وبانضمام معنى من المعاني الجزئية يصير جوهراً جزئيا كالشخص. وكما انه من اجتماع الاسماء الكلية يتولد اسماء اخرى، كذلك من اجتماع الجواهر البسيطة يتولد جواهر اخرى مركبة منها. وكما ان الاسماء بعضها محيطة بالبعض، كذلك الجواهر بعضها محيطة بالبعض. وكما ان الامهات من

١- تتميمه: ز ، ٢- عن : ز ، ٣- الكلام: ح، ٤- فتلوا: ح ،٥- طريق: ح ، ٦- محتجة: ح ، ٧- ساقطة في ح .

الاسماء منحصرة، كذلك أجناس الجواهر وانواعها منحصرة. وكما ان الفروع من الاسماء غير متناهية كذلك الأشخاص غير متناهية كذلك الاشخاص غير متناهية. وتسمى هذه الحقيقة في اصطلاح اهل الله بالنفس الرحماني والهيولي الكلية. وما تعين منها وصار موجوداً من الموجودات بالكلمات الالهية. فان اعتبرت تلك الحقيقة من حيث جنسيتها التي تلحقها بالنسبة الى الانواع التي تحتها، فهي طبيعة جنسية. وان اعتبرت من حيث فصليتها التي بها يصير الانواع انواعاً، فهي طبيعة فصلية، اذ حصة منها مع صفة معينة هي المحمولة على النوع بهو هو(١)، لا غيرها. وان اعتبرت من حيث حصصها المتساوية(٢) في أفرادها الواقعة تحتها او تحت نوع من انواعها على سبيل التواطؤ، فهي طبيعة نوعية. فالجنسية والفصلية والنوعية من المعقولات(٣) الثانية اللاحقة اياها. فالجوهر بحسب حقيقته عين حقائق الجواهر البسيطة والمركبة، فهو حقيقة الحقائق. كلها تتنزل من عالم الغيب الذاتي الى عالم الشهادة الحسية، وظهر في كل من العوالم بحسب ما يليق بذلك العالم وفيه اقول:

شعر:

حقيقة ظهرت في الكون قدرتها — فاظهرت هذه الأكوان والحجبا

تنكرت بعيون العالمين كما — تعرفت بقلوب عرّف ادباً

فالخلق كلهم استار طلعتها — والأمر اجمعهم كانوا له نقباً

ما في التستر بالأكوان من عجب — بل كونها عينها مما ترى(١) عجباً

***

وليس انضمامه الى المعاني الكلية او الجزئية الاّ ظهوره فيها وتجليته بها تارة في مراتبه الكلية وأخرى في مراتبه الجزئية؛ فهو الذات الواحدة بحسب نفسه المتكثرة بظهوراته في صفاته، وهي بحسب حقائقها لازمة لتلك الذات، وان كانت من حيث ظهورها تتوقف(٤) على اعتدال تكون(٥) عنده بالفعل. فكل ما في فرد بالفعل او بالقوة وقتاً ما او دائما من اللوازم والصفات، فهو فيها غيب. اذ كل ما يظهر، فهو قبل ظهوره فيه بالقوة، والاّ لم يمكن ظهوره.

١- طريق: ح، ٢ - محتجة: ح ، ٣- ساقطة في ح، ٤- ساقطة في ح ، ٥- للمتساوية: ح

والجوهر لا جنس له ولا فصل فلا حد له. وما ذكر من التعريف فهو رسم له، لاحد حقيقي.

ولما كانت التجليات الالهية المظهرة للصفات متكثرة(١) بحكم «كل يوم هو في شأن»(٢) صارت الاعراض متكثرة غير متناهية وان كانت الامهات منها متناهية. وهذا التحقيق ينبهك(٣) على ان الصفات من حيث تعيناتها في الحضرة الاسمائية حقائق متمايزة(٤) بعضها عن بعض وان كانت راجعة الى حقيقة واحدة مشتركة بينها من وجه(٥) اخر، كما ان مظاهرها حقائقها متمائزة بعضها عن بعض مع(٦) كونها مشتركة في العرضية. لان كل ما في الوجود دليل وآية على ما في الغيب.

تنبيه بلسان اهل النظر

اعلم ان الممكنات منحصرة في الجواهر والاعراض. والجوهر عين الجواهر في الخارج، وامتياز بعضها عن البعض بالاعراض اللاحقة له. وذلك لان الجواهر كلها مشتركة في الطبيعة الجوهرية وممتازة(٧) بعضها عن البعض بامور غير مشتركة. فتلك الامور المميزة خارجة عن الطبيعة الجوهرية فيكون اعراضاً.

لايقال: لم لايجوز ان يكون الجوهر عرضاً عاماً لها، لانا نقول: العرض العام انما يغاير أفراد معروضة في العقل لا في الخارج. فهو بالنظر الى الخارج عين تلك الافراد والاّ لايكون محمولاً عليها بهو(٨) هو، وهو المطلوب. وايضاً لو كانت الطبيعة الجوهرية عرضاً(٩) عاماً خارجاً عن الجواهر في الخارج، لكانت الحقائق الجوهرية غير جواهر في انفسها وذواتها من حيث انها معروضة لها، اذ العارض غير المعروض ضرورة.

وايضاً ان كانت تلك الطبيعة موجودة بوجود غير افرادها، لكانت كالاعراض فلا يحمل عليها، وكان انعدام الطبيعة الجوهرية غير موجب لانعدامها، لكونها خارجة عنها. وانعدام اللازم البين ليس موجباً لعدم ملزومه؛ بل علامة له كما مر في الوجود. وان لم تكن موجودة لكانت الافراد الجوهرية غير جواهر في الخارج، لعدم الجوهرية

١- المعلولات: ز ، ٢- نرى : ح ، ٣ - متوقف: ز ، ٤- يكون:ز، ٥- المتكثرة: ز ، ٦= الرحمن : ٢٩، ٩= ينبهى : ح ، ٧- يمتاز: ح ، ٨- ساقطة في ح ، ٩- ساقطة في ح.

فيه، وهو محال. وان كانت موجودة بعين وجود الجواهر، فهي عينها في الخارج وهو المطلوب.

وايضاً لو لم يكن الجوهر عين كل ما يصدق عليه من الجزئيات في الخارج حقيقة لا يخلو اما ان يكون داخلاً في الكل، فيلزم تركب الماهية من جواهر، غير متناهية ان كان فصلها جواهر لكونها داخلاً في فصلها ايضاً لجوهريته ودخول الجوهر فيه، ويلزم ان لايكون شئ من الجواهر بسيطاً او تركب الماهية من الجوهر والعرض ان كان فصلها عرضاً، فتكون الماهية الجوهرية عرضية او داخلاً في البعض دون البعض، فيلزم ان يكون البعض المعروض له في حد ذاته مع قطع النظر عن عارضه غير جزهر او خارجاً عن الكل، وهو اشد استحالة من الثاني بعين ما مر. فتعين ان يكون عين افراده في الخارج، فالامتياز بينها بالاعراض الخاصة، اذ لايجوز ان يكون المميز نفسه ولا فرداً من افراده.

لا يقال: لو كانت الأعيان الجوهرية مختلفة بالاعراض المعينة لها فقط، لما كانت بذواتها ممتازة بل مشتركة كاشتراك الافراد الانسانية في حقيقة واحدة. لأنا نقول: الجواهر كلها مشتركة في الحقيقة الجوهرية، كاشتراك الافراد الانسانية في حقيقة ذلك النوع، والامتياز بينها بذواتها بعد حصول ذواتها، والانواع لا تصير انواعاً الاّ بالاعراض الكلية اللاحقة للحقيقة الجوهرية، كما لا تصير الاشخاص اشخاصاً الاّ بالاعراض الجزئية اللاحقة (١) للحقيقة النوعية. الا ترى ان الحيوان يلحقه النطق، فيصير به انساناً ويلحقه الصهيل فيصير به فرساً، ويلحقه النهيق فيصير به حمارا. وكل منها عرض. فاذا اريد ان يحمل بالمواطأة احتيج(٢) الى الاشتقاق.

فقيل: الانسان حيوان ناطق، والفرس حيوان صهال. فالنطق محمول بالاشتقاق، والناطق محمول بالمواطاة. والشئ الذي له النطق المفهوم من الناطق هو بعينه الحيوان الذي في الوجود الانساني، وان كان أعم منه في العقل. لذلك يحمل(٣) بهو هو فما ثم(٤) غير الحيوان(٥) والنطق. فعلم ان التركيب المعنوي انما هو بين الطبيعة الحيوانية والطبيعة النطقية لاغير. والاول مشترك، والثاني غير مشترك؛ ولا يلزم تركب الجوهر من الجوهر والعرض، لان ما له النطق هو الجوهر لا المركب كالشخص.

والفرق بين المعاني المنوعة وبين المشخصة بان الاولى انضمام الكلي الى الكلى، فلا يخرجه عن كليته؛ والثانية انضمام الجزئي بالكلي، فيخرجه عنها. والعرض

١- ساقطة في ح، ٢- احتج: ح، ٣- حمل : ح، ٤- تم :ح ، ٥-الحيوة:ح.

العام(١) ما يشتمل حقيقتين فصاعداً والخاصة ما يختص بحقيقة واحدة. الاول كالمشي والاحساس. والثاني كالنطق والضحك. وما له المشي المعبر عنه بالماشي المسمى بالعرض العام، وما له الضحك المعبر عنه بالضاحك المسمى بالخاصة عند اهل النظر هو عين الحيوان والانسان في الوجود، لا أمر زائد عليهما خارج منهما. وان كان بحسب المفهوم اعم منهما فما هو عرض عام بالنسبة الى الانواع، فهو فصل منوع بالنسبة الى الجنس الذي هذه الانواع تحته. وما هو خاصة فهو فصل للنوع، وكون الناطق محمولا على الانسان بحمل(٢) المواطأة يمنع ان يقال: ان الشئ الذي في(٣) الحمل له النطق، ماهية اخرى محمولة على الانسان باتحاد(٤) وجودهما، لان حمل ماهية على غيرها مباينة(٥) اياها محال؛ واتحاد الوجود لا مدخل له(٦) في الحمل.(٧) اذ الحمل على الماهية لا على الوجود. ولو جاز ذلك لجاز حمل اجزاء ماهية مركبة من الاجزاء الموجودة عليها عند كونها موجودة بوجود واحد هو وجود المركب.

ولا تظن ان مبدأ النطق الذي هو النفس الناطقة، ليس للحيوان، لينضم معه، فيصير الحيوان به انساناً مع انه غير صالح للفصلية لكونه موجوداً مستقلاً في الخارج، بل هذا المبدأ مع كل شئ حتى الجماد ايضاً. فان لكل شئ نصيباً من عالم الملكوت والجبروت وقد جاء ما يؤيد ذلك من معدن الرسالة، المشاهد للاشياء بحقائقها، صلوات الله عليه، مثل تكلم الحيوانات والجمادات معه وقال تعالى: «**وان من شئ الاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**»(٨) وظهور النطق لكل واحد بحسب العادة والسنة الالهية موقوف على اعتدال المزاج الانساني، واما للكمل فلا لكونهم مطلعين على بواطن الاشياء مدركين لكلامها. وما قال المتأخرون بان المراد بالنطق هو ادراك الكليات لا التكلم، مع كونه مخالفاً لوضع اللغة لايفيدهم، لانه موقوف على ان الناطقة المجردة للانسان فقط. ولا دليل لهم على ذلك ولا شعور لهم على ان الحيوانات ليس لهم ادراك كلى. والجهل بالشئ لاينافي وجوده، وامعان النظر فيما يصدر منها من العجائب يوجب ان يكون لها ادراكات كلية. وايضاً لايمكن ادراك الجزئي بدون كلية، اذ الجزئى هو الكلي مع التشخص.(٩) والله الهادي.

١- ساقطة في ح، ٢- يحمل: ح، ٣- ساقطة في ح، ٤- لاتحاد: ز، ٥- مبائية: ح، ٦- لها: ح، ٧- ساقطة في ز، ٨- الاسراء، ٩- الشخص: ح.

تنبيه اخر

العرض كما انه بالذات طالب لمحل يقوم به وهو الجوهر؛ كذلك(١) الجوهر طالب بذاته للعرض ليظهر به، بل هو علة وجود العرض وطلبه. فحصل الارتباط بينهما من غير انفكاك. وكل منهما ينقسم بنوع من الانقسام الى ما هو جوهر وعرض في العقل، والى ما هو جوهر وعرض في الخارج. الاول كالأعيان الجوهرية والعرضية الثابتة في الحضرة العلمية، والاجناس والفصول المحمولة بالمواطأة للانواع الخارجية. والثاني كالجواهر والاعراض الموجودة في الخارج. ولذلك عرف الجوهر بانه «ماهية لو وجدت لكانت لا في موضوع او موجودة لا في موضوع». والعرض بمقابله. والتركيب(٢) بين الجوهرين او اكثر من القسم الاول لا ينافي الحمل على ما هو موضوع لهما كالحيوان والناطق المحمولين على الانسان بمقابله.

تذنيب في الوجود والامكان والامتناع

لما ذكر الشيخ رضي الله عنه في الكتاب: «الوجوب بالذات وبالغير، والامكان والممكن والامتناع، احتجنا الى بيان النسب الثلاث على هذه الطريقة». فنقول: الوجوب والامكان والامتناع من حيث انها نسب عقلية صرفة لا تحقق لها في الاعيان، تحقق الاعراض في معروضاتها الخارجية، ولا وجود لها الأ في الاذهان. لانها احوال تابعة للذوات الغيبية(٣) الثابتة في الحضرة العلمية، اما بالنظر الى وجوداتها الخارجية، كالامكان للممكنات والامتناع للممتنعات، واما بالنظر الى عين تلك الذات، كالوجوب للوجود من هو هو، فانه واجب بذاته، وليس وجوبه بالنظر الى الوجود الزائد الخارجي. فالوجوب هو ضرورة اقتضاء الذات عينها وتحققها في الخارج. والامتناع هو ضرورة اقتضاء الذات عدم الوجود الخارجي. والامكان عدم اقتضاء الذات للوجود والعدم. فالامكان والامتناع صفتان سلبيتان من حيث عدم اقتضاء الموصوف بهما الوجود الخارجي. والوجوب صفة ثبوتية.

لا يقال: الممتنعات لاذات لها فلا اقتضاء لها. لانا بينا انها قسمان: قسم فرضه العقل ولا ذات له، وقسم امور ثابتة بل اسماء الهية. وقد تقدم في بيان الاعيان ان

١- ساقطة في ز، ٢- ساقطة في ح، ٣- العينية : ح.

الوجوب يحيط بجميع الموجودات الخارجية والعلمية، لانها ما لم يوجب وجودها(١) لم يوجد لا في الخارج ولا في العقل.

فانقسم الوجوب الى الوجوب بالذات، والى الوجوب بالغير. واعلم: ان هذا الانقسام، انما هو من حيث الامتياز بالربوبية والعبودية، واما من حيث الوحدة الصرفة، فلا وجوب بالغير، بل بالذات فقط. وكل ما هو واجب بالغير فهو ممكن بالذات. فقد احاطها الامكان ايضاً، وسبب اتصافها بالامكان هو الامتياز. ولولاه، لكان الوجود على وجوبه الذاتي.

ولما كان منشأ هذه النسب الثلاث(٢) هو الحضرة العلمية. ذهب بعض الاكابر الى ان حضرة الامكان هي حضرة العلم بعينها. وهذه المباحث العقلية التي تقدم ذكرها هنا وفي الفصول السابقة، وان كان فيها ما يخالف ظاهر الحكمة النظرية، لكنها في الحقيقة روحها الظاهرة من انوار الحضرة النبوية العالمة بمراتب الوجود ولوازمها. لذلك لا يتحاشى اهل الله عن اظهارها، وان كان المتفلسفون ومقلدوهم يأبون عن امثالها. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

خاتمة في التعين

اعلم: ان التعين ما به امتياز الشئ عن غيره، بحيث لايشاركه فيه غيره، وهو قد يكون عين الذات كتعين الواجب الوجود الممتاز بذاته عن غيره، وكتعينات الاعيان الثابتة في العلم، فانها ايضاً عن ذواتهم. اذ الوجود مع صفة معينة له في الحضرة العلمية، يصير ذاتاً وعيناً ثابتة؛ وقد يكون امراً زائداً على ذاته حاصلا له دون غيره، كامتياز الكاتب من الامي بالكتابة وقد يكون بعدم حصول ذلك الامر له، كامتياز الامي من الكاتب بعدم الكتابة. والاول يخلو من ان يعتبر حصول هذا الامر له مع قطع النظر عن عدم حصول عين(٣) ذلك الامر كاعتبارنا(٤) حصول الكتابة لزيد مع قطع النظر عن عدم حصول الخياطة له او يعتبر حصوله مع عدم حصول غيره له.

فالتعين الزائد قد يكون وجودياً، وقد يكون عدمياً، وقد يكون مركباً من الوجودي والعدمي. والنوع الواحد يجمع لجميع(٥) انواعه. لان الانسان مثلاً ممتاز بذاته عن الفرس وبحصول صفة وجودية في مظهر من مظاهره يمتاز عن الظاهر بصفة

١- ما زائدة في ز ، ٢- الثلث: ز ، ٣- عين : ز .٤- ٤ كما اعتبارنا، ٥- بجميع : ح.

وجودية اخرى، كزيد الرحيم الممتاز عن عمرو القهار ويمتاز الظاهر بصفة وجودية عن الظاهر بصفة عدمية كالعليم من الجهول، ويمتاز الكاتب الغير الخياط عن الخياط الغير الكاتب بصفة وجودية مع عدم صفة اخرى وبالعكس. والتعينات الزائدة كلها من لوازم الوجود حتى ان الاعدام المتمايزة بعضها عن بعض تمايزها ايضاً باعتبار وجوداتها في(١) ذهن المعتبر لها او باعتبار وجودات ملكاتها.

فلا يقال: ان الاختلاف بين الموجودات لو كان بالتعينات فقط، لما كانت ممتازة بذواتها بل كانت بذواتها مشتركة كاشتراك افراد الانسانية في حقيقة واحدة، لانا نقول: الذوات انما تصير ذواتا بالتعينات العلمية، واما قبل تلك التعينات فليس الاّ الذات الالهية التي هي الوجود المحض لاغير، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولم يكن معه شئ»(٢) فثبت ان اختلاف الاعيان بذواتها انما يحصل اولاً من التعينات التي بها تصير الذوات ذواتاً، كما ان الاشخاص بالمشخصات صارت اشخاصاً. لان لها ذوات زائدة(٣) متمايزة بذواتها او بصفاتها. والله اعلم.

الفصل الخامس في بيان العوالم الكلية والحضرات الخمسة الالهية

العالم، لكونه مأخوذاً من العلامة، لغة عبارة عما به يعلم الشئ، واصطلاحاً عبارة عن كل ما سوى الله تعالى، لانه يعلم به الله من حيث اسمائه وصفاته. اذ بكل فرد من افراد العالم يعلم اسم من الاسماء الالهية، لانه مظهر اسم خاص منها. فبالاجناس والانواع الحقيقية يعلم الاسماء الكلية، حتى يعلم بالحيوانات المستحقرة عند العوام، كالذباب والبراغيث والبق وغير ذلك اسماء هي مظاهر لها. فالعقل الاول لاشتماله على جميع كليات حقائق العالم وصورها على طريق الاجمال، عالم كلي يعلم به الاسم(٤) الرحمن والنفس(٥) الكلية لاشتمالها على جميع جزئيات ما اشتمل عليه العقل الاول تفصيلاً، ايضاً عالم كلي يعلم به اسم الرحمن الرحيم والانسان الكامل الجامع لجميعها اجمالا في مرتبة روحه وتفصيلا في مرتبة قلبه، عالم كلي يعلم به الاسم الله الجامع للاسماء.

واذا كان كل فرد من افراد العالم علامة لاسم الهي، وكل اسم لاشتماله بالذات الجامعة لاسمائها، مشتمل عليها، كان كل فرد من افراد العالم ايضاً عالماً يعلم به

١-ساقطة في ح، ٢- البخاري: بدء الخلق، ٣- ساقطة في ح، ٤- سم:ح، ٥- نفس:ح.

جميع الاسماء. فالعوالم غير متناهية من هذا الوجه، لكن لما كانت الحضرات الالهية الكلية خمساً، صارت العوالم الكلية الجامعة لما عداها ايضاً كذلك.

واول الحضرات الكلية حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الاعيان الثابتة في الحضرة العلمية وفي مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك. وحضرة(١) الغيب المضاف وهي ينقسم الى ما يكون اقرب من الغيب المطلق، وعالمه عالم الارواح(٢) الجبروتية والملكوتية؛ اعنى عالم العقول والنفوس المجردة، والى ما يكون اقرب من الشهادة وعالمه عالم المثال. وانما انقسم الغيب المضاف الى قسمين، لان للارواح صوراً مثالية مناسبة لعالم الشهادة المطلق(٣) صوراً عقلية مجردة مناسبة للغيب المطلق. والخامسة، الحضرة الجامعة للاربعة المذكورة، وعالمها العالم الانساني الجامع لجميع العوالم وما فيها. فعالم الملك مظهر عالم الملكوت، وهو العالم المثالي المطلق، وهو مظهر عالم الجبروت، اي عالم المجردات، وهو مظهر عالم الاعيان الثابتة، وهو مظهر الاسماء الالهية والحضرة الواحدية، وهي مظهر الحضرة الاحدية.

تنبيه

يجب ان يعلم ان هذه العوالم كليتها وجزئيتها كتب الهية لاحاطتها بكلماته التامات. فالعقل الاول والنفس الكلية اللتان هما صورتا ام الكتاب، وهي الحضرة العلمية، كتابان الهيان. وقد يقال للعقل الاول ام الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالاً، وللنفس الكلية، الكتاب المبين لظهورها فيها تفصيلاً. وكتاب المحو والاثبات وهو الحضرة النفس المنطبعة في الجسم الكلي، فهو صورة تلك الحضرة، من حيث تعلقها بالحوادث. وهذا المحو والاثبات انما يقع للصور الشخصية التي فيها باعتبار احوالها اللازمة لاعيانها بحسب استعداداتها الاصلية المشروطة بالاوضاع الفلكية المعدة لتلك الذوات ان تتلبس بتلك الصور مع احوالها الفائضة عليها من الحق سبحانه بالاسم المدبر والماحي والمثبت والفعال لما يشاء وأمثالها(٤). والانسان الكامل كتاب جامع لهذه الكتب المذكورة، لانه نسخة العالم الكبير.

قال العارف الرباني علي بن ابي طالب عليه السلام:

دوائك(٥) فيك وما تشعر ، ودائك فيك وما تبصر
وتزعم انك جرم صغير ، وفيك انطوى العالم الاكبر
فانت الكتاب المبين الذي، باحرفه يظهر المضمر

١- حضرت: ح، ٢- أرواح: ح، ٣- ساقطة في ز، ٤- أمثال ذلك: ز ، ٥- دائك : ح؛ ذاتك: ز .

وقال الشيخ رضي الله عنه:

انا القرآن والسبع المثاني، وروح الروح لا روح الاواني
فؤادي عند مشهودي مقيم، يشاهده وعندكم لساني

***

فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والاثبات، فهي الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لايمسها ولايدرك أسرارها ومعانيها إلاّ المطهرون من الحجب الظلمانية. وما ذكر من الكتب، انما هي اصول الكتب الالهية. واما فروعها، فكل ما في الوجود من العقل والنفس، والقوى الروحانية والجسمانية وغيرها، لانها مما ينتقش[1] فيها احكام الموجودات إما كلها او بعضها، سواء كان مجملاً او مفصلاً، واقل ذلك انتقاش احكام عينها فقط. والله اعلم.

تنبيه آخر

لابد ان تعرف ان نسبة العقل الاول الى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الانساني الى البدن وقواه. وان النفس الكلية قلب العالم الكبير كما ان الناطقة قلب الانسان. لذلك يسمى العالم بالانسان الكبير. ولا يتوهم، ان الصور التي يشتمل العقل الاول والنفس الكلية عليها، غير حقائقها، بان يفيض من الحق سبحانه عليهما صور منفكة عن حقائقها، بل افاضة تلك الصور عليهما عبارة عن ايجاد تلك الحقائق فيهما. وكل ما في الخارج من الحقائق، كالظلال لتلك الصور، اذ هي التي تظهر في الخارج بواسطة ظهورها فيهما اولاً، ويحصل لهما العلم بها بعين تلك الصور الفائضة عليهما لا بالصور المنتزعة من الخارج وتلك الحقائق عين حقيقة العقل الاول بل عين كل عالم بها بحسب الوجود المحض، وان كانت من حيث تعيناتها ومعلوميتها غيرها. لانا بينّا ان الحقائق كلها راجعة الى الوجود المطلق بحسب الحقيقة، فكل منها عين الآخر باعتبار الوجود، وان كانت متغايرة بالتعينات. وايضاً هو اول صورة ظهرت في الخارج للحضرة الالهية.

وقد بينا ان الحقائق الاسمائية في هذه المرتبة من وجه عينها، ومن وجه غيرها،

١- تنتقش : ح.

فمظهرها(١) ايضاً كذلك. فاتحاد الحقائق فيه، كاتحاد بني آدم كلها في آدم قبل ظهورها بتعيناتها، وان كانت بحسب هوياتهم مختلفة عند الظهور، بل هو آدم الحقيقي. ويؤيده قوله عليه السلام: «اول ما خلق الله نوري».(٢) والاختلاف بالماهيات مستعملة(٣) كالاختلاف بالهويات، فان كلا(٤) منهما عبارة عما به الشئ هو هو. والفرق بينهما ان الماهية مستعملة في الكليات، والهوية في الجزئيات.

فلا يقال: بنى آدم متحدة بالنوع والماهيات مختلفة بذواتها فلا يمكن اتحادها. ولأنا بينا ان الماهيات وجودات خاصة عليمة متعينة بتعينات كلية، وكلها متحدة في الوجود من حيث هو هو، والتميز العقلي بين العالم والمعلوم لاينافي الوحدة في الوجود، كما ان الاشعة الحاصلة في النهار او في الليلة القمراء واحدة في الوجود، مع ان العقل يحكم بان نور الشمس او القمر غير نور الكوكب، واصل اتحاد المعلومات بالعلم والعالم، انما هو اتحاد الصفات والاسماء والاعيان بالحق لاغير. وهكذا حال الصور الحاصلة في كل عالم، سواء كانت منتزعة، او غير منتزعة فانها ليست منفكة عن حقائقها، لانها كما هي موجودة في الخارج، كذلك موجودة في العالم العقلي والمثالي والذهني. وحصول صورة الشئ منفكة عن حقائقها لا يكون علماً بها ضرورة. اذ(٥) الصورة غيرها عندهم.

والانسان لكونه نسخة العالم الكبير مشتمل على ما فيه من الحقائق كلها، بل هي عينه من وجه بعين ما مر. وما حجبه عنها(٦) الا النشأة العنصرية. فبقدر زوال الاحتجاب يظهر الحقائق فيه، فحاله مع معلوماته كحال العقل الاول، بل في التحقيق علمه ايضاً فعلي من وجه، وهو من حيث مرتبته وان كان انفعالياً من وجه آخر، بل هو أشد اتصافاً بالعلم الفعلى(٧) من العقل الاول. لانه الخليفة والمتصرف في كل العوالم. وحقيقة هذا الكلام وما ذكر من قبل، انما يتجلى لمن يظهر له حقيقته(٨) الفعّالية ويظهر له وحدة الوجود في مراتب الشهود. وان علمه تعالى عين ذاته، ومعلوماته ايضاً كذلك، والامتياز بتجلياته المعينة فقط. والله اعلم بالحقائق.

١- فظهر:ز، ٢- العجلوني: كشف الخفاء، ج ١، ص:٢٦٣، ٣- ساقطة في ح، ٤-كل :ز، ٥-اذا :ح، ٦- بها:ح، ٧-العقلي:ز ، ٨- حقيقة:ز.

الفصل السادس فيما يتعلق بالعالم المثالي:

اعلم ان العالم المثالي هو عالم روحاني من جوهر نوراني شبيه بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر المجرد العقلي في كونه نورانياً. وليس بجسم مركب مادي ولا جوهر مجرد عقلي، لانه برزخ و حد فاصل بينهما. وكل ما هو برزخ بين الشيئين لابد ان يكون غيرهم، بل له جهتان يشبه بكل منهما ما يناسب عالمه، اللهم الاّ ان يقال: انه جسم نوري في غاية ما يمكن من اللطافة، فيكون حداً فاصلاً بين الجواهر المجردة اللطيفة وبين الجواهر الجسمانية المادية الكثيفة. وان كان بعض هذه الاجسام ايضاً ألطف من البعض كالسماويات(١) بالنسبة الى غيرها، فليس بعالم عرض، كما زعم بعضهم، لزعمه ان الصور المثالية منفكة عن حقائقها، كما زعم في الصور العقلية.

والحق ان الحقائق الجوهرية موجودة في كل من العوالم الروحانية والعقلية والخيالية، ولها صور بحسب عوالمها. فاذا حققت وجدت القوة الخيالية التي للنفس الكلية المحيطة بجميع ما احاط به غيرها من القوى الخياليات محل ذلك العالم ومظهره، وانما يسمى بالعالم المثالي، لكونه مشتملاً على صور ما في العالم الجسماني، ولكونه اول مثال صوري لما في الحضرة العلمية الالهية من صور الاعيان والحقائق، ويسمى ايضاً بالخيال المنفصل، لكونه غير مادي شبيهاً بالخيال المتصل. فليس معنى من المعاني ولاروح من الارواح الاّ وله صورة مثالية مطابقة لكمالاته.(٢) اذ لكل منها نصيب من الاسم الظاهر. لذلك ورد في الخبر الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام في السدرة وله ستمائة جناح، وفيه ايضاً انه يدخل كل صباح ومساء في نهر الحياة ثم يخرج فينفض اجنحته، فخلق سبحانه من قطراته ملائكة لاعدد لها.

وهذا العالم يشتمل على العرش والكرسي والسموات السبع والارضين وما في جميعها من الاملاك(٣) وغيرها، ومن هذا المقام يتنبه الطالب على كيفية المعراج النبوي وشهوده صلى الله عليه وسلم آدم في السماء الاولى، ويحيى وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وادريس في الرابعة، وهارون في الخامسة ،وموسى في السادسة، وابراهيم في السابعة، صلوات الله عليهم اجمعين، وعلى الفرق بين ما شاهده في النوم والقوة الخيالية من العروج الى السماء، كما يحصل للمتوسطين في

١- السموات: ز ، ٢- بكمالاته:ز، ٣- الافلاك: ح.

السلوك وبين ما يشاهده في العالم الروحاني. وهذه الصور المحسوسة ظلال تلك الصور المثالية. لذلك يعرف العارف بالفراسة الكشفية من صورة العبد احواله، قال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله».(١) وقال عليه السلام «في الدجال مكتوب على ناصيته ك ف ر ولا يقرأه(٢) إلاّ مؤمن». (٣)وقال تعالى: «سيماهم في وجوههم من اثر السجود»(٤) في حق اهل الجنة، وفي حق اهل النار «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام».(٥) والمثالات المقيدة التي هي الخيالات ايضاً، ليست الاّ انموذجاً منه وظلاً من ظلاله خلقها الله تعالى دليلاً على وجود العالم الروحاني، ولهذا جعلها ارباب الكشف متصلة بهذا العالم ومستنيرة منه، كالجداول و الانهار والمتصلة بالبحر والكوى والشبابيك التي يدخل منها الضوء في البيت.

ولكل من الموجودات التي في عالم الملك مثال مقيد كالخيال في العالم الانساني، سواء كان فلكاً او كوكباً او عنصراً او معدناً او نباتاً او حيواناً. فان لكل منها روحاً وقوى روحانية وله نصيب من عالمه والا لم تكون(٦) العوالم متطابقة(٧)، غاية ما في الباب انه في الجمادات غير ظاهر كظهوره في الحيوان، قال الله تعالى: «وان من شيئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»(٨) وقد جاء في الخبر الصحيح ما يؤيد ذلك من مشاهدة الحيوانات اموراً لايشاهدها من بني ادم الا ارباب الكشف اكثر من ان يحصى. وذلك الشهود يمكن ان يكون في عالم المثال المطلق ويمكن ان يكون في المثال المقيد. والله اعلم بذلك. ولعدم شهود المحجوبين من الانسان جعلهم الله اسفل سافلين.

والسالك اذا اتصل في سيره الى المثال المطلق بعبوره عن خياله المقيد يصيب في جميع ما يشاهده ويجد الامر على ما هو عليه، لتطابقها بالصور العقلية التي في اللوح المحفوظ، وهو مظهر العالم الالهي. ومن هنا يحصل الاطلاع للانسان على عينه الثابتة واحوالها بالمشاهدة، لانه ينتقل من الظلال الى الانوار الحقيقية، كما يطلع عليها بالانتقال المعنوي وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى في الفصل الثامن.

واذا شاهد امراً ما في خياله المقيد يصيب تارة ويخطئ أخرى. وذلك، لان المشاهد اما ان يكون امراً حقيقياً او لا. فان كان، فهو الذي يصيب المشاهد فيه، والاّ

١- الترمذي: تفسير الحجر:٦، ٢- يراه:ز، ٣- الترمذي: فظن، ٥٦، ٤- الفتح:٢٩، ٥- الرحمن: ٤١، ٦- ساقطة في ح، ٧- متطيفة:ح، ٨- الاسراء:٤٤، ٩- فسلم: ز.

فهو الاختلاق الصادر من التخيلات الفاسدة، كما يختلق العقل المشوب بالوهم للوجود وجوداً ولذلك الوجود وجوداً آخر، وللبارئ تعالى شريكاً وغيرها من الاعتبارات(١) التي لاحقيقة لها في نفس الامر؛ قال تعالى: «إن هي إلاّ اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان».(٢) وللاصابة اسباب بعضها راجع الى النفس وبعضها الى البدن وبعضها اليهما جميعاً.

اما الاسباب الراجعة الى النفس، كالتوجه التام الى الحق والاعتياد بالصدق، وميل النفس الى العالم الروحاني العقلي وطهارتها عن النقائص واعراضها عن الشواغل البدنية واتصافها بالمجاهد(٣). لان هذه المعاني توجب تنورها وتقويها، وبقدر ما قويت النفس وتنورت، تقدر على خرق(٤) العالم الحسي ورفع الظلمة الموجبة لعدم الشهود، وايضاً تقوى بالمناسبة بينها وبين الأرواح المجردة لاتصافها بصفاتها، فتفيض عليها المعاني الموجبة للانجذاب اليها من تلك الارواح، فيحصل الشهود التام. ثم اذا انقطع حكم ذلك الفيض، ترجع النفس الى الشهادة متصفة بالعلم، منتقشة بتلك الصور بسبب انطباعها في الخيال. والاسباب الراجعة الى البدن صحته واعتدال مزاجه الشخصي ومزاجه الدماغي والاسباب الراجعة اليهما الإتيان بالطاعات والعبادات البدنية والخيرات واستعمال القوى وآلاتها بموجب الاوامر الالهية وحفظ الاعتدال بين طرفي الافراط والتفريط فيها، ودوام الوضوء وترك الاشتغال بغير الحق دائماً بالاشتغال بالذكر وغيره، خصوصاً من اول الليل الى وقت النوم. واسباب(٥) الخطاء ما يخالف ذلك من سوء مزاج الدماغ واشتغال النفس باللذات الدنيوية واستعمال القوة المتخيلة في التخيلات الفاسدة والانهماك في الشهوات والحرص على المخالفات. فان كل ذلك مما يوجب الظلمة وازدياد الحجب.

فاذا اعرضت النفس من الظاهر الى الباطن بالنوم تتجسد لها هذه المعاني، فتشغلها عن عالمها الحقيقي فتقع مناماته (٦) اضغاث احلام لا يؤبه بها او يرى ما تخيله المتخيلة بعينه، وما يرى بسبب انحراف المزاج كثيراً ما يكون اموراً مزعجة لها بحيث(٧) تغير مزاج بدنها اكثر مما كان. فهذه الامور المشاهدة كلها نتائج احواله الظاهرة؛ ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً.

ومشاهدة الصور تارة تكون في اليقظة وتارة في النوم؛ وكما ان النوم ينقسم

١- اعتبارات: ز، ٢- النجم: ٢٣، ٣- بالمجادة: ز، ٤- فرق: ح، ٥- الاسباب: ح، ٦- ساقطة في ح، ٧- بحسب: ز.

باضغاث احلام وغيرها، كذلك ما يرى في اليقظة ينقسم الى أمور حقيقية محضة واقعة في نفس الامر، والى امور خيالية صرفة لاحقيقة لها شيطانية، وقد يخلطها الشيطان بيسير من الامور الحقيقية ليضل الرآئي. لذلك يحتاج السالك الى مرشد يرشده وينجيه من المهالك.

والاول اما ان يتعلق بالحوادث اولاً فان كان متعلقاً بها، فعند وقوعها كما شاهدها، او على سبيل التعبير وعدم وقوعها يحصل التميز بينها وبين الخيالية الصرفة، وعبور الحقيقة عن صورتها الاصلية انما هو للمناسبات التي بين الصور الظاهرة هي فيها وبين الحقيقة، ولظهورها فيها اسباب كلها راجعة الى أحوال الرآئي وتفصيله يؤدي الى التطويل؛ واما اذا لم يكن كذلك. فللفرق بينها وبين الخيالية الصرفة موازين يعرفها ارباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم، كما ان للحكماء ميزاناً يفرق بين الصواب والخطاء، وهو المنطق. منها ما هو ميزان عام وهو القرآن والحديث المنبئ كل منهما على الكشف التام المحمدي، صلى الله عليه وسلم ومنها ما هو خاص، وهو ما يتعلق بحال كل منهم الفائض عليه من الاسم الحاكم، والصفة الغالبة (١) عليه وسنومئ في الفصل التالي(٢) بعض ما يعرف(٣) به اجمالاً إن شاء الله تعالى.

تنبيه:

لابد ان تعلم(٤) كل ما له وجود في العالم الحسي، هو موجود في العالم المثالي دون العكس. لذلك قال ارباب الشهود «ان العالم الحسي بالنسبة الى عالم المثالي كحلقة ملقاة في بيداء لا نهاية لها». اما اذا اراد الحق تعالى ظهور ما لا صورة لنوعه في هذا العالم في الصور(٥) الحسية، كالعقول المجردة وغيرها تتشكل باشكال المحسوسات بالمناسبات التي بينها وبينهم وعلى قدر استعداده ما له التشكل كظهور جبريل عليه السلام، بصورة دحية الكلبي وبصور اخرى، كما نقل عن عمر من حديث السؤال عن الايمان والاسلام والاحسان؛ وكذلك باقي الملائكة السماوية والعنصرية والجن ايضاً، وان كان لها اجسام نارية، كما قال الله تعالى فيهم: «وخلق الجان من مارج من نار»(٦) والنفوس الانسانية الكاملة ايضاً تتشكلون(٧) باشكال

١- الغالبة: ز، ٢- الثاني: ح، ٣- يفرق: ح، ٤- يعلم: ز، ٥- الصورة: ح، ٦- الرحمن: ١٥، ٧- يتشكلون: ز.

غير اشكالهم المحسوسة، وهم في دار الدنيا لقوة انسلاخهم من ابدانهم وبعد انتقالهم ايضاً الى الاخرة لازدياد تلك القوة بارتفاع المانع البدني.

ولهم الدخول في العوالم الملكوتية كلها كدخول الملائكة في هذا العالم، وتشكلهم(١) باشكال اهله، ولهم ان يظهروا في خيالات المكاشفين، كما تظهر الملائكة والجن، وهؤلاء هم المسمون بالبدلاء. وقد يفرق بينهم وبين الملائكة اصحاب الاذواق(٢) بموازينهم(٣) الخاصة بهم، وقد يلهمهم الحق سبحانه ما يحصل به العلم بهم، وقد يحصل باخبارهم عن انفسهم، واذا ظهروا عند غير المكاشف من الصالحين والعابدين لايمكن له ان يفرق بينهم الاّ بقرائن يحصل منها الظن فقط، مثل الاخبار عن المغيبات والاطلاع بالضمائر والانباء عن الخواطر قبل وقوعها في القلب. والله اعلم.

تنبيه آخر:

عليك ان تعلم ان البرزخ الذي يكون الارواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنياوية، هو(٤) غير البرزخ الذي بين الارواح المجردة والاجسام؛ لان مراتب تنزلات الوجود ومعارجه دورية. والمرتبة التي قبل النشأة الدنياوية هي من مراتب التنزلات، ولها الاولية، والتي بعدها من مراتب المعارج، ولها الآخرية. وايضاً الصور التي تلحق الارواح في البرزخ الأخير انما هي صور الاعمال ونتيجة الافعال السابقة في النشأة الدنياوية بخلاف(٥) صور البرزخ الاول، فلا يكون كل منهما عين الآخر، لكنهما يشتركان في كونهما عالماً روحانياً وجوهراً نورانياً غير مادي مشتملا لمثال صور العالم. وقد صرح الشيخ رضي الله عنه في *الفتوحات* في الباب الحادي والعشرين وثلثمائة بان: هذا البرزخ غير الاول ويسمى الاول بالغيب الامكاني، والثاني بالغيب المحالي لإمكان ظهور ما في الاول في الشهادة، وامتناع رجوع ما في الثاني اليها الاّ في الآخرة وقليل من يكاشفه بخلاف الاول، لذلك يشاهده كثير منا ويكاشف البرزخ الاول، فيعلم ما يريد ان يقع في العالم الدنياوي من الحوادث، ولا يقدر على مكاشفة احوال الموتى. والله هو العليم الخبير.

١- شكلهم: ح، ٢- الرزاق: ز، ٣- يوازينهم: ز، ٤- ساقطة في ح، ٥- بخلاف: ح

الفصل السابع في مراتب الكشف وانواعها اجمالاً:

اعلم ان الكشف لغة رفع الحجاب. يقال: كشفت المرأة وجهها، اي رفعت نقابها. واصطلاحاً هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والامور الحقيقية وجوداً او شهوداً، وهو معنوي وصوري. واعنى بالصوري ما يحصل في عالم المثال من طريق الحواس الخمس؛ وذلك اما ان يكون على طريق المشاهدة، كرؤية المكاشف صور الارواح المتجسدة والانوار الروحانية، واما ان يكون على طريق السماع، كسماع النبي، صلى الله عليه وسلم، الوحي النازل عليه كلاماً منظوماً او مثل صلصلة الجرس ودوي النحل، كما جاء في الحديث الصحيح. فانه عليه السلام كان يسمع ذلك ويفهم المراد منه او على سبيل الاستنشاق وهو التنسم(١) بالنفحات الالهية والتنشق لفتوحات الربوبية، قال عليه السلام: «ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها» وقال: «اني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن»(٢) او على سبيل الملامسة وهي الاتصال بين النورين او بين الجسدين من المثالين كما نقله عبد الرحمن بن عائش(٣) رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة. فقال اللّه: يا محمد! فقلت: لبيك ربّي فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد؟ قلت انت اعلم اي ربي مرتين. قال: فوضع الله كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثَديَيَّ فعلمت ما في السموات وما في الارض»(٤) ثم تلا هذه الاية: «وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين»(٥) او على طريق الذوق كمن يشاهد انواعاً من الاطعمة، فاذا ذاق منها واكل، اطلع علي معان غيبية؛ قال النبي، ﷺ: «رأيت اني اشرب اللبن حتى خرج الريّ اظفاري فاعطيت فضلي عمر فأوّلت ذلك بالعلم»(٦). وهذه الانواع قد يجتمع بعضها مع بعض وقد ينفرد. وكلها تجليات اسمائية، اذ(٧) الشهود من تجليات(٨) الاسم البصير والسماع من الاسم السميع، وكذلك البواقي، اذ لكل منها اسم ير به وكلها سوادن الاسم العليم، وان كان كل منها من أمهات الاسماء.

وانواع الكشف الصوري اما ان تتعلق بالحوادث الدنيوية اولا. فان كانت متعلقة

١- التقسم: ز، ٢- ابن العربي: التوحات: ف ١٢١، ج ٢، ص ١١٣٠، ٣- عباس: ز، ٤- ذكر الترمذي نحوه: الجام الصحيح: ٣٢٣٤، ٥- الانعام: ٧٥، ٦- البخاري: علم؛٢٢، ٧- اذا: ح، ٨- التجليات: ح.

بها كمجئ زيد من السفر واعطائه لعمرو الفا من الدنانير، فتسمى رهبانية لاطلاعهم علي المغيبات الدنيوية بحسب رياضاتهم ومجاهداتهم. واهل السلوك لعدم وقوف هممهم العالية في الامور الدنياوية لا يلتفتون الى هذا القسم من الكشف لصرفها(١) في الامور الاخروية واحوالها، ويعدونه من قبيل الاستدراج والمكر بالعبد، بل كثير منهم لا يلتفتون الى القسم الاخروي ايضاً. وهم الذين جعلوا غاية مقاصدهم الفناء في الله والبقاء به. والعارف المحقق لعلمه(٢) بالله ومراتبه وظهوره في مراتب الدنيا والاخرة واقف معه ابداً ولا يرى غيره ويرى جميع ذلك تجليات الهية. فنزل كلا منها منزلته فلا يكون ذلك النوع ايضاً من الكشف استدراجاً في حقه، لانه حال المبعدين الذين يقنعون من الحق بذلك ويجعلونه سبب حصول الجاه المنصب في الدنيا، وهو منزه(٣) من القرب والبعد المنبئين بالغيرية مطلقاً. وان لم تكن متعلقة بها بان(٤) كانت المكاشفات في الامور الحقيقية الاخروية والحقائق الروحانية من الارواح العالية والملائكة السماوية والارضية فهي مطلوبة معتبرة.

وهذه المكاشفات قلّ ما تقع مجردة عن الاطلاع بالمعاني الغيبية، بل اكثرها يتضمن المكاشفات المعنوية، فتكون اعلى مرتبة واكثر يقيناً لجمعها بين الصورة والمعنى، وله مراتب بارتفاع الحجب كلها او بعضها دون البعض، فان المشاهد للاعيان الثابتة في الحضرة العلمية الالهية اعلى مرتبة من الكل، وبعده من يشاهدها في العقل الاول وغيرها من العقول. ثم من يشاهدها في اللوح المحفوظ وباقي النفوس المجردة. ثم في كتاب المحو والاثبات، ثم في باقي الارواح العالية والكتب الالهية من العرش والكرسي والسموات والعناصر والمركبات. لان كلا من هذه المراتب كتاب الهي مشتمل على ما تحته من الاعيان والحقائق واعلى المراتب في طريق السماع سماع كلام الله(٥) من غير واسطة، كسماع نبينا صلى الله عليه وسلم في معراجه وفي الاوقات التي اشار اليها بقوله عليه السلام: «لي مع الله وقت لايسعني ملك مقرب ولا نبي مرسل»(٦) كسماع موسى عليه السلام كلامه تعالى. ثم سماع كلامه بواسطة جبريل عليه السلام، كسماع القرآن الكريم. ثم سماع كلام العقل الاول وغيره من العقول. ثم سماع النفس الكلية والملائكة السماوية والارضية على الترتيب المذكور والباقي على هذا القياس.

١- يصرفها: ح، ٢- يعلمه: ح، ٣- متنزه: ح، ٤- فان: ح، ٥- الحق: ح، ٦- العجلوني: كشف الخفاء، ج ٢، ص. ١٧٣.

ومنبع هذه الانواع من المكاشفات، هو القلب الانساني بذاته وعقله المنور العلمي، المستعمل لحواسه(١) الروحاينة، فان للقلب عيناً وسمعاً وغير ذلك من الحواس، كما اشار اليه سبحانه بقوله: «فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»،(٢) «وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة»(٣) وفي الاحاديث المشهورة ما يؤيد ذلك كثير. وتلك الحواس الروحانية اصل هذه الحواس الجسمانية. فاذا ارتفع الحجاب بينها وبين الخارجية يتحد الاصل مع الفرع، فيشاهد بهذه الحواس ما يشاهد بها. والروح يشاهد جميع ذلك بذاته، لان هذه الحقائق متحدة في مرتبته كما مر من ان الحقائق كلها في العقل الاول متحدة. وهذه المكاشفات عند ابتداء السلوك اولا تقع في خياله المقيد، ثم بالتدريج وحصول الملكة(٤) ينتقل الى العالم المثالي المطلق، فيطلع على ما يختص بالعناصر، ثم السموات فيسرى صاعداً الى ان ينتهي الى اللوح المحفوظ والعقل الاول صورتي أم الكتاب.

ثم ينتقل الى حضرة العلم الالهي، فيطلع على الاعيان حيث ما يشاء الحق سبحانه، كما قال: «ولايحيطون بشئ من علمه الا بما شاء»(٥). وهذا اعلى ما يمكن لعباد الله في مراتب الشهود. لان فوق هذه المرتبة شهود الذات المفنية للعباد عند التجلي الا ان يتجلى من وراء الاستار الاسمائية وهي عين الاعيان، واليه اشار الشيخ رضي الله عنه في الفص الشيثي: فلا تطمع ولا تتعب نفسك، فانها الغاية التي ما فوقها غاية.

واما الكشف المعنوي المجرد من صور الحقائق الحاصل من تجليات الاسم العليم والحكيم(٦) وهو ظهور المعاني الغيبية والحقائق العينية، وله ايضاً مراتب: اولها ظهور المعاني في القوة المفكرة من غير استعمال المقدمات وتركيب القياسات، بل بان ينتقل الذهن من المطالب الى مباديها ويسمى بالحدس، ثم القوة العاقلة المستعملة للمفكرة وهي قوة(٧) روحانية غير حالة في الجسم، ويسمى بالنور القدسي. والحدس من لوامع انواره؛ وذلك، لان القوة المفكرة جسمانية فتصير حجاباً للنور، الكاشف عن المعاني الغيبية؛ فهي ادنى مراتب الكشف.

ولذلك قيل: الفتح على قسمين: فتح في النفس وهو يعطي العلم التام نقلاً وعقلاً،

١- بحواسه: ح، ٢- الحج:٤٦، ٣- البقرة:٧، ٤- الملائكة: ح، ٥- البقرة:٢٥٥، ٦- ساقطة في ز، ٧- نورة : ح.

وفتح في الروح وهو يعطي المعرفة وجوداً لا عقلاً ولا نقلاً. ثم في مرتبة القلب وقد يسمى بالالهام في هذا المقام، ان كان الظاهر معنى من المعاني الغيبية، حقيقة من الحقائق. وان كان روحاً من الارواح المجردة او عيناً من الاعيان الثابتة، فيسمى مشاهدة قلبية، ثم في مرتبة الروح فينعت(١) بالشهود الروحي، وهي بمثابة الشمس المنورة لسموات مراتب الروح وأراضي مراتب الجسد. فهو بذاته آخذ(٢) من الله العليم، المعاني الغيبية من غير واسطة على قدر استعداده الاصلي ويفيض(٣) على ما تحته من القلب وقواه الروحانية والجسمانية، ان كان من الكمل والاقطاب. وان لم يكن منهم فهو آخذ من الله بواسطة القطب على قدر استعداده وقربه منه او بواسطة الارواح التي هو تحت حكمها من الجبروت والملكوت. ثم في مرتبة السر، ثم في مرتبة الخفى بحسب مقاميهما(٤) ولا يمكن اليه الاشارة ولا يقدر على اعرابها بالعبارة(٥) وسنشير الى تحقيق هذه المراتب ان شاء الله تعالى.

واذا صار هذا(٦) المعنى مقاماً وملكة للسالك اتصل علمه بعلم الحق، اتصال الفرع بالاصل، فحصل له اعلى المقامات من الكشف. ولما كان كل من الكشف الصوري والمعنوي على حسب استعداد السالك ومناسبات روحه وتوجه سره الى كل من انواع الكشف، وكانت الاستعدادات متفاوتة والمناسبات متكثرة، صارت مقامات الكشف متفاوتة بحيث لا يكاد تنضبط. واصحّ المكاشفات وأتمها انما يحصل لمن يكون مزاجه الروحاني اقرب الى الاعتدال التام كارواح الانبياء والكمل من الاولياء صلوات الله عليهم، ثم لمن يكون اقرب اليهم نسبة وكيفية الوصول(٧) الى مقام من مقامات الكشف، وبيان كل ما يلزم كل نوع منها يتعلق بعلم السلوك ولا يحتمل المقام اكثر مما(٨) ذكر وما يكون للمتصرفين في الوجود من اصحاب المقامات والاحوال، كالإحياء والإماتة وقلب الحقائق، كقلب الهواء ماءً وبالعكس، وطي الزمان والمكان وغير ذلك، انما يكون للمتصفين بصفة القدرة والاسماء المقتضية لذلك عند تحققهم بالوجود الحقاني: اما بواسطة روح من الارواح الملكوتية، واما بغير واسطة، بل بخاصية الاسم الحاكم عليهم. فافهم.

١- فينبعث: ح،٢- اخر: ح، ٣- مفيض: ح، ٤- مقمهما: ح، ٥- بالعبادة: ح، ٦- بهذا: ح،٧- الاصول: ح، ٨- هما: ح

تنبيه: الفرق بين الالهام والوحي:

ان(١) الالهام قد يحصل من الحق تعالى بغير واسطة الملك بالوجه الخاص، الذي له مع كل موجود. والوحي يحصل بواسطته، لذلك لا تسمى الاحاديث القدسية بالوحي، والقرآن، وان كانت كلام الله تعالى. وايضاً قد مر ان الوحي قد يحصل بشهود الملك وسماع كلامه، فهو من الكشف الشهودي المتضمن للكشف المعنوي، والالهام من المعنوي فقط. وايضاً الوحي من خواص النبوة لتعلقه بالظاهر، والالهام من خواص الولاية. وايضاً هو مشروط بالتبليغ دون الالهام.

والفرق بين الواردات الرحمانية والملكية والجنية والشيطانية يتعلق بميزان السالك المكاشف ومع ذلك نومئ(٢) الى شئ يسير منها، وهو: ان كل ما يكون سبباً للخير بحيث يكون مأمون القائلة في العاقبة ولا يكون سريع الانتقال الى غيره، ويحصل بعده توجه تام الى الحق ولذاة عظيمة مرغبة في العبادة، فهو ملكي او روحاني، وبالعكس شيطاني. وما يقال: ان ما يظهر من اليمين او القدام اكثره ملكي؛ ومن اليسار والخلف اكثره شيطاني، ليس من الضوابط، اذ الشيطان يأتي من الجهات كلها، كما نطق به القرآن الكريم: «ثم لأتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين».(٣)

والاول، اما ان يتعلق بالأمور الدنيوية مثل احضار الشئ الخارجي الغائب عن المكاشف في الحال، كاحضار الفواكه الصيفية في الشتاء مثلاً، والاخبار عن قدوم زيد(٤) غداً؛ وامثال ذلك مما هو غير معتبر عند اهل الله، فهو جنيّ. وطي المكان والزمان والنفوذ من الجدران من غير الانثلام والانشقاق ايضاً من خواصهم وخواص الملائكة التي هي اعلى مرتبة منهم. فإن كان للكمل منها شئ، فمعاونة منهم من مقامهم. وان لم يتعلق بها ويعلق بالاخرة او(٥) كان من قبيل الاطلاع بالضمائر والخواطر، فهو ملكي، لان الجن لا يقدر على ذلك. وان كان بحيث يعطى المكاشف قوة التصرف في الملك والملكوت، كالاحياء والإماتة والإخراج لمن هو في البرازخ محبوس وادخال من يريد في العوالم الملكوتية من المريدين الطالبين، فهو رحماني. لان امثال هذه التصرفات من خواص المرتبة الالهية القائم فيها وبها الكمل والاقطاب. وقد يقال لغير الشيطاني كلها رحماني. فاذا عرفت ما بينا لك واعتبرت

١- لان: ح، ٢- نوفى: ح، ٣- الاعراف: ١٧، ٤- زيدٌ: ز، ٥- و: ح.

حالك ومقامك، علمت كمال استعدادك ومرتبة كشفك ونقصانهما. والله(١) الحكيم العليم.

الفصل الثامن في ان العالم هو صورة الحقيقية الانسانية:

قد مر ان الاسم الله مشتمل على جميع الاسماء، وهو متجلي فيها بحسب مراتبه الالهية ومظاهرها وهو مقدم بالذات والمرتبة على باقي الاسماء، فمظهره ايضاً مقدم على المظاهر كلها، ومتجلى فيها بحسب مراتبه. فلهذا الاسم الالهي بالنسبة الى غيره من الاسماء اعتباران: اعتبار ظهور ذاته في كل واحد من الاسماء، واعتبار اشتماله عليها كلها من حيث المرتبة الالهية.

فبالاول يكون مظاهرها كلها مظاهر مظهر هذا الاسم الاعظم، لان الظاهر والمظهر في الوجود شئ واحد؛ لاكثرة فيه، ولا تعدد. وفي العقل يمتاز كل منهما عن الاخر، كما يقول اهل النظر بان الوجود عين الماهية في الخارج وغيره في العقل. فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقة الواحدة على افرادها المتنوعة. وبالثاني، هي(٢) غيب الغيوب، يكون مشتملا عليها من حيث المرتبة الالهية، اشتمال الكل المجموعي على الاجزاء التي هي عينه بالاعتبار الاول. واذا علمت هذا، علمت ان حقائق العالم في العلم والعين، كلها مظاهر للحقيقة الانسانية التي هي مظهر للاسم(٣) الله. فارواحها ايضاً كلها جزئيات الروح الاعظم الانساني، سواء كان روحاً فلكياً او عنصريا او حيوانياً، وصورها صور تلك الحقيقة ولوازمها؛ لذلك يسمى عالم المفصل بالانسان الكبير عند اهل الله لظهوره الحقيقة الانسانية ولوازمها فيه، ولهذا الاشتمال وظهور الاسرار الالهية كلها فيها دون غيرها استحقت(٤) الخلافة من بين الحقائق كلها. ولله در القائل.

شعر

سبحان من اظهر ناسوته(٥)، سر سنا لاهوته(٦) الثاقب
ثم بدأ في خلقه ظاهراً، في صورة الآكل والشارب

١- والله اعلم بالصواب: ح،٢- سقطة في ح، ٣- الاسم: ح،٤- استحق: ح،٥ - ناسوية: ح، ٦- لاهوية: ح

فاول ظهورها في صورة العقل الاول، الذي هو صورة اجمالية للمرتبة العمائية، المشار اليها في الحديث الصحيح عند سؤال الاعرابي: «اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق؟» قال عليه السلام: «كان في عماء ما فوقه هواء ولاتحته هواء»(١) لذلك قال عليه السلام: «اول ما خلق الله نوري» واراد العقل كما ايده بقوله: «اول ما خلق الله العقل»(٢) ثم في صورة باقي العقول والنفوس الناطقة الفلكية وغيرها، وفي صورة الطبيعة والهيولي الكلية والصورة الجسمية البسيطة والمركبة باجمعها.

ويؤيد ما ذكرنا قول امير المؤمنين، ولي الله في الارضين، قطب الموحدين، علي بن ابي طالب عليه السلام في خطبة كان يخطبها للناس: «انا نقطة باء بسم الله، انا جنب الله الذي فرطتم فيه، وانا القلم، وانا اللوح المحفوظ، وانا العرش، وانا الكرسي، وانا السموات السبع والارضون» الى انّ صحا في اثناء الخطبة وارتفع عنه حكم تجلي الوحدة ورجع الى عالم البشرية، وتجلى له الحق بحكم الكثرة فشرع معتذراً، فاقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت احكام الاسماء الالهية.

ولذلك قيل: الانسان الكامل لابد ان يسري في جميع الموجودات، كسريان الحق فيها، وذلك في السفر الثالث، الذي من الحق الى الخلق بالحق، وعند هذا السفر يتم كماله، وبه يحصل له حق اليقين من المراتب الثلاثة(٣). ومن ههنا يتبين ان الآخرية هي عين الاولية ويظهر سر «هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم»(٤) قال الشيخ رضي الله عنه في *فتوحاته* في بيان المقام القطبي: «ان الكامل الذي اراد الله ان يكورن قطب العالم خليفة الله فيه، اذا وصل الى العناصر مثلاً متنزلاً في السفر الثالث ينبغي ان يشاهد جميع ما يريد ان يدخل في الوجود من الافراد الانسانية الى يوم القيامة». وبذلك الشهود ايضاً لايستحق المقام حتى يعلم مراتبهم ايضاً. فسبحان من دبر كل شئ بحكمته واتقن كل ما صنع برحمته.

تنبيه:

كما علمت ان للحقيقة الانسانية ظهورات في العالم تفصيلاً، فاعلم ان لها ايضاً ظهورات في العالم الانساني اجمالاً. واول مظاهرها فيه الصورة الروحية المجردة المطابقة بالصورة العقلية، ثم الصورة القلبية المطابقة بالصورة التي للنفس الكلية، ثم

١- العجلوني: كشف الخفاء؛ ج ١/ص:٢٦٣، ٢- ابو يعلي: المسند، ج٤/ص : ٢١٨، ٣- ساقطة في ح، ٤- الحديد:٣.

الصورة التي للنفس الحيوانية المطابقة بالطبيعة الكلية وبالنفس المنطبعة الفلكية وغيرها. ثم الصورة الدخانية اللطيفة(١) المسماة(٢) بالروح الحيوانية عند الاطباء، المطابقة بالهيولي(٣) الكلية، ثم الصورة الدموية المطابقة بصورة الجسم الكل، ثم الصورة الاعضائية المطابقة بالاجسام العالم الكبير. وبهذه التنزلات في المظاهر الانسانية حصل به التطابق بين النسختين. وذكر الشيخ رضي الله عنه تفصيل هذا الكلام في كتابه المسمى *بالتدبرات الالهية في المملكة الانسانية*. فمن اراد تحقيق ذلك فليطلب هناك.

الفصل التاسع في بيان خلافة الحقيقة المحمدية وانها قطب الأقطاب:

لما تقرر ان لكل اسم من الاسماء الالهية صورة في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة، وان لكل منها صورة خارجية مسماة بالمظهار والموجودات العينية، وان تلك الاسماء ارباب تلك المظاهر، وهي مربوبها، وعلمت ان الحقيقة المحمدية صورة الاسم الجامع الالهي و(٤)هو ربها؛ ومنه الفيض والاستمداد على جميع الاسماء، فاعلم ان تلك الحقيقة هي التي ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب، لانها هي الظاهرة في تلك المظاهر، كما مر. فبصورها(٥) الخارجية المناسبة لصور العالم التي هي مظهر الاسم الظاهر، ترب صور العالم وبباطنها ترب باطن العالم، لانه صاحب الاسم الاعظم، وله الربوبية المطلقة، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة»(٦) وهي تصديره بقوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين»(٧) فجمع عوالم الاجسام والارواح كلها.

وهذه الربوبية انما هي من جهة حقيتها، لا من جهة بشريتها. فانها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج الى ربها، كما نبه سبحانه بهذه الجهة بقوله: «قل انما انا بشر مثلكم يوحي الى»(٨) وبقوله: «وانه لما قام عبدالله يدعوه»(٩) فسماه «عبدالله»؛ تنبيها على انه مظهر لهذا(١٠) الاسم دون آخر. ونبه بالجهة الاولى بقوله: «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»(١١). فاسند رميه الى الله، ولا يتصور هذه الربوبية الاّ باعطاء كل ذي حق حقه، وافاضة جميع ما يحتاج اليه العالم. وهذا المعنى لا يمكن

١-الطبعة: ح، ٢- للمسمات: ح، ٣- للهيولي: ز، ٤- ساقطة في ح، ٥- تصور بها: ح، ٦- لم أجد له اصلاً، ٧-الفاتحة: ١، ٨-الكهف: ١١١، ٩- الجن: ١٩، ١٠- ساقطة في ح، ١١- الانفال: ١٧.

إلاّ بالقدرة التامة والصفات الالهية جميعها، فله كل الاسماء يتصرف بها في هذا العالم حسب استعداداتهم.

ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين: الالهية والعبودية، لا يصح لها ذلك اصالة، بل تبعية، وهي الخلافة، فلها الاحياء والاماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات، ليتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها ايضاً، لانها منه، وبكاؤه عليه السلام وضجره وضيق صدره لاينافي ما ذكر. فانه بعض مقتضيات ذاته وصفاته «ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الارض»(١) من حيث مرتبته. وان كان يقول: «انتم اعلم بأمور دنياكم»(٢) من حيث بشريته.

والحاصل ان ربوبيته للعالم بالصفات الالهية التي له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته، وجميع ما يلزمه من النقائص والامكانية، من حيث بشريته الحاصلة من التقيد والتنزل الى العالم السفلى، ليحيط بظاهره بخواص العالم الظاهر وبباطنه بخواص العالم الباطن. فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين فتنزله(٣) ايضاً كماله، كما ان عروجه الى مقامه الاصلي، كماله، فالنقائص ايضاً كمالات باعتبار آخر، يعرفها من تنور باطنه وقلبه بالنور الالهي.

ولما كانت هذه الخلافة واجبة من الله تعالى في العالم بحكم «ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب»(٤) وجب ظهور الخليفة في كل زمان من الازمنة ليحصل لهم الاستيناس، ويتصف بالكمال اللائق به كل من الناس، كما قال سبحانه: «ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون»(٥).

وظهور تلك الحقيقة بكمالاتها اولاً لم يكن ممكناً، فظهرت تلك الحقيقة بصور خاصة. كل منها في مرتبة لائقة باهل ذلك الزمان والوقت ،حسب ما يقتضيه اسم الدهر في ذلك الحين من ظهور الكمال، وهي صور الانبياء عليهم السلام. فان اعتبرت تعيناتهم وتشخصاتهم بغلبة أحكام الكثرة والخلقية عليك، حكمت بالامتياز بينهم والغيرية، وبكونهم غير تلك الحقيقة المحمدية الجامعة للاسماء لظهور كل منهم ببعض الاسماء والصفات. وان اعتبرت حقيقتهم(٦) وكونهم راجعين الى الحضرة الواحدية بغلبة أحكام الوحدة عليك، حكمت باتحادهم ووحدة ما جاؤا به من الدين الالهي، كما قال تعالى: «لا نفرق بين احد من رسله».(٧)

١- يونس: ٦١، ٢- مسلم: فضائل، ١٤١، ٣- فتنزله:ز، ٤- الشورى: ٥١، ٥- الانعام:٩، ٦- حقيقة: ز، ٧- البقرة:٢٨٥.

فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم، وهو مركز دائرة الوجود من الازل الى الابد، واحد باعتبار(١) حكم الوحدة، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم وباعتبار حكم(٢) الكثرة متعدد. وقبل انقطاع النبوة قد يكون القائم بالمرتبة القطبية نبياً ظاهراً، كابراهيم صلوات الله عليه، وقد يكون ولياً خفياً كالخضر في زمان موسى عليه السلام قبل تحققه بالمقام القطبية، وعند انقطاع النبوة، اعني نبوة التشريع، باتمام دائرتها وظهور الولاية من الباطن، انتقلت القطبية الى الاولياء مطلقاً، ولا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام ليحفظ به هذا الترتيب والنظام، قال سبحانه: «ولكل قوم هاد» (٣)«وان من امة الاّ خلا فيها نذير»(٤) كما قال في النبي صلى الله عليه وسلم: «ان انت الاّ نذير»(٥) الى ان يختم بظهور خاتم الاولياء؛ وهو الخاتم للولاية المطلقة.

فاذا اكملت هذه الدائرة ايضاً وجب قيام الساعة باقتضاء الاسم الباطن والمتولد من الباطن والظاهر الذي هو الحد الفاصل بينهما، ظهور كمالاته واحكامه، فيصير كل ما كان صورة، معنى وكل ما كان معنى صورة اي يظهر ما هو مستور في الباطن من هيئات النفس على صورها(٦) الحقيقية وتستتر الصور التي(٧) احتجبت المعاني الحقيقية فيها، فيحصل صورة الجنة والنار والحشر والنشر على ما اخبر عنه الانبياء، والاولياء صلوات الله عليهم اجمعين.

تنبيه:

لابد ان تعلم ان للجنة والنار مظاهر في جميع العوالم، اذ لاشك ان لهما اعياناً في الحضرة العلمية. وقد اخبر الله تعالى عن اخراج آدم وحواء عليهما السلام من الجنة، فلها وجود في العالم الروحاني قبل وجودها في العالم الجسماني. وكذلك للنار ايضاً وجود فيه، لانه مثال لما في الحضرة العلمية. وفي الاحاديث الصحيحة ما يدل على وجودهما فيه اكثر من ان يحصى، واثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجودهما في دار الدنيا بقوله: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» كما اثبت في عالم البرزخ بقوله: «القبر روضة من رياض الجنة للمؤمن او حفرة من حفرات النيران للكافر» ومثال ذلك. وفي العالم الانساني لهما ايضاً وجود اذ مقام الروح

١- ساقطة في ح، ٢- الحكم:ح، ٣- الرعد:٧، ٤- فاطر:٢٤، ٥- فاطر:٢٤، ٦- ساقطة في ح، ٧-الذي:ز.

والقلب وكمالاتهما عين النعيم، ومقام النفس والهوى ومقتضياتهما نفس الجحيم.

لذلك من دخل مقام القلب والروح واتصف بالاخلاق الحميدة والصفات المرضية يتنعم بانواع النعم ومن وقف مع النفس ولذاتها والهوى وشهواتها يتعذب بانواع البلاء والنقم.(١) وآخر مراتب مظاهرهما في الدار الاخرة. ولكل من هذه المظاهر لوازم تليق بعالمه، وكذلك للساعة انواع خمسة بعد الحضرات الخمسة: منها ما هو في كل آن وساعة، اذ عند كل آن يظهر من الغيب الى الشهادة ويدخل منها الى الغيب من المعاني والتجليات والكائنات والفاسدات وغيرهما مما لا يحيطه به الا الله؛ لذلك سميت باسمها قال الله تعالى: «بل هم في لبس من خلق جديد»(٢)، «كل يوم هو في شأن»(٣) ومنها الموت الطبيعي، كما قال عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته»(٤). وبازائه الموت الارادي الذي يجعل للسالكين المتوجهين الى الحق قبل وقوع الموت الطبيعي، قال عليه السلام: «من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر»(٥) وقال: «موتوا قبل ان تموتوا»(٦) فجعل عليه السلام الأعراض عن متاع الدنيا وطيباتها والامتناع عن مقتضيات النفس ولذاتها وعدم اتباع الهوى موتاً.

لذلك ينكشف للسالك ما ينكشف للميت ويسمى بالقيمة الصغرى. وجعل بعضهم الموت الارادي مسمى بالقيمة الوسطى، لزعمه انه يقع بين القيمة الصغرى، التي هي الموت الطبيعي الحاصل له في النشأة السابقة والقيمة الكبرى، التي هي الفناء في الذات، وفيه نظر لايخفى للفطن. ومنها ما هو موعود منتظر للكل، كقوله تعالى: «ان الساعة آتية لا ريب فيها»(٧)، «ان الساعة لآتية اكاد اخفيها»(٨) وغير ذلك من الآيات الدالة عليها؛ وذلك بطلوع شمس الذات الاحدية من مغرب المظاهر الخلقية وانكشاف الحقيقة الكلية وظهور الوحدة التامة وانقهار الكثرة، كقوله: «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»(٩) وامثال وبازائه ما يحصل للعارفين الموحدين من الفناء في الله والبقاء به قبل وقوع حكم ذلك التجلي على جميع الخلائق، ويسمى بالقيمة الكبرى. ولكل من هذه الانواع لوازم ونتائج يشتمل على بيان بعضها الكلام المجيد والاحاديث الصحيحة صريحاً واشارة يحرم كشف بعضها. والله اعلم بالحقائق.

١ــ ساقطة في ح٢- ق:١٥، ٣- الرحمن:٢٩، ٤- العجلوني: كشف الخفاء، ج٢، ٢٧٩، ٥- لم اجد له لصل، ٦- العجلوني: كشف الخفاء، حديث ٢٦٦٩، ٧- الحج: ٧، ٨- طه:١٥، ٩-غافر:١٦.

الفصل العاشر في بيان الروح الاعظم ومراتبه واسمائه في العالم الانساني:

اعلم ان الروح الاعظم الذي في الحقيقة هو الروح الانساني، مظهر الذات الالهية(١) من حيث ربوبيتها. لذلك لايمكن ان يحوم حوله حائم ولا ان يروم وصله رائم، الدائر حول جنابه يحار والطالب نور جماله يتقيد بالاستار، ولا يعلم كنهه الاّ الله. ولا ينال بهذه البغية سواه. وكما ان له في العالم الكبير مظاهر واسماء من العقل الاول والقلم الاعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك على ما نبهنا عليه من ان الحقيقة الانسانية هي الظاهرة(٢) بهذه الصور في العالم الكبير، لذلك له في العالم الصغير الانساني مظاهر واسماء بحسب ظهوراته ومراتبه في اصطلاح اهل الله وغيرهم. وهي السر والخفي والروح والقلب والكلمة والروع بضم الراء، والفؤاد والصدر والعقل والنفس، كقوله تعالى: «فانه يعلم السر واخفى»(٣) «قل الروح من امر ربي»(٤) «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب»(٥) «وكلمة من الله»(٦) في عيسى عليه السلام، «وما كذب الفؤاد مارأى»(٧) «ألم نشرح لك صدرك»(٨) «ونفس وما سواها»(٩) وفي الحديث الصحيح: «ان روح القدس نفث في روعي ان نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها»(١٠) الحديث.

فاما كونه سراً، فباعتبار انه مدرك انواره لارباب القلوب والراسخين في العلم بالله دون غيرهم. واما الخفي، فلخفاء حقيقته على العارفين وغيرهم. واما الروح، فباعتبار ربوبيته للبدن، وكونه مصدر الحياة الحسية ومنبع فيضانها على جميع القوى النفسانية. واما القلب، فلتقلبه بين الوجه الذي يلي الحق(١١) فيستفيض منه الانوار وبين الوجه الذي يلي النفس الحيوانية، فيفيض عليها ما استفاض من موجدها على حسب استعدادها. واما الكلمة، فباعتبار ظهورها في النفس الرحماني، كظهور الكلمة في النفس الانساني. واما الفؤاد، فباعتبار تأثره من مبدعه، فان الفائد(١٢) هو الجرح والتأثير لغة. وما الصدر، فباعتبار الوجه الذي يلي البدن، لكونه مصدر انواره وتصدره على البدن. واما الروع، فباعتبار خوفه وفزعه من قهر مبدعه القهار واذا اخذه من الروع وهو الفزع. واما العقل فلتعقله ذاته وموجده بتعين خاص وتقييده ما يدركه ويضبطه وحصره اياها فيما تصوره. واما النفس، فلتعلقه الى البدن وتدبيره اياه ويسمى عند ظهور الافعال النباتية منها بسدنتها نفساً نباتية وعند ظهور الافعال

١- الالهي: ز، ٢- المظاهر: ح، ٣- طه: ٧، ٤- الاسراء: ٨٥، ٥- ق: ٣٣، ٦- آل عمران: ٤٥، ٧- النجم: ١١، ٨- الانشراح: ١، ٩- الشمس: ٧، ١٠- العجلوني: كشف الخفاء؛ ج ٢/ ص: ٢٣١، ١١- ساقطة في ح، ١٢- الفاد: ح، ز.

الحيوانية منها نفساً حيوانية، ثم باعتبار غلبة القوى الحيوانية على القوى الروحانية تسمى امارة، وعند تلألؤ نور القلب من الغيب لاظهار كماله وادراك القوة العاقلة و وخامة(١) عاقبتها وفساد احوالها تسمى لوامة للومها على افعالها.(٢) وهذه المرتبة كالمقدمة لظهور المرتبة القلبية. فاذا غلب النور القلبي وظهر سلطانه على القوى الحيوانية واطمأنت النفس تسمى مطمئنة.

ولما كمل استعدادها وقوى نورها واشراقها وظهر ما كان بالقوة فيها وصار مرآة للتجلي الالهي يسمى بالقلب، وهو المجمع بين البحرين وملتقى للعالمين. لذلك وسع الحق وصار عرش الله كما جاء في الخبر الصحيح: «لا تسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي»(٣) وقلب المؤمن عرش الله. فالمعتبر ان اعتبر الحقيقة الواحدة المعروضة لهذه الاعتبارات، فحكم بان الجميع شئ واحد حقيقةً صدق. وان(٤) اعتبرها مع كل من الاعتبارات فحكم بالمغايرة بينها صدق ايضاً.

تنبيه:

واذا علمت هذا، فاعلم ان المرتبة الروحية وهو ظل المرتبة الاحدية، والمرتبة القلبية هي ظل المرتبة الواحدية الالهية، ومن امعن النظر(٥) فيها نبهته عليه وطابق بين المراتب، يظهر له اسرار احرى لا يحتاج التصريح بها.

تنبيه آخر:

اعلم ان الروح من حيث جوهره وتجرده وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير للبدن، متعلق به تعلق التدبير والتصرف، قائم بذاته غير محتاج اليه في بقائه وقوامه. ومن حيث ان البدن صورته ومظهره ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة، فهو محتاج اليه غير منفك عنه، بل سار فيه، لا سريان(٦) الحلول(٧) والاتحاد المشهورين عند اهل النظر، بل كسريان الوجود المطلق الحق في جميع الموجودات. فليس بينهما مغايرة من كل الوجود بهذا الاعتبار. ومن علم كيفية ظهور الحق في الاشياء، وان الاشياء من اي وجه عينه، ومن اي وجه غيره، يعلم كيفية ظهور الروح في البدن، وانه من اي وجه عينه، ومن اي وجه غيره، لان الروح رب بدنه. فمن تحقق له حال الرب مع المربوب تحقق له ماذكرناه. والله الهادي.

١- خاصته:ح، ٢- اقوله:ح، ٣- «م وسعني ارضي ولاسمائي ووسعني قلب عبدي» بن العربي: الفتوحات، ف٢٣٨/ج٤/ص:١٨٤، ٤- ساقطة في ح، ٥- ساقطة في ح،٦- سربن:ح، ٧- الحون:ح.

الفصل الحادي عشر في عودة الروح ومظاهره اليه تعالى عند القيامة الكبرى:

قد مر ان للحق تعالى تجليات ذاتية واسمائية صفاتية، وان للاسماء والصفات دولاً يظهر حكمها وسلطنتها في العالم حين ظهور تلك الدول. ولا شك ان الآخرة انما تحصل بارتفاع الحجب وظهور الحق بالوحدة الحقيقية، كمايظهر، كل شئ فيها علي صورته الحقيقية، ويتميز الحق عن الباطل لكونه يوم الفصل والقضاء. ومحل هذا التجلي ومظهره، الروح. فوجب ان يفنى فيه عند وقوع ذلك التجلي وبفنائه يفنى جميع مظاهره، قال تعالى: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الاّ من شاء الله».(١) وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى. لذلك قيل «كل شئ يرجع الى اصله»، قال الله عز وجل: «ولله ميراث السموات والارض»(٢) و «كل شئ هالك الاّ وجهه»(٣)، «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام»(٤).

وذلك قد يكون بزوال التعينات الخلقية وفناء وجه العبودية في وجه الربوبية، كانعدام تعين القطرات عند الوصول الى البحر، وذوبان الجليد بطلوع شمس الحقيقة. قال تعالى: «يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين»(٥) اي نزيل(٦) عنها التعين السماوي، ليرجع الى الوجود المطلق بارتفاع وجوده المقيد، فقال: «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»(٧) مشيراً الى ظهور دولة حكم المرتبة الاحدية؛ وجاء في الخبر الصحيح ايضاً «ان الحق سبحانه يميت(٨) جميع الموجودات حتى الملائكة وملك الموت ايضاً». ثم يعيدها للفصل والقضاء بينهم لينزل كل منزلة من الجنة والنار(٩) وايضاً كما ان وجودات(١٠) التعينات الخلقية، انما هو بالتجليات الالهية في مراتب الكثرة، كذلك زوالها بالتجليات الذاتية في مراتب الوحدة. ومن جملة الاسماء المقتضية له، القهار، والواحد، الاحد، والفرد، والصمد، والغني، والعزيز، والمعيد، والمميت، والماحي وغيرها.

وانكار من لم يذق هذا المشهد من العارفين علماً غير الواصلين حالاً، والمغرورين بعقولهم الضعيفة العادية هذه الحالة انما(١١) تنشأ من ضعف ايمانهم بالانبياء عليهم السلام، اعاذنا الله منه. ومن اكتحل عينه بنور الايمان وتنور قلبه بطلوع شمس العيان يجد اعيان العالم دائماً متبدلة وتعيناتها متزايلة، كما قال تعالى: «بل هم في لبس من

١-الزمر:٦٨، ٢- الحديد: ١٠، ٣- القصص:٨٨، ٤- الرحمن:٢٦-٢٧، ٥- الانبياء: ١٠٤، ٦- تنزيل:ح، ٧- غافر: ١٦، ٨- يكتب:ح، ٩- ساقطة في ز، ١٠ وجود:ح، ١١- اما:ح.

خلق جديد » وقد يكون باختفائها فيه كاختفاء الكواكب عند وجود الشمس ويستر وجه العبودية بوجه الربوبية فيكون الرب ظاهراً والعبد مخفياً. ومن لسان هذا المقام ينشد.

شعر:

تسترت عن دهري بظل جناحه
فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسال(١) الايام ما اسمى ما دَرَت
واين مكاني ما دريـن مكاني

***

وهذا الاختفاء، انما هو في مقابلة اختفاء الحق بالعبد عند اظهاره اياه، وقد يكون بتبديل الصفات البشرية، بالصفات الالهية دون الذات. فكلما ارتفعت صفة من صفاتها قامت صفة الهية مقامها، فيكون الحق حينئذ سمعه وبصره، كما نطق به الحديث، ويتصرف في الوجود بما اراد الله. وكل منها قد يكون معجلاً، كما للكمل والأفراد الذين قامت قيامتهم وفنوا في الحق، وهم في الحياة الدنيا صورة، وقد يكون مؤجلاً وهو الساعة الموعودة بلسان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين.

تنبيه:

لا يتوهمَنَّ ان ذلك الفناء هو الفناء العلمي الحاصل للعارفين الذين ليسوا من ارباب الشهود الحالي مع بقائهم عيناً وصفة. فان بين من يتصور المحبة وبين من هي حاله فرقاناً عظيماً، كما قال الشاعر:

لا يعرف الحب الاّ من يكابده ولا الصبابة الاّ من يعانيها

والحق ان الاعراب عنه لغير ذائقة ستر والاظهار لغير واجده اخفاء، والعلم بكيفيته على ما هو عليه مختص بالله لا يمكن ان يطلع عليه الاّ من شاء الله من عباده الكمل، وحصل له هذا المشهد الشريف والتجلي الذاتي المفني(٢) للاعيان بالاصالة، كما قال تعالى: «فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقاً»(٣). واذا علمت ما مرّ، علمت معنى الاتحاد الذي اشتهر بين(٤) هذه الطائفة، وعلمت اتحاد كل اسم من

١- ق: ١٥، ٢- المغنى: ح، ٣- الاعراف: ١٤٣، ٤- ساقطة فيح.

الاسماء مع مظهره وصورته او اسم مع اسم آخر، او مظهر مع مظهر آخر. وشهودك اتحاد قطرات الامطار بعد تعددها، واتحاد الانوار مع تكثرها، كالنور الحاصل من الشمس والكوكب على وجه الارض او من السرج المتعددة في بيت واحد، وتبدل صور عالم الكون والفساد على هيولي واحدة دليل واضح على حقية ما قلنا. هذا ما ان الجسم كثيف فما ظنك بالخبير اللطيف الظاهر في كل من المراتب الحقير والشريف والحلول والاتحاد بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه شرك عند اهل الله، كفر لفناء الاغيار عندهم بنور الواحد القهار.

الفصل الثاني عشر في النبوة والرسالة والولاية:

قد مرّ، ان للحق تعالى ظاهراً وباطناً، والباطن يشتمل الوحدة الحقيقية التي للغيب المطلق، والكثرة العلمية التي هي حضرة الاعيان الثابتة. والظاهر لايزال مكتنفاً(١) بالكثرة لاخلوّ له عنها من(٢) حيث انه صورة ما يشتمل عليه العلم. لان ظهور الاسماء والصفات من حيث خصوصيتها الموجبة لتعددها، لايمكن الاّ ان يكون لكل منها صورة مخصوصة، فيلزم التكثر.

ولما كان كل منها طالباً لظهوره وسلطنته وأحكامه، حصل النزاع والتخاصم في(٣) الاعيان الخارجية باحتجاب كل منها عن الاسم الظاهر في غيره، فاحتاج الأمر الالهي الى مظهر حكم عدل ليحكم بينها ويحفظ نظامها في الدنيا والآخرة، ويحكم بربه الذي هو رب الارباب بين الاسماء ايضاً بالعدالة، ويوصل كلاً منها الى كماله ظاهراً وباطناً. وهو النبي الحقيقي والقطب الأزلي الابدي اولاً وآخراً ظاهراً و باطناً، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ، كما اشار اليه بقوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»(٤) اي بين العلم والجسم. واما الحكم بين المظاهر دون الاسماء، فهو النبي الذي يحصل(٥) بوته بعد الظهور نيابة عن النبي الحقيقي. فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المبعوث الى الخلق، ليكون هادياً لهم ومرشداً الى كمالهم، المقدر لهم في الحضرة العلمية باقتضاء استعدادات اعيانهم الثابتة اياه. وهو قد يكون مشرعاً كالمرسلين وقد لا يكون كانبياء بني اسرائيل.

١- منتكفاً: ح، ٢- ساقطة في ح، ٣- ساقطة في ح، ٤- العجلوني: كشف الخفاء، ج٢/ص :١٢٩، ٥- ساقطة في ح.

والنبوة البعثة وهي اختصاص الهي، حاصل لعينه من التجلي الموجب للاعيان في العلم، وهو الفيض الاقدس. ولماكان كل من المظاهر طالباً لهذا المقام الاعظم بحكم التفوق (١) على ابناء جنسه قرنت النبوة باظهار المعجزات وخوارق العادات مع التحدي، ليتميز النبي من المتنبي. فالانبياء، صلوات الله عليهم، مظاهر الذات الالهية من حيث ربوبيتها للمظاهر وعدالتها بينها. فالنبوة مختصة بالظاهر، ويشترك كلهم في الدعوة والهداية والتصرف في الخلق وغيرها مما لا بد منه في النبوة، ويمتاز كل منهم عن الآخر في المرتبة بحسب الحيطة التامة كاولى العزم من المرسلين، صلوات الله عليهم اجمعين، وغير التامة، كانبياء بني اسرائيل. فالنبوة دائرة تامة مشتملة على دوائر متناهية متفاوتة في الحيطة.

وقد علمت: ان الظاهر لا يأخذ التأييد والقوة والقدرة والتصرف والعلوم وجميع ما يفيض من الحق تعالى عليه الاّ بالباطن، وهو مقام الولاية المأخوذة من الولي وهو(٢) القرب والولي بمعنى الحبيب ايضاً منه.

فباطن النبوة الولاية، وهي تنقسم الى العامة والخاصة. والاولى تشتمل على كل من آمن بالله وعمل صالحاً على حسب مراتبهم، كما قال تعالى: «الله ولي الذين آمنوا»(٣) الآية. والثانية تشتمل على الواصلين من السالكين فقط، عند فنائهم فيه وبقائهم فيه وبقائهم به. فالخاصة عبارة عن فناء العبد في الحق، فالولي هو الفاني فيه الباقي به. وليس المراد بالفناء هنا انعدام عين العبد مطلقاً، بل المراد منه فناء جهته البشرية في الجهة الربانية، اذ لكل عبد جهة من الحضرة الالهية، هي المشار اليها بقوله: «ولكل وجهة هو موليها»(٤) الاية. والعبد(٥) مبدئ لافعاله وصفاته قبل الإتصاف بالمقام الولاية من حيث البشرية وبعد اتصافه بها هو مبدؤها من حيث الجهة الربانية، كما قال: «فاذا احببته كنت سمعه وبصره»(٦) الحديث. وذلك الاتصاف لا يحصل الاّ بالتوجه التام الى جناب الحق المطلق سبحانه. اذ به تقوى جهة حقيته، فتغلب جهة خلقيته الى ان تقهرها وتفنيها بالأصالة كالقطعة من الفحم المجاورة للنار، فانها بسبب المجاورة والاستعداد لقبول النارية والقابلية المختفية فيها تشتعل قليلاً قليلاً الى ان تصير ناراً فيحصل منها ما يحصل من النار من الاحراق والانضاج والاضائة وغيرها، وقبل الاشتعال كانت مظلمة كدرة باردة. وذلك التوجه

---

١ – التقوى :ح، ٢– ساقطة في ح، ٣– البقرة: ٢٥٧، ٤– البقرة: ١٤٨، ٥– ساقطة في ح، ذكر البخاري نحوه: رقاق؛ ٣٨، ٦– اكثر:ح.

لا يمكن الاّ بالمحبة الذاتية الكامنة في العبد وظهورها لا يكون الاّ بالاجتناب عما يضادها ويناقضها وهو التقوى عما عداها، فالمحبة هي المركب والزاد هو التقوى. وهذا الفناء موجب لان يتعين العبد بتعينات حقانية وصفات ربانية مرة اخرى، وهو البقاء بالحق. فلا يرتفع التعين منه مطلقاً. وهذا المقام دائرته أتمّ واكبر من دائرة النبوة. لذلك انختمت النبوة، والولاية دائمة، وجعل الولي اسماً من اسماء الله تعالى دون النبي. ولما كانت الولاية اكبر[١] حيطة من النبوة وباطناً لها شملت الانبياء والاولياء.

فالانبياء، اولياء فانون في الحق، باقون به، منبؤون عن الغيب واسراره، بحسب اقتضاء الاسم الدهر الذي إنباؤه واظهاره في كل وقت وحين منه. وهذا المقام ايضاً اختصاص الهي غير كسبي؛ بل جميع المقامات اختصاصية عطائية غير كسبية، حاصلة للعين الثابتة من الفيض الاقدس، وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه واسبابه يوهم المحجوب، فيظن انه كسبي بالتعمل؛ وليس كذلك في الحقيقة.

فاول الولاية، انتهاء السفر الاول، الذي هو السفر من الخلق الى الحق بازالة التعشق عن المظاهر والاغيار، والخلاص من القيود والاستار والعبور من المنازل والمقامات والحصول على المراتب والدرجات؛ وبمجرد حصول العلم اليقيني للشخص لايلحق بأهل هذا المقام، ولا[٢] بحصول الكشف الشهودي ايضاً، الاّ ان يكون موجباً لفناء الشاهد في الشهود ومحو العابد في المعبود. وإنما نبهت على هذا المعنى، لئلا يتوهم العارف الغير الواصل. والمشاهد بقوة استعداده للغيوب، والمتصف بالصفات الحميدة والاخلاق المرضية الغير السالك طريق الحق بالفناء عن الافعال والصفات والذات. انه ولي واصل. وصوله علمي او شهودي. وهو غير واصل في الحقيقة، لكونه في حجاب العلم والشهود، وانما يتجلى الحق لمن انمحي رسمه وزال عنه اسمه.

ولما كانت المراتب متميزة قسم أرباب هذه الطريقة المقامات الكلية الى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. فعلم اليقين يتصور الامر على ما هو عليه، وعين اليقين شهوده كما هو، وحق اليقين بالفناء في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالا، لا علماً فقط.

١- اكبر: ح، ٢-ساقطة في ح.

ولا نهاية لكمال الولاية، فمراتب الاولياء غير متناهية، ولما كان بعض المراتب أقرب من البعض في النبوة والولاية، ذكر الشيخ رضي الله عنه، الانبياء المذكورين في هذا الكتاب حسب مراتبهم لا(١) بالتقدم والتأخر الزماني ولما كان المبعوث الى الخلق تارة من غير تشريع وكتاب من الله تعالى، وتارة بتشريع وكتاب منه سبحانه.

انقسم النبي الى المرسل وغيره. فالمرسلون أعلى مرتبة من غيرهم لجمعهم بين المراتب الثلاث: الولاية والنبوة والرسالة. ثم الانبياء لجمعهم بين المرتبتين الولاية والنبوة. وان كانت مرتبة ولايتهم اعلى من نبوتهم؛ ونبوتهم اعلى من رسالتهم، لان ولايتهم جهة حقيتهم(٢) لفنائهم فيه، ونبوتهم جهة ملكيتهم. اذ بها تحصل المناسبة لعالم الملائكة فيأخذون الوحي منهم، وسالتهم جهة بشريتهم المناسبة للعالم الانساني، واليه اشار الشيخ رضي الله عنه بقوله: «مقام النبوة في البرزخ دون الولي وفوق الرسول» أي النبوة دون الولاية التي لهم وفوق الرسالة.

تتمة

لابد ان تعلم ان العادة التي لهم متعلقة بالتقدير الازلي الواقع في الحضرة العلمية الجاري على سنة الله، وخرق العادة يتعلق بالقدرة الالهية، لالتقدير الجاري على السنة، وان كان ايضاً مقدوراً في الازل وقوع هذا الخرق من الانبياء بذلك، لكن لا على السنة، بل إظهاراً للقدرة. وهو يصدر من الاولياء فيسمى كرامة وقد يصدر من اصحاب النفوس القوية من اصل الفطرة، وان يكونوا اولياء وهم على قسمين: إما خير بالطبع او شرير. والأول إن وصل الى مقام الولاية فهو ولي، وان لم يصل فهو من الصلحاء المؤمنين المفلحين. والثاني خبيث ساحر شاطر. ولكل منهما التصرف في العالم. وهؤلاء ان ساعدتهم الاسباب الخارجية استولوا على اهل العالم، وصار كل منهم صاحب قرنه وزمانه بحسب الدولة الظاهرة، وان لم تساعدهم الاسباب، لم يحصل لهم ذلك الاّ باي شئ اشتغلوا كانوا فيه بالكمال، ولا كمال الاّ لله وحده. هذا آخر ما أردنا بيانه من المقدمات.

***

١- ساقطة في ز، ٢- ساقطة في ز.

كشف الحجاب
عن كلام رب الارباب

كشف الحجاب عن كلام رب الارباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتجلى بذاته لذاته لاظهار حقائق صفاته في حضرة العليم العلام، المتكلم بالكلام الذاتي(١)، الموجب لحقيقة الصفة المعنوية بالكلام القادر على ايجاد الموجودات وترتيبها باحسن النظام، الموجد بكلمة «كن» اعيان العالمين التي هي الكلمات الالهية على الدوام، المنزل كتبه وصحفه على قلوب انبيائه عليهم الصلاة والسلام، الهادي عباده بالفرقان الى نور القران، المنقذ من الظلام.

وصلواته على خير خلقه، ومظهر حقه محمد وآله خير الانام وعلى اصحابه وخلفائه البررة الكرام.

وبعد: يقول المولى، العالم، الكامل، مبين حقائق كلام الله، خلاصة الحكماء الموحدين، صفوة العرفاء المحققين، شرف الحق والدين ادام الله فضله وكثر في العالم مثله.

لما رايت ان العلماء رضوان الله عليهم اجمعين اختلفوا ان كلام الله هذا المتلو بالالسنة، المكتوب في المصاحف او معناه(٢) القائم بذاته المسمى بالكلام النفسي هو كلام الله وهو أزلي: وذهبت المعتزلة والحنابلة الى ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف والالفاظ الدالة على تلك المعاني، لكن المعتزلة ذهبت الى انها حادثة قائمة بغير ذات الله تعالى. وقالوا معنى كونه متكلماً كونه موجداً لهذه الحروف والاصوات الدالة على المعاني في اجسام مخصوصة. وقالت الحنابلة ان هذه الحروف والاصوات قائمة بذات الله. وقالت الكرامية كلام الله تعالى ازلى، لكنه ليس بلفظ ولا هو معناه، بل هو قدرته على احداث قوله في ذاته، وقوله هو هذه الالفاظ الدالة على المعاني، ففرقوا بين كلامه وبين قوله وجعلوا قوله حادثاً قائما بذاته.

وكان الحق سبحانه وتعالى قد اطلعني على سر المسألة والهمنى(٣) حقائقها، فوجدت ان كلا من هؤلاء القائلين بالقول المخصوص مصيب من وجه وان كان غير مصيب من آخر، لحضرة الاصابة فيما ذهب اليه ونفيه قول الآخر. وقررت ذلك عند

١- الداتى: أ، ٢- مغناه: أ، ٣- الهمتى: أ.

جماعة من طلاب العلم الذين كانوا مختلفين في هذا المعنى، باحثين عنه، متحققين عما هو الحق في نفس الامر(١) فاشاروا الىّ توضيحه، وسالوا ان اطلعهم على تحقيقه سنح لي ان اكتب رسالة في بيان الحق فيها وايضاح وجه صواب كل قول منها، لانها من امهات المسائل التي توقف عليها كثير من أمور الدين وعقائد أرباب العلم واليقين. ولهذا الاختلاف الواقع في الكلام سمى علم اصول الدين بعلم الكلام، لان اول اختلافاتهم كان في هذه المسئلة؛ وبسببها دونوا علم الاصول(٢).

وكان ذلك في آخر زمان التابعين ومن ذلك الوقت الى زمننا هذا، لم يتعرض احد من العلماء لبيانها وتحقيق الحق فيها. وكل من صنف في علم الاصول، منهم نقل(٣) اختلافاتهم واختار قولاً من اقوالهم وما جمع احد منها بتصويبها في كتابه ولا ميز وجه خطأ كل قول من وجه صوابه.

فكتبت هذه الرسالة مع قلة البضاعة في هذه الصناعة وكثرة الموانع والاشغال المشغلة للقلب(٤) والبال عن التوجه الى اسرار كلام الكبير المتعال. والزمت فيها وجه صواب كل قول منها بحيث تظهر عند من اخذ الفطانة بيده حقيقته ويتبين عند الناظرين فيها بالانصاف ما يؤول اليه طريقه، بل يعلم منها درجات تنزلات(٥) الصفات الالهية جميعها وحكم مراتبها(٦) التي بها تظهر الصفات بالصور قديمها وحديثها مستعيناً برب الارباب والهم الصواب وسميته بـ«*كشف الحجاب عن كلام رب الارباب*» ليطابق اسمها مسماها وعلمها معناها، وجعلتها مشتملة على مقصدين:

المقصد الاول في المقدمات المنتجة للمطلوب، وهو خمسة فصول: الفصل الاول في الوجود وتنزلاته، الفصل الثاني في بيان العوالم التي هي المراتب الكلية الوجودية، الفصل الثالث في بيان ان المعاني المعقولة الازلية التي هي تظهر في المراتب الكلية الوجودية المسماة بالعوالم، الفصل الرابع في ان الحق تعالى متكلم ازلاً وابداً، الفصل الخامس في تعريف الكلام المطلق وبيان انواعه وتعريف كل منها. والمقصد الثاني في بيان المقصود وبيان وجه حقيقة كل قول من اقوال العلماء رحمهم الله.

ولما فرغت من تحريره وتقريره، جعلته مشرفاً بالقاب المولى المعظم الصاحب الاعظم، سلطان الوزراء في العالم، مختار سلاطين العرب والعجم، محبوب الخلائق

١- الامن : أ ، و، ٢- علم للاصول:أ، ٣- فعل: و، ٤- القلب: أ ، ٥- هولات: أ ـ و ، ٦- مواتها: أ.

اجمعين، الداعي لدوام دولته وصحة دينه وجسده السنة(١) العالمين، غياث الدنيا والدين، محمد بن المرحوم السعيد الشهيد خواجه رشيد الحق والدين، ادام الله ظلال جلاله، وافاض على ذاته الشريفة انوار لطفه وجماله بحق محمد وصحبه وآله انه على ما يشاء قدير بالاجابة جدير.

الفصل الاول في الوجود وتنزلاته:

اعلم، ايّدنا الله واياك، ان لفظة الوجود تطلق بالاشتراك اللفظي على معان مختلفة، لانها قد تطلق ويراد بها الوجدان؛ وقد تطلق ويراد بها الحصول والظهور والتحقق كما يقال: وجد روح زيد في عالم الملك بعدما كانت متحققة حاصلة ظاهرة(٢) في عالم الارواح. وقد يراد بها الحصول في الملك وحده، وهو عالم الشهادة المطلقة. فيكون الوجود بهذا المعنى اخصّ من الاول. والوجود بهذين المعنيين عرض، لكونهما عرضاً. وقد يطلق ويراد به الحقيقة التي بها يقوم الوجود الخارجي والذهني والعباري والكنائي. ويعبر عنها بالكون المطلق اذا لم يرد بها معناه المصدري.

فالوجود والكون عبارتان عن معنى واحد حينئذ. وقد تخص لفظة الكون بالوجود الاضافي الذي للعالم واطلاق لفظة الوجود على افراد تلك الحقيقة عند اعتبار التفاوت بينهما بالوجود والامكان والعدم والحدوث والمقدم والمؤخر(٣) والشدة والضعف والاولوية وعدمها تكون بالتشكيك وعند عدم اعتبار التفاوت بينها يكون على سبيل التواطؤ لوجود تلك الحقيقة فيها وعدم اعتبار التفاوت بينها.

والوجود بهذا المعنى ليس بجوهر ولا عرض، بل به يقوم الجوهر والعرض؛ ولذلك يؤخذ في تعريفهما. فهو أعمّ منهما. وهذه الحقيقة هي الكلي الطبيعي الذي للوجود، هي عين وجود الحق، الذي هو متعين بذاته والاّ يلزم التركيب في وجوده تعالى او جواز سلب الحقيقة الوجودية ونفيها عن وجوده تعالى عند قطع النظر عما هو خارج عنه او الاحتياج في وجوده تعالى الى ما سواه عند قطع النظر عنه. والاقسام بأسرها ظاهر بطلانها.

وهذه الحقيقة الوجودية اذا اخذناها مع جميع الكملات والاسماء والصفات اللازمة لها، تسمى بالوجود الالهي فهي في هذه المرتبة منعوتة بالاحد الصمد الذي

١- البسه او لبسه في الأصول، ٢- طاهرة : أ.و ، ٣- الماخر: أ.

«لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد»(١) وبغيرها من الاسماء الالهية وعند تنزلها من هذه المرتبة التي كانت فيها موصوفة بالمعنى الكلي والوجوب الذاتي؛ وظهورها في مراتب الاكوان المنعوتة بالامكان الموصوفة بالحدوث والنقصان كانت ممكنة حادثة لان الحدوث والامكان لا زمان للماهيات الكونية. فإضافة الحقيقة الوجودية الى الماهيات اعطيت ايّاها ما كان لازماً لها من الكمالات الذاتية كالحياة والعلم والارادة والقدرة وغير ذلك من اللوازم الوجودية. اذ لولاها لما كان شئ منها للماهيات. اذ المعدوم في الخارج مطلقاً لا يوصف بهذه الصفات الكمالية واعطيت الماهيات للحقيقة الوجودية من نقائضها الامكانية التي هي الحدوث والاحتياج و لوازمها.

فالوجود الاضافي المنسوب الى العالم من حيث تعينه ليس الاّ ظلاً من ظلال، وجود الحق اللازم لذاته المشار اليه بقوله تعالى: «ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً»(٢) اي باقياً في كتم العدم او منقطع الآخر، لكنه لم يشأ انقطاعه لدوام الوهيته وربوبيته المقضيتين(٣) لوجود المألوه والمربوب الذي هو العالم دائماً. ولا يظهر الظل الاّ بالنور والمحل وذات من الذوات. وليس المحل هنا الاّ الماهيات الكونية المسماة بالاعيان الثابتة في الحضرة العلمية القابلة للوجود الخارجي بعد اتصافها(٤) بالوجود العلمي. والذات المقومة لهذا الظل، هي الذات الالهية التي لها القيومية والصمدية. وجميع ما سواها متقوم بها ومختاج اليها. والنور المظهر له هو الذات ايضاً باعتبار ايجادها واظهارها اعيان العالم من ظلمة العدم الى نورالوجود؛ وبهذا الاعتبار(٥) يسمى(٦) الحق تعالى نفسه بالنور في قوله: «الله نور السموات والارض»(٧) الآية.

الوجود الخارجي باعتبار حقيقة الوجود، هو عين إسم النور؛ اذ به تظهر الحقائق الغيبية في الخارج. والنور هو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره. ولا شك ان الظل باعتبار عين المظل. اذ المظل هو صورته، وان كان باعتبار آخر غيره، فمن حيث انه غيره، ليس امراً حقيقياً بل موهوماً(٨) خيالياً لا تحقق له في نفسه، كما اشار اليه أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في حديث كميل، اذ سأل عن الحقيقة بقوله: «صحو المعلوم مع المفهوم»، اي ظهور المعلوم الحقيقي الثابت في نفسه، الذي هو وجود الحق مع فناء الامر المتوهم الخيالي، الذي هو وجود العالم. لذلك قيل: هذا الوجود وما حواه

١- الاخلاص: ٣-٤ ، ٢- الفرقان: ٤٥ ، ٣- المقتضتين: أ.و ، ٤- ايصافها: أ.و ، ٥- اعتبارى: أ ، ٦- ساقطة في أ، ٧- النور: ٣٥، ٨- هو هو : أ.

توهم، ووجودك المتيقن المتحقق. ومن حيث انه عينه كان الوجود المنسوب الى العالم راجعاً الى الحق، كما نبه عليه بقوله: «واليه يرجع الأمر كله»(١) وما كان في الحقيقة ازلاً الاّ عينه. لكنه تعالى تجلى في مراتب ذاته ومجالي اسمائه وصفاته المعبر عنها بالدرجات التي اشار اليها بقوله: «رفيع الدرجات ذو العرش»(٢) لاظهار شؤونه الذاتية العينية؛ فاوجد العالم ليصح به انه «الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم»(٣) لان الاولية والاخرية والظاهرية والباطنية والعالمية من الصفات الاضافية تستدعي شيئاً اخر، ليكون الحق بالنسبة اليه اولاً وآخراً وظاهراً عنده وباطناً عنه ويكون ذلك الشئ معلوماً له، وكذلك باقي الاسماء من الغفار والقهار والخلاق والرزاق وغيرها. لذلك قيل: ان الحق تعالى من حيث الذات غنى عن العالمين، لكن اسمائه تعالى مقتضية لها.

فوجود الاسماء الالهية والصفات الربانية التي هي نسب الذات في الخارج انما هو بظهور الحقيقة الوجودية في صور الاكوان، المشار اليها بقوله: «فاينما تولوا فثم وجه الله»(٤) «ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون»(٥)، «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد»(٦) وامثال ذلك من الايات المنبهة على اسرار التوحيد، مع انها في ذاتها ليست منها، كما ان الواحد ليس من العدد؛ ولا يحصل(٧) العدد الاّ من تكراره. فهو المحصل للعدد بظهوره في المراتب العددية. فان الاثنين عبارة عن ظهور الواحد مرتين، والثلث ثلاث مرات، والاربع اربع مرات، هكذا الى مالانهاية لها. لكل من هذه المراتب خصوصيات ولوازم؛ لم توجد(٨) في الواحد كالانقسام بمساويين اللازم للروحية وعدم الانقسام به، اللازم للفردية وغير ذلك.

فالحقيقة الوجودية التي هي المسماة في المرتبة الالهية بالله الرحمن الرحيم، وباقي اسمائه الحسنى هي التي اوجدت الاكوان سريانها فيها وظهورها بصورها. فكما ان لها باعتبار المرتبة الالوهية اسماء وصفات كمالية وجمالية كاللطف والرحمة والغضب والقهر وغير ذلك، كذلك لها باعتبار ظهورها في صور الاكوان اسماء وصفات كونية بل الوجود الواجبي ينزهه عن الصفات النقصانية ويقدسه عن الكمالات الكونية. وايضاً اخبر عن اتصاف ذاته في بعض المراتب بالصفات الخلقية بقوله: «حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين»(٩)، وقوله تعالى: «الله يستهزئ بهم ويمدهم في

١- هود: ٣، ٢- غافر: ١٥، ٣- الحديد: ٣، ٤- البقرة: ١١٥، ٥- الواقعة: ١٥، ٦- ق: ١٦، ٧- ساقطة في أ، ٧- توحد: أ. و، ٨- ساقطة في أ. و، ٩- محمد: ٣١.

طغيانهم يعمهون »(١)، وبقوله: « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »(٢)، وقوله: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له »(٣)، وفي الحديث القدسي: « مرضت فلم تعدني »(٤) وفي الاحاديث النبوية: « محك الله البارحة مما فعلتما »(٥) وامثال ذلك. فان هذه الصفات كلها من الصفات الكونية التي اطلقها الله به على نفسه، وهو تعالى اعلم بذاته وصفاته وظهوراته من غيره. وحمل العلماء، رضوان الله عليهم اجمعين، هذه المعاني على المجازات ادباً مع حضرته تعالى انما هو باعتبار المرتبة الالهية التي لها الصفات الكمالية المنزهة عن سمة الحدوث والنقصان، المنزه عما تقتضيه مرتبة الامكان باعتبار المراتب الاخرى، التي عليها الاكوان. والحمد لواجب الوجود المتعال(٦) وعليه(٧) التكلان.

الفصل الثاني في بيان العوالم التي هي المراتب الكلية الوجودية:

اعلم ان الحق سبحانه وتعالى لما اراد ايجاد العوالم التي اقتضتها اسماؤه لتكون مسبوبها(٨) ومظهرها اوجد صور عالم (٩) العقل اولا على النفس الرحماني، المعبر عنها بلسان اهل التحقيق: « الوجود المنبسط »، وهو الظل الممتد، وبلسان اهل الحكمة « الهيولي الكلية » التي نوع من انواعها. هذه الهيولي الجسمانية المشار اليها « بالبحر المسجور »(١٠)، و « الرق المنشور »(١١) لاقتضاء حكمته تعالى، الابداء بالاشرف. فالاشرف الى ان ينزل الى الاحسن؛ فالاحسن فيرجع من اسفل سافلين الى اعلى عليين. فتتم بها الدائرة الوجودية. وتلك الصور العقلية هي المسماة بلسان اهل الشرع بالملائكة المقربين والكروبين بلسان اهل الحكمة بالعقول والارواح المجردة وهي المسمى بعالم الجبروت، لكونها منبع قوى القدر(١٢). ثم صور النفوس الناطقة المتعلقة بالاجسام مع قواها وشدتها التي بها يتم افاعيلها، وهي التي اشار اليها بقوله: « فالمدبرات امرا »(١٣) كونها قريبة منها في التجرد الموجب المشرف وهي المسمى بعالم الملكوت المشار اليها بقوله: « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون »(١٤). ثم صور العالم الثاني التي تتفرع على الصور العقلية لتنزل المعاني فيها

١- البقرة: ١٥، ٢- آل عمران: ٥٤، ٣- البقرة: ٢٤٥، ٤- مسلم: بر؛ ٤٣، ٥- لم أجد له اصلاً، ٦- المال: أ، و ٧- علي: أ، و ٨- مسوبها: أ، ٩- العالم: أ ـ و، ١٠- الطور: ٦، ١١- الطور: ٣، ١٢- القدى: أ، ١٣- النازعات: ٥، ١٤- يس: ٢٢.

وتصير مشاهدة للعين القلبية شهوداً عياناً، كما يشاهدها في المنامات. ثم صور عالم الملك وهو عالم الشهادة المطلقة. والعوالم الثالثة المذكورة عالم الغيب. وان كان بعضها قريباً من الشهادة وهو العالم الثاني وبعضها قريباً من الغيب المطلق الذي هو الذات الالهية. والحقائق الاسمائية والاعيان الثابتة الكونية وهو الجبروت والملكوت. ثم اوجد(١) صور العالم الانساني الجامع لهذه العوالم الاربعة المذكورة، ليكون خليفة على العوالم المذكورة وحاكماً بما فيها عليها لجامعيته؛ وكونه مخلوقاً على صورة ربه كما قال: «ان الله خلق آدم على صورته»(٢) وفي رواية «على صورة(٣) الرحمن»(٤) فهو نسخة العوالم كلها. فهو العالم الكبير مرتبة، وان كان العالم الصغير صورة. وبه تمّ(٥) دائرة الوجود. وله مقام «قاب قوسين او ادنى»(٦) وهما اشارة الى قوسى دائرة الوجود المعبر عنها بالمقام الجمعي؛ وبالادنى اشارة الى مقام الاحدي، الذي هو جمع الجمع.

الفصل الثالث في بيان ان المعاني المعقولة الازلية هي التي تظهر في المراتب الكلية الوجودية المسماة بالعوالم:

اعلم ان الحق سبحانه ذو اسماء وصفات. والاسم ذات مع صفة. وليست الصفات الاّ معان كلية فائضة عن المرتبة الاحدية التي صفاتها فيها عين ذاتها، والاّ يلزم التسلسل. لان افاضة الحيوة والعلم والقدرة وغير ذلك لا يتحقق الا من الحي، العالم، القادر. فلو لم يكن حيا، عالماً قادراً بذاته لكانت هذه الصفات ايضاً فائضة منها لاستحالة افاضتها عن غيرها فيتسلسل عند نقل الكلام اليها. وتلك المعاني الفائضة التي هي مع الذات المتجلية منها يكون اسماً يقتضي مظاهر، ليكون مسبوباً بها ومحال سلطتها. والمظهر لا يكون مظهر المعنى الاّ عند ظهور ذلك المعنى فيه. فوجب ان تسرى(٧) المعاني الكلية الازلية في جميع المراتب الوجودية تنزل اليها عن مرتبتها الاولية التي كانت فيها موصوفة(٨) بالصفات الكمالية، كالوجود والقدم وغير ذلك. فتصنع بحكم المراتب التي نزلت اليها من الامكان والحدوث والاحتياج، كما

١-اوحد: أ ، ٢- مسلم: بر، ١١٥؛ احمد بن حنبل: ٣-٢٤٤/٢٥١، ٣- صوره: أ ، ٤ - ابن قتيبة: تأويل؛ القاهرة ١٩٦٠؛ ص: ٢٢٠ ، ٥- يتم: أ، ٦- النجم: ٩ ، ٧- برى: أ ،٩- صوفه: أ

سرت الحقيقة التي هي بها، كانت قائمة وهي الحقيقة الوجودية(١) التي نزلت من المرتبة الاحدية والواحدية الى مرتبة الكثرة، واتصفت بالاحكام الامكانية وتصورت وضعفت بعد ان كانت موصوفة بالعظمة والكبرياء والقدرة والالوهية. وهذه المراتب الوجودية هي العوالم المذكورة في الفصل المتقدم. فينبغي ان يكون لكل من تلك المعاني المنزلة في كل من العوالم المذكورة صورة تليق(٢) بحاله وعالمه. ألا ترى ان المعاني الكلية كيف تنزل وتصير جزئية. وان المنامات الصادقة التي يراها الانسان في نومه، كلها معان تتصور بالصور المثالية في خياله، كالعلم بصورة اللبن والعيش الطيب بصورة الماء الصافي او غير ذلك. وآخر مراتب تنزلاتها مرتبة الشهادة المطلقة؛ ثم ترجع منها مندرجة ظاهرة بالصور المعنوية متعال الى الحضرة الالهية التي منها تنزلت. وبهذا التنزل والرجوع تتم لها الحركة الدورية الوجودية. والحمد لله الهادى.

الفصل الرابع في ان الحق تعالى متكلم ازلاً وابداً:

قد مر ان للحق تعالى اسماء وصفات، ومن جملة اسمائه المتكلم. قال تعالى: «انما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون»(٣) فوجود الموجودات انما ترتبط(٤) بعد تعلق الارادة بصفة الكلام. ولا شك ان ذاته تعالى ليست محلاً للحوادث ليكون كلامه حدثاً وقتاً(٥) دون وقت. وكلامه قديم ازلي وابدي. وكلماته غير متناهية كما قال: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً»(٦) ولو كانت متناهية، لكانت آثارها ايضاً متناهية، لكن الحوادث غير متناهية ابداً. ولما كان من جملة أمهات الصفات المسماة بالائمة السبعة الالهية التي هي اصل الاسماء التالية المتعلقة بالحضرة الربوبية، كالرزاق والفتاح والقابض والباسط والعفو والرؤوف وامثال ذلك من الاسماء التي سرت(٧) احكامها على وجود الشئ. فان الرزق والقبض والبسط وغيرها انما يكون بعد الوجود، لذلك يسمى بالاسماء التالية. كان من الصفات الذاتية التي هي المراتب الاحدية عين الذات مطلقاً وان كانت في المراتب الواحدية عنها وجه؛ وغيرها من آخر، كما مر في الفصل الثالث.

١- الوجود: أ ، ٢- بليق: أ ، ٣- يس: ٨٢، ٤- مورتبط: أ ، ٥- وفتا: أ ، ٦- الكهف: ١٠٩. ٧- مراتب: أ.

الفصل الخامس في تعريف الكلام المطلق وبيان انواعه وتعريف كل منها:

الكلام لغة مأخوذ من الكلم وهو الجرح(١) والتأثر. وانما يسمى الكلام كلاماً لتأثره في نفس المخاطب السامع. وفي الاصطلاح عبارة عما به يحصل الاطلاع على ما في نفس المتكلم من المعاني الكلية والجزئية. ولما كان كل ما في الموجودات من الكمالات مستنداً الى اصل ثابت عند المبدأ الاول وعلّة العلل، كان كلامنا ايضاً مستنداً الى الكلام الذي له في الازل؛ وكلامه تعالى ذاتي وصفاتي: واعنى بالذاتي الكلام الذي هو عين ذاته، كما مر من ان صفاته في المرتبة الاحدية عين ذاته تعالى.

وهو بهذا المعنى منزه عن ان يحيط به عقل او فهم او يدركه وهم او فكر بالصفاتي ما يتميز به اسم المتكلم عن اسم اخر، كما تميز الاسم الحي عن غيره بالحياة، والعالم بالعلم، والمريد بالارادة والقادر بالقدرة. فهو في هذه الحضرة اعني حضرة الاسماء والصفات، عبارة عن حقيقة معقولة حاصلة للحق تعالى من تجليه(٢) الذاتي عند تعلقي الارادة والقدرة بابرازها في الحضرة العلمية عن المعاني الغيبية والحقائق الممكنة الغيبية ولكونها مشرطة بتعلق الارادة والقدرة قال تعالى: «انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون»(٣) اي شأنه تعالى انه اذا اراد ان يوجد(٤) شيئاً في العين بعد ثبوته في العلم يقول له: «كن فيكون» ذلك المخاطب الثابت في حضرة علمه موجداً في الخارج امتثالاً لأمره تعالى. ولهذه الحقيقة مظاهر في الخارج واول مراتب مظاهرها في العقل الاول وغيرها من العقول، ثم في النفس الكلية وغيرها من النفوس الناطقة المجردة السماوية، ثم في النفوس الناطقة الانسانية. لذلك قيل: «ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً»(٥)

والكلام في هذه المظاهر المجردة يسمى بالكلام النفسي. وهو عبارة عن المعاني المعقولة الحاصلة لهذه الحقائق المجردة من مبدعها المبين عما تجده في ذواتها من المعاني عند تعلق الارادة والقدرة باظهاره. ومن اراد ان يميز بين كلام العقول والنفوس الفلكية في غير العالم المثالي وبين كلام النفوس الانسانية قيد في الاول بالالقاء والالهام، وفي الثاني بالعبارة و(٦) الاشارة والكناية وانما قلنا في غير العالم المثالي لان كلامهم ايضاً فيه حس هذا في عالمي الجبروت والملكوت. واما في عالم الغيب

١- الجرح: أ.و ،٢- لحليه: أ ،٣- يس : ٨٢، ٤- توخد : أ، ٥-البيت المشهور للشاعر الأخطال، ٦- او : أ.و

المضاف، وهو عالم المثال وعالم الشهادة المطلقة فمظهرها الكلام الحسي، وهو عبارة عن الانسان بالفاظه المركبة الموصوفة بازاء المعاني المعقولة لافادة المخاطب. وانما جعلنا الكلام المثالي ايضاً حسياً لانه كالكلام الحسي المعهود في كونه مركباً من الالفاظ والحروف المسموعة والسامع والقائل فيه مرئي مبصر.

غاية ما في الباب، ان الابصار في العالم المثالي بالعين القلبية المشار اليها في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «للقلب عينان يشاهد بهما الغيوب كما يشاهد الاشياء بالبصر»(١). وهذه الصور الروحانية والجسمانية المذكورة بحسب العالم كلها في الانسان بحسب روحه وقلبه وخياله وجسمه ولكونه نسخة جميع ما في العالم. ومن اراد تحقيق هذه المعاني المشار اليها في هذه المقدمات، فعليه مقدمات ***شرح الفصوص*** الذي كتبناه، اذ هذا المختصر لا يحتمل بيانها اكثر من ذلك والله اعلم بالحقائق.

المقصد الثاني في بيان المقصود وبيان وجه حقيقة(٢) كل قول منها:

لما تقرر ان الحق تعالى متكلم ازلا وابداً وان لكلامه تعالى مظاهراً وصوراً بحسب العوالم التي ينزل اليها، فنقول ان القرآن كلام الله تعالى المنزل على قلب نبيه للاعجاز بمقدار اقصر سورة وما فوقها، وكلامه في حضرة الاسماء والصفات القائمة بذاته تعالى هو الحقيقة المعقولة القائمة بذاته تعالى، كما مر. والمعاني التي تدل هذه الحروف والالفاظ عليها من تعارفها وانواعها.

فان الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور وجميع الصحف المنزلة على الانبياء، عليهم السلام، كلها كلام الله، كالقرآن المنزل لنبينا صلى الله عليه وسلم. وفيها ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه؛ وبعضها معجز، وبعضها غير معجز. فان التوراة والانجيل بحسب اللفظ والتركيب ليس بمعجز. وكل منها نوع من انواع تلك الحقيقة الكلية، المعبر عنها بالكلام الالهي. ولكل من انواعها صورة في اللوح المحفوظ، كما ان لكل نبي من الانبياء عليهم السلام، بل لكل موجود صورة فيه، وهو الكتاب المكنون الذي قال تعالى عنه: «انه لقرآن كريم، في كتاب مكنون»(٣) وقال: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ»(٤). وهكذا في جميع النفوس والارواح السماوية التي هي ايضاً كتب الهية وكلمات الهيات، كمالية بهذه الكتب المنزلة صورة منزلة اليها دفعة، منقوشة في صحائف قلوبهم، ومكتوبة في الواح ارواحهم بيد الحق وقدرته، كما

١- لم أجد له أصلاً، ٢- حقية: أ. و، ٣- الواقعة: ٧٧-٨٧، ٤- البروج: ٢١-٢٢.

اشار الى هذا المعنى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «ان الله خلق الانسان بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة الطوبى بيده»(١) الحديث. وهذه الصور كلها معنوية لاقتضاء عالمها اياها. واما في العالم المثالي الذي جميع الارواح والعقول والنفوس المجردة بذواتها عن المادة وصورها، فهي صورة مثالية دالة على كمالاتها.

فللكتب الالهية ايضاً صور لفظية محسوسة بحس السمع لاقتضاء عالمه، تلك الصور قائمة بالالواح المتنقشة هي فيها الارواح والنفوس المجردة. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى جبرائيل اليه بآية من آيات القرآن تغيب عن هذا العالم، فيقرأ عليه جبرائيل الآية بالالفاظ المتلوة بالالسنة، فيأخذها النبي صلى الله عليه وسلم و يقرأها على كاتب الوحي ليكتب. فله صورة مثالية متنقشة في الصورة المثالية اللوحية ليتلقى منها جبرائيل اياها. فيلقيها الى قلب النبي في العالم(٢) المثالي وهي مطابقة للصورة المعنوية التي في اللوح المحفوظ، كما انها مطابقة للصورة التي في الحضرة العلمية.

ولما كان من جملة مراتب الوجود، الوجود الكتابي حصل لكل اية من ايات القرآن عند كتابها الوجود الكتابي كما حصل لها عند التلفظ بها الوجود العباري، وكما ان الكليات الطبيعية والحقائق الكونية التي للاشياء الموجودة في الخارج. اذا نزلت من الحضرة الالهية العلمية التي لها السبعة التامة الى حضرات العقول والارواح متعين بالتعينات الخارجية ومتقيد، مع ان تعينها غير متناهية. واذا نزلت منها الى عالم الشهادة فيصير جرس منحصرة ويقع في ضيق القيود الجرسى؛ كذلك حقيقة الكلام الالهي نزلت من الحضرة العلمية الى حضرات الاكوان تقع في الضيق خصوصاً في مضيق العبارة. لذلك لا تفي العبارة على معانيها. ولا يدرك العقول الجرسي مراتبها ومعانيها لكون معان تقشعر منها الجلود(٣). قال عليه السلام: «بدأ القرآن غريباً وسيعود كما بدأ»(٤) مع ان العرفاء عرفوا انه بيان تفاصيل الحقيقة الانسانية الكمالية(٥) كما اشارت اليه عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بقولها: «كان خلقه القرآن»(٦).

فمن قال ان كلام الله تعالى مفهوم هذه الالفاظ والحروف الدالة هي عليه؛ فنظره الى تلك الحقيقة المعقولة القائمة بالذات الالهية فهو مصيب من هذا الوجه، غير

١- انظر نحوه؛ ابن المبارك /زهد ٥١٢، ٢-علم : أ و ، ٣- الجلود: أ.و، ٤- لم أجد له اصلاً ، ٥- اكمالية: أ، ٦ - مسلم : مسافرين ١٣٩،

مصيب من وجه اخر، وهو نفي اسناد هذه الالفاظ والحروف اليه. وانما وقع في هذا المعنى لكونه ما اعتبر تنزلات الحق وظهوره في صورة الاكوان. والحق سبحانه يخبر عن نفسه انه قال لموسى عليه السلام في صورة النار حين تجلي له بها: «إني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى»(١)، «انني انا الله لا اله الاّ انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري»(٢) وفي صورة الشجرة كما قال: «فلما اتيها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين.»(٣) وهذا عين التنزل الى الصورة البادية والشجرية. وكلامه حق صدق ؛والايمان به واجب. ومن قال انه هذه الالفاظ والحروف، فهو ايضاً مصيب لان الحق هو المتكلم بها في مظاهره الكلية بالقائها فيها واتحادها في صورها، كما قال تعالى بلسان الشجرة وبلسان النار ما مر آنفاً ولسان الملك ولسان الانسان الكامل اولى بذلك. قال تعالى في حق نبيه عليه السلام: «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى»(٤)، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»(٥) وقال تعالى عن الكفار منكراً عليهم: «قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون» «قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمؤمنين»(٦). وهذه المظاهر التي تلقى فيها الكلام الالهي لا يجلو من الهوية الالهية التي بها قوام كل شئ وجوده، بل الحق اقرب اليها من انفسها كما قال: «ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون»(٧) وقال: «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد»(٨) فهو متكلم في صورها لاغيره، ووجه خطائهم حصرهم الكلام في هذه الالفاظ وبفهم المعنى القائم بالذات عن كونه؛ وسلاماً.

وما قالت المعتزلة من انه تعالى متكلم بايجاد كلامه في غيره، ايضاً حق من حيث ان هذه المظاهر عباد الله مخلوق منه والعباد من حيث انهم عباده اعتبار. فقولهم ان هذه الحروف والالفاظ حادثة قائمة بغير ذات الله تعالى انما باعتبار اسنادها الى مظاهرها، وهو جبريل ونبينا ﷺ وقارئين اياها.

وقول الحنابلة ان هذه الحروف والاصوات(٩) قديمة قائمة بذات الله تعالى انما هو باعتباراتها من جملة المعلومات الالهية الثابتة في الحضرة العلمية. اذ الحضرة العلمية متعلقة بان للقرآن صورة لفظية، عبارته حاصلة في الاعيان الانسانية وفيها صورة

١- طه: ١٢-١٣، ٢- طه: ١٤، ٧- القصص: ٣٠، ٣- النجم : ٣-٤، ٤- الانفال:١٧، ٥-ذكرى : أ. و ، ٦- النحل : ١٠١-١٠٢، ٧- الواقعة:٨٥، ٨- ق : ١٦، ٩- الصواب: أ

علمية للقرآن مطابقة لما في الصورة الشهادية، اذ «لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء»(١)، «وهو السميع العليم»(٢). فهي بذلك الاعتبار قديمة قائمة بذات الله تعالى، وان كانت بالاعتبار الآخر حادثة قائمة بغير ذات الله تعالى.

وقول الكرامية كلام الله تعالى ازلي لكونه ليس بلفظ ولا معناه، بل هو قدرته على احداث، قوله في ذاته وقوله هو هذه الالفاظ الدالة على المعاني انما هو باعتبار ما مر، من ان الحقيقة التي تسمى كلام الله تعالى ما نزلت عن الحضرة التي كانت فيها تحقيقها، بل تنزلها عبارة عن ايجاد الحق صوراً لها في عوالم الجبروت والملكوت والملك مطابقة الصورة العلمية الالهية. وكذلك جميع الاعيان الثابتة والحقائق الكونية، لذلك قال بعض المحققين رضوان الله عليهم اجمعين: ان الاعيان الثابتة في الحضرة العلمية ما شمت(٣) رائحة الوجود الخارجي بعد. فالصور التي لتلك الحقيقة باعتبار غيرها وان كانت باعتبار اخر عينها، كالصور المرئية في المرآة عين الصور الناظرة اليها وغيرها باعتبار آخر. وقولهم بل هو قدرته انما هو باعتبار ان الاسماء والصفات في الحضرة الاحدية عين الذات، وكل منها عين للآخر وان كانت في الحضرة الواحدية غيرها، وكل منها غير للآخر.

والتفريق بين كلامه وبين قوله عائد الى الاصطلاح. ولكل ان يصطلح لما يشاء اذ لا مشاحة في الاصطلاحات فالفاضل من جميع ما مر. ان القرآن كلام الله وانه في هذا العالم هذا المتلو بالالسنة بهذه الحروف والالفاظ المكتوبة في المصاحف؛ لذلك لا يجوز مسها للجنب ولا للحائض وقال تعالى: «لا يمسه الا المطهرون»(٤). ولا يجوز قراءة القرآن لهما، قال عليه السلام «لا يقرأ الجنب والحائض شيئاً من القرآن» وليس كلام البشر(٥) لذلك قال تعالى رداً على قول الكفرة «ان هذا الا قول البشر»(٦) لذلك قال تعالى: «ساصليه سقر»(٧) اي هذا القائل وليس كلام الملك لقوله تعالى: «تنزيل من رب العالمين»(٨) ولقوله تعالى: «قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا»(٩) وقوله تعالى: «انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين»(١٠) وقوله: «انه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون»(١١) لا يدل على ان هذه الالفاظ المركبة المعجزة تركيب جبريل وكلامه او

١- سبأ: ٣، ٢- الدخان: ٦، ٣- سمت: أ.و، ٤- الواقعة: ٧٩، ٥- الترمذي: طهارة: ٩٨؛ السيوطي: الفتح الكبير، ٣-٣٦٧، ٦- المدثر: ٢٥، ٧- المدثر: ٢٦، ٨-الحاقة: ٤٣، ٩- النحل: ١٠٢، ١٠- التكوير: ١٩-٣٠، ١١- الحاقة: ٤٠-٤١

كلام الرسول والاّ يكون مناقضاً لقوله تعالى: «تنزيل من رب العالمين»(١) ولقوله: «قل نزّله روح القدس من ربك»(٢) ويكون اسنادها ايضاً الى الله تعالى غير صحيح، لانه يكون حينئذ تقولا وافتراء، فيلزم كذبها مع ان الايمان بصدقها واجب. فاضافة القول الى الرسول ليست الاّ بحسب التبليغ. فانه واسطة بين الحق وعبده، مبلغ الينا كلامه كما قال: «إن(٣) عليك الا البلاغ»(٤)، «ان انت الا نذير»(٥)، وفيها سر آخر، وهو ان الحق تعالى، هو المتجلي في صورة الرسول لنا، المتكلم بلسانه لسمعنا، كما تكلم بلسان الشجرة والنار. فالقائل هو الحق وان كان القول صادراً بحسب الظاهر من صورته.

ولما كان القرآن ظاهراً من صورته اضاف القول اليه بينهما لقلوب العارفين، انه يتكلم في مقام تفصيله بما يتكلم في مقام جمعه، قال عليه السلام: «ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده»(٦) وتنزيلا الى افهام المحجوبين لكونهم لا يتصورون. ان الكلام الحسي يمكن حصوله من غير هذه الآلة الحسية. وكذلك في العالم المثالي له صورة بالالفاظ والحروف، ولذلك كان يتلوه جبريل على نبينا صلوات الله عليه بهذه الالفاظ والحروف المتلوة عندنا، لكونها صورة ما في اللوح المحفوظ من المعاني الظاهرة بالصورة العقلية، وما في اللوح من الكلام الالهي الظاهر بالصورة العقلية صورة ما في علمه تعالى من حقيقة الكلام الصفاتي، وهي صورة الكلام الذاتي الذي هو عين الذات الاحدية. ومن عرف حقيقة هذه المعاني وامعن النظر فيها وانصف من نفسه، يظهر له ان لجميع الصفات الالهية مظاهراً في هذا العالم، وانها تتصف في بعض المراتب بالقدم وفي بعضها بالحدوث، واسرار اخرى لا يمكن هنا كشفها.

وهذا آخر ما اردنا بيانه، والحمد لله الكريم المنان المفضل علينا بالجود والاحسان. وصلى الله على محمد وآله واصحابه خلائف الرحمن وسلم تسليماً كثيراً.

تم

***

١- الحاقة: ٤٣، ٢- النحل: ١٠٢، ٣- وما: أ/و ٤- الشورى: ٤٨، ٥- فاطر: ٢٣، ٦- ابن العربي: الفتوحات: ف. ١٨٣ت؛ح٣. ص. ٢١٣.

رسالة في علم التصوف

رسالة في علم التصوف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى لذاته بذاته(١)، واظهر(٢) حقائق اسمائه وصفاته، وابدع بمفاتيح خزائن جوده وكرمه مظاهرها الغيبية في عين ذاته، و وهب لكل منها بالفيض(٣) الاقدس صورة علمية فجعلها اعياناً ثابتة وحقائق عينية(٤) وأفاض عليها بالفيض (٥) المقدس وجوداً من عين وجوده وأتقنها بحكمته ومشيئته الذاتية من فضله وجوده.

فسبحان من بسط بالنفس الرحمانية عين الوجود على الاعيان فأخرجها من ظلمة العدم الى نور الوجود(٦) والعيان، فخلق بقدرته اولاً عن مستوى الاسم الرحمن؛ فجعله روح العالم الإمكاني. وفتق به رتق ما جمع فيه(٧) من حقائق السموات والارضين. وفصل به ما أجمل فيه من صور اعيان العالمين، وجعل له في عالم الشهادة الصورة الألفية(٨) الانسانية مظهراً، كما جعل في عالم الغيب العقل الاول للمعنى البائية(٩) جوهراً. وشرفه بالباس خلعه الخلافة عليه. وكرمه باضافة صفاته جملة اليه، بل باستار(١٠) هويته فيه عند اظهار ظاهريته واختفاء حقيقته به حين ابراز باطنيته. لذلك صار الاسم الاعظم لذاته الجامع لجميع الكمالات من أسمائه وصفاته، أعني الروح المحمدي، الذي لولاه لما خلق الاكوان، ولا ظهر الوجوب والامكان ولا وصف الحق بالجمال والجلال ولا ظهرت(١١) أحدية الكبير المتعال.

صلى الله عليه وعلى آله خير آل صلواة دائمة من أزل الآزال الى أبد الآباد، الذي لا انقطاع له ولا زوال، وبعده على صحابته الكرام المصطفين من بين جميع الانام(١٢) مادامت الليالي والايام وتكررت الشهور والاعوام.

أما بعد: يقول العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف داود ابن محمود ابن محمد الرومي القيصري، غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين، لما رأيت خلاصة أهل

١- ساقطة في ن، ٢- فاظهر: س ، ٣- قطة في ك ، ٤- غيبية: س ، ٥- النص : ن ، ٦- ساقطة في س، ٧- به : ك ، ٨ - الالهية: ك ، ٩- الثانية: ك، ١٠- استتاد : س ، ١١- طهر : ك ، ١٢- الامام: ن.

العلم بعد الانبياء عليهم السلام أعيان الأولياء الذين ظهرت الانوار الالهية في قلوبهم فجذبتهم اليها وتعلقت نيران المحبة الذاتية بأرواحهم، فأذابتهم لديها فذاقوا لذة الوصول وشربوا من ماء الزلال، فزادت نيران الشوق في قلوبهم عند رجوعهم الى انفسهم، فتركوا في طلبه لذات الوجود الفاني للوصول الى منبع المعارف والمعاني. وأذابوا نفوسهم بنيران المجاهدة، وتلذّذوا بلذات المشاهدة في عين المجاهدة، وغرقوا في بحار المحبة وطاحوا، وظهروا باسرار التوحيد وباحوا(١) لأقتضاء الزمان ظهورها، ورفع الايام عن عيون الانام ستروها، فتكلموا فيها نظماً ونثراً، وان هلك المحجوبون عيونهم غيضاً وكضماً. ونوروا قلوب المستعدين بأنوارها. وكشفوا عن عيونهم أغطية استارها خصوصاً الشيخ الواصل(٢) المحقق والكامل المكمل المدقق، فخر العارفين وقرة عيون الموحدين، انسان عين المحققين، شرف الملّة والدين، أبو حفص عمر السعدي، المعروف بابن الفارضي المصري، قدس الله سره وأعلى بين الملاء الأعلى ذكره، حيث أتى بقصيدة نظم الدر الكاشف عن أبكار عرائيس المعاني ذات الوجوه الغر التي لم يأت بمثلها احد في الدهور والاعصار، ولايسمع بلفظها طبع ما تكرر الليل والنهار. فلا يمكن وصفها بلسان العبارة ولا يقدر على نعتها بيان الاشارة حيث أتى في كلّ بيت بضائع لفظية وبدائع شعرية من التجنيس والترصيع وصنعه الاشتقاق وغيرها مما يذكر في علم البديع. هذا من جهة اللفظ.

اما من جهة المعنى، فإنه سلك طريق التغزل على احسن ما يمكن ان يقال وبين فيه طريق السالكين وسبيل المهتدين ومنازل السائرين الى الله تعالى متدرجاً الى مقامات العارفين ومراتب الموحدين مشيراً الى كمالات الواصلين والكاملين والمكملين كاشفاً عن حقائق المحققين الذين بلغوا نهاية المراتب والكمالات. ووصلوا الى أعلى المقامات والدرجات بطريقة ما أتى بها احد في الاولين والآخرين، جزاه الله عنا خير الجزاء ومتعنا بها(٣) يوم الفوز باللقاء.

شعر:

لقد طاب مثوى من أتى(٤) بقصيدة ، لطلعتها كل القلوب(٥) لعواشق
وهيمت الاذهان عذراء حسنها ، كما هام للعذراء في الحب وامق
أحاطت بأسرار الاله فأظهرت ، بألفاظ عذبة كل عنها النواطق
دراري نظم در من نظم درها ، لآليّ في كشف المعاني فوائق

١- باجو: ك ، باحو: ن ٢- الفاضل: ك، ٣- به : ك، ٤- به: ك، ٥- ابا : ك.

ففي كل لفظ حررته دقائق ، وفي كل بيت قد حوته حقائق
ومن فوحات اللفظ فاحت عوالم ، ومن نفحات البيت طابت نواشق
جوامع تحقيق دقائق وحدة ، حقائق تفريد عليها دقائق
لوامع أنوار من الله فيضها ، طوالع اسرار بها الكل ناطق
أبي حفص السعدي لله دره ، على ما أتانا مخبراً وهو صادق

***

وكان جماعة من المتعدين الطالبين لاسرار التوحيد وانواره مقام التفريد والسالكين سبيلها بالرياضة والترك والتجريد يقرؤونها على ويصححونها لدى ولم يكن لي شرح أستعين به عند قراءتهم. وان كان بعض العلماء شرحها شرحاً بذل جهده فيه، ولم يقصر في حل(١) تركيبه ومعانيه، تغمدهم الله برضوانه وأسكنهم بحبوحة جناته. لكن كان يخطر بقلبي(٢) معان لم يتعرض لها الشارحون بها دقائق ما أقبلت خواطرهم اليها. أردت ان انخرط في سلكهم وأحتظي بما في يدي من ملكهم. فكتبت هذا الشرح مستعيناً بالله وقدرته ومستظهراً بحوله وقوته مع كثرة الاشغال وعدم فراغ البال. وأرجو ان يتقبل الله مني هذا السعي ويجعله مشكوراً وكلامي بين أهل الحقائق والدقائق مقبولاً. وقبل الشروع فيه كتبت مقدمة وثلاثة مقاصد.

الاول في اصول علوم هذه الطائفة. والثاني في طريق الوصول الى اصل الاصول. والثالث في الجمع والتوحيد ومراتبهما. وفي كل منها فصول تكوّن مقدمات لمعانيها ومحققات لمغانيها(٣) ومبينات لبيانها. وجعلته مشرفاً بالقاب المخدوم المولى الأعلم الصاحب الاعظم، مالك لرقاب الامم مختار سلاطين العرب والعجم، شمس سماء الوزارة، وقمر افلاك الصدارة، وملجأ الضعفاء والمساكين، ملاذ الفقراء في العالمين(٤) مجمع الاخلاق الملكية، مظهر الالطاف الالهية، ناشر لواء العدل، باسط الرحمة على ذوي العلم والفضل، غياث الملة والحق والدين، معين الاسلام والمسلمين، أدام الله ظلال جلاله على العالمين وأفاض سجال نواله على العالمين والجاهلين بحق محمد وآله واصحابه اجمعين.

١- خل : ك ، ٢- لقلبي : ك ، ٣- لمعانيها : ك، ٤- الطالبين : ك.

المقدمة وفيها فصلان

الفصل الاول في موضوع هذا العلم ومباديه ومسائله:

اعلم، أيدنا الله وإياك، انّ الوصول الى الله تعالى قسمان: علمي وعملي. والعملي، مشروط بالعلمي ليكون العامل على بصيرة في علمه. والعلوم انما يتميز بعضها عن بعض بتميز موضوعاتها، وهو موضوع كلّ علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية؛ فالمعروض هو موضوع. والعوارض هي المسائل.

ولا شك ان المسائل اما ان تكون كلها بديهياً او(١) كسبياً او بعضها بديهياً وبعضها كسبياً. ان كان كلها بديهياً مع عدم إمكان الوقوع الاّ بالنسبة الى بعض الاذهان، فهي مبادئ باقي العلوم. وان كان كلها كسبياً فهي متوقفة(٢) على امور بديهية، يعلم بها هذه الامور المكتسبة. وإن كان بعضها بديهيا وبعضها كسبياً فالبديهي مبادئ الكسبي.

ولاشك ان هذه الطائفة انما تبحث وتبين عن ذات الله تعالى(٣) وأسمائه وصفاته من حيث انها موصلة لكل من مظهرها ومستوياتها الى الذات الالهية. فموضوع هذا العلم، هو الذات الاحدية ونعوتها الازلية وصفاتها السرمدية. ومسائله كيفية(٤) صدور الكثرة عنها ورجوعها اليها وبيان مظاهر الاسماء الالهية والنعوت الربانية وبيان كيفية رجوع اهل الله اليه وكيفية سلوكهم ومجاهداتهم ورياضاتهم وبيان نتيجة كل من الاعمال والفعال والاذكار في دار الدنيا والآخرة على وجه ثابت في نفس الأمر.

ومباديه معرفة حده وفائدته، واصطلاحات القوم فيه، ما يعلم حقيقته بالبديهة ليبتنى عليه المسائل. فهذا العلم أشرف من جميع العلوم وأعزها لشرف موضوعه وعزة مسائله. وعلم الحكمة والكلام وان كان ايضاً موضوعهما موضوع هذا العلم، لكن لا يبحث فيهما عن كيفية وصول العبد الى ربه، والقرب منه، الذي هو المقصد الأسنى والمطلب(٥) الاعلى من تحصيل العلوم واتيان الطاعات والعبادات والمدرك بعلومهم المفهوم بأوهامهم، وفهومهم ليس الاّ مجعول نظرهم الفكري لاعين الحق الازلي.

فحده هو العلم بالله سبحانه وتعالى من حيث اسمائه وصفاته ومظاهره واحوال المبدأ والمعاد وبحقائق العالم وكيفية رجوعها الى حقيقة واحدة، وهي الذات الاحدية

١- و:ك، ٢- موقفه:ن ، ٣- ساقطة في ج، ٤- ساقطة في ك ـ ن، ٥- المطلوب:ك ـ ن .

ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخليص النفس عن مضائق القيود الجزئية، وايضاً لها مبدئها واتصافها بنعت الاطلاق والكلية وقد علم الفائدة ايضاً.

وهذا العلم وإن كان كشفياً ذوقياً، لا يحظى منه الاّ صاحب الوجد والوجود وأهل العيان والشهود. ولكن لما رأيت ان أهل العلم الظاهر يظنون ان هذا العلم ليس له اصل يبتني عليه ولا حاصل يوقف لديه، بل تخيلات شعرية وطامات ذكرية، لا برهان لأهله عليها، ومجرد دعوى المكاشفة لا يوجب الاهتداء اليها، بينت موضوع هذا الفن ومسائله ومباديه.

وما ذكرت من البرهان والدليل، هذا وفي ***مقدمات شرح الفصوص*** وباقي الرسائل التي كتبتها في هذه الطريقة إنما أتيت به إلزاماً لهم بطريقتهم وافحاماً لهم بشريعتهم. فإن كشف أهل الشهود ليس حجة عليهم وظاهر الآيات والاخبار المبينة(١) لما(٢) يقوله أهل الكشف مؤول لديهم فوجب ان نقول معهم بلسانهم، كما قال الله(٣) تعالى: ﴿وما ارسلنا من رسول الاّ بلسان قومه﴾(٤) والله على ما نقول وكيل واليه المستعان وهو يهدي السبيل.

الفصل الثاني في بعض اصطلاحاتهم

إعلم ان الذات الالهية اذا اعتبرت من حيث هي هي أعم من ان تكون(٥) موصوفة بصفة ما(٦) او غير موصوفة بها، فهي مسمّاة عند القوم بالهوية وحقيقة الحقائق.

واذا اعتبرت مجردة عن الصفات الزائدة عليها، فهي مسمّاة بالإحدية والعماء ايضاً.

واذا اعتبرت متصفة بجميع الصفات الكمالية فهي مسمّاة بالواحدية(٧) والالهية(٨) مشتملة عليها.

والصفات ان كانت متعلّقة(٩) باللطف(١٠) والرحمة، فهي مسمّاة بالصفات الجمالية، وان كانت متعلقة بالقهر والهيبة تسمى بالصفات الجلالية. ولكلّ منهما (١١) جمال وجلال اي وللصفات الجمالية جلال وللجلالية جمال.

١- المبنية: ج، ٢- بما : س ، ٣- ساقطة في س ـ ك ، ٤- ابراهيم: ١٤،٥- يكون: ج ، ٦- ساقطة في ج، ٧- بالوحدانية:ن، ٨- الاحدية : ك، ٩- معلقة: ن ، ١٠- باللطفا:ن ، ١١- منها: ك ـ ن،

واذا اعتبرت المظاهر الخلقية مستهلكة في أنوار الذات تسمى بمقام الجمع.
واذا اعتبرت الذات والمظاهر الخلقية من غير استهلاكها فيها، تسمى بمقام(٤) الفرق. والفرق ينقسم بقسمين: الاول، والثاني. ونعني بالاول ما يكون قبل الوصول؛ وبالثاني ما يكون بعد الوصول.

والفرق الاول للمحجوبين؛ والثاني للكاملين المكمّلين. وقد يقال له الفرق بعد الجمع، والصحو بعد المحو، والبقاء بعد الفناء. والصحو الثاني وما يشبه(٥) ذلك، وهو عبارة عن إفاقة العبد بعد صعقته اي بعد ان يتجلى الحق سبحانه للعبد وإفناه عن انيته وتلاشي جبل تعينه وفنى طور أنانيته. اعطاه الحق سبحانه وتعالى وجوداً ثانياً. ووهب له عقله وتصرفه في نفسه مرة اخرى. وهذا الوجود الثاني يسمى وجوداً حقانياً لكونه بعد الوصول وعلمه بتحققه بالحق سبحانه وتعالى لا بنفسه، كما كان يزعم من قبل.

ولما كان الوصول الى الحضرة الالهية متوقفاً بالعناية الازلية الجاذبة للعبد الى ربه، كان حال العبد في البدايات دائراً(٦) بين الصحو والمحو. ونعني بالمحو السكر، وهو(٧) حالة ترد على الانسان بحيث يغيب عندها عقله، ويحصل(٨) منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكران من الخمر، لكن بينهما من الفرق ما بين السماء والارض.

وهذا السكرنتيجة المحبة، وهي نتيجة الجذبة، وهي نتيجة التوفيق والعناية. فلا مدخل للكسب فيها. وهذا حال المحبوبين، لا حال المحبين. فإن انجذابهم انما هو بعد السلوك والمجاهدة. وسنذكرها في موضعها. وباقي اصطلاحاتهم: كالوجدان والوجد والوجود والشهود والعيان والمكاشفة والمشاهدة والتلوين والتمكين وأمثال ذلك مما هي مشهورة ومسطورة في الكتب لشهرتها. والعلم بها بادنى ملاحظة، تركت(٩) ذكرها خوفاً من التطويل. والحمد لله الجليل والجميل.

***

٤- مقام: ك، ٥- اشبه: ك ، ٦- دائرة : س ـ ك ـ ن ، ٧- هي : س ، ٨- تحصيل : ن، ٩- ترك : ج ـ س.

المقصود الاول

وهو مشتمل على فصول:

الفصل الاول في الوجود الالهي واسمائه وصفاته

اعلم ان كل احد من اهل العالم لا يشك في كونه موجوداً، ووجوده من غيره، وإلا لكان واجباً لذاته؛ ولا بد ان ينتهي الى موجود يجب وجوده لذاته والا لدار او تسلسل. وذلك الواجب هو عين حقيقة الوجود، اي كليه الطبيعي، المعبر عنه بالوجود المطلق. اذ لو كان غيرها، لم يخلو إما ان يكون حقيقة اخرى، غير حقيقة الوجود ويعرض عليها الوجود. ويكون الواجب موجوداً، كما يقول المتكلّمون او فرداً من افراد الوجود يفيض منه غيره، كما يقول الحكماء. وكل منهما محال. أما الاول: فالزوم الاحتياج في تحققها(١) الى الوجود سواء كان الوجود معلولاً من معلولاتها او لم يكن؛ اذ لا شكّ ان تحقق كل ما هو غير الوجود، انما هو بالوجود؛ اذ لو فرض زوال الوجود عنه او إمكان زواله، لم يكن متحققاً بنفسه. فالواجب لا يكون واجباً وللزوم كون ما لا وجود له مفضياً للوجود. وبديهة العقل تقتضي(٢) ببطلانه(٣) والمنازع مكابر لمقتضى(٤) عقله.

اما الثاني، فلان فرداً من افراد الحقيقة عبارة عن(٥) تلك الحقيقة مع تعيين زائد عليها. اذ لو كان التعين عينها لما حصل الامتياز بينهما(٦) وبين ما هو فرد منها، وان كان تعين ذلك الفرد عينها فقط مع انه موجب لثبوت المدعى. وان كان تعين كل منها كذلك، فلا امتياز بين أفرادها ايضاً لوجودها في كل منها.

وحينئذ لا يخلو الواجب إما ان يكون مجموع تلك الحقيقة والتعين او العارض وحده او المعروض وحده. والاول يوجب التركيب. وكل ما هو مركب من اجزاء، فهو حادث ممكن. والثاني يوجب قيامه بالغير والقائم بالغير لا يكون وجباً بالذات. فبقي(٧) الثالث وهو ان الحقيقة من حيث هي هي، واجبة وهو المطلوب. وأيضاً الوجود انما يحصل له افراد إما باعتبار ظهوره بصور حقائق الموجودات وصيرورته عين الماهيات(٨) المتكثرة الجوهرية بحسب التجليات المختلفة، بعد ان كان واحداً حقيقياً، لا تعدد فيه؛ وإما باعتبار صيرورته حقيقة عرضية عارضة(٩) لكل من اعيان الجواهر و

١- تحقيقها : ك . ن ، ٢- يقتض : ن ، ٣- لبطلانه :ن ، ٤- مقتضى : ح، ٥- ساقطة في ج، ٦- بينها : ج. ٧- فبقا: ك، ٨- الهيات: ، ٩- ساقطة في ك.

العوارض(١). اذ العارض لجوهر غير عارض لآخر.

وهذا لا يتم إلاّ على قول أهل الله بانه يتجلى بحسب صفاته المتكثرة ويصير عين الاعيان الجوهرية والعرضية وهو في نفسه على وحدته الحقيقية لا يتغير عما(٢) كان عليه ازلاً وابداً، كالواحد. فإنه بتكراره وظهوره في المراتب العددية يفعل الاعداد الغير المتناهية التي لكل منها خصوصية لاتوجد في اخرى. ولكل منها حقيقة غير حقيقة الاخرى. وهو على احديته ازلاً وابداً.

وأما باعتبار كونه باقياً على وحدته الحقيقية غير ظاهر في صور الاعيان الجوهرية والعرضية فليس له افراد، بل التعدد فيه باضافة الى الماهيات والاعيان. لذلك قيل «التوحيد إسقاط الاضافات». والاضافة لا توجب ان يكون له افراد متكثرة. فبطل قولهم ان الواجب وجود خاص مع القول بان الوجود حقيقة واحدة، اللهم الاّ ان يقولوا ان لفظة الوجود مقولة بالاشتراك اللفظي على وجود الواجب والممكن فيكون له مسمّيات مختلفة الحقائق وبطلانه ظاهر. اذ المفهوم من الوجود ليس الا شيئاً واحداً والمنازع مكابر لوجدانه.

واذا كان الوجود عين الواجب، فلا يكون في نفسه جوهراً ولا عرضاً، لكونهما متحققين بالوجود موجودين به. اذ لولا الوجود، لما كان جوهر(٣) ولا عرض(٤) ولكونهما(٥) متحققين بالوجود. يظهر ان الوجود محقق لجميع العالم، لانه اعراض وجواهر لاغير. والمقوم للحقيقة مقوّم(٦) لافرادها. فظهرت قيوميته تعالى وإحاطته بالذات لما سواه. وكذلك اوليته وآخريته لانه مبدء كل شيئ ومنتهاه، كما قال تعالى منه بدأ واليه يعود: «واليه يرجع الأمر كله»(٧) وظهرت ظاهريته ايضاً، لان كل ما يظهر غيره لا بد ان يكون ظاهراً بنفسه، متحققاً في وجوده ليوجد غيره. وكذلك باطنيته لخفاء حقيقته عن عيون العالمين وعقولهم، لا تدركه البصائر والابصار، ولا تحيط به العقول والافكار.

فسبحان الذي لا اله الا هو العزيز الغفار اظهر كل شئ بحكمته واعطى كل شئ خلقه بقدرته، وأوجد اعيان العالمين برحمته وليس ذلك الا تجليه بصورة ما أراد إظهاره، وتنزله الى مراتب الاكوان عند إسباله واستاره(٨)، فليس لوجهه نقاب الاّ النور ولا لذاته حجاب الا الظهور. بطن عن عيون المحجوبين في عيون ظاهريته وظهر

١- ساقطة في ج، ٢- مما: ج، ٣- جوهراً: ك، ٤- عرضاً: ك، ٥- من كونهما: ج، ٦- مفهوم: ن، ٧- هود: ١٢٣، ٨- اشارة: ن.

لقلوب العارفين في عيون باطنيته. وليس حال ما يطلق عليه السوى والغير الا كحال الامواج على البحر الزخار. فإنّ الموج لا شك انه غير الماء عند(١) العقل من حيث انه عرض قائم بالماء. وأما من حيث وجوده، فليس شئ فيه غير الماء، كحال البخار والثلج والبرد والجليد(٢) بالنسبة الى الماء. فمن وقف عند الامواج التي هي وجودات الحوادث وصورها، وغفل عن البحر الزخار الذي بتموجه يظهر من غيبه الى شهادته ومن باطنه الى ظاهره هذه الامواج يقول بالامتياز بينهما، ويثبت الغير والسوى. ومن نظر الى البحر، وعرف انها امواجه، والامواج لا تحقق لها بانفسها، قال بأنها اعدام ظهرت بالوجود. فليس عنده إلاّ الحق سبحانه وما سواه عدم يخيل انه موجود متحقق. فوجوده خيال محض. والمتحقق هو الحق لاغير.

ولذلك قال الجنيد رحمه الله: «الآن كما كان» عند سماعه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولم يكن معه شئ». ومن هنا قيل:

البحر بحر على ما كان في قدم ، ان الحوادث امواج وانهار
لا تحجبنك اشكال تشاكلها ، عمن تشكل فيها فهي استار.

***

ظهرت اولاً بصور الاعيان الثابتة واستعداداتها في باطنه وحضرة علمه الذاتي بالفيض الأقدس والتجلي الأول بحسب الحب الذاتي، الذي قال عنه: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف»، الحديث. ثم اظهرها بحسب مراتبه الذاتية بالفيض المقدس في الخارج ودبّرها بحكمته على ما اقتضته الاستعدادات الازلية، كما قال تعالى: «يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون». والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الثاني في مراتب التنزلات الوجودية والحضرات الخمس الالهية:

إعلم ان اول ما تجلى الحق سبحانه لنفسه وأظهر في وجوده، الذي هو الهيولي الكلية المسماة بالنفس الرحماني؛ هو الصورة العقلية المتشبعة منها صورة النفس الكلية، كما قال عليه السلام: «اول ماخلق الله العقل». ثم تشعب منها صور العقول والنفوس المجردة والطبيعة الاصلية، ثم صور النفوس المنطبعة والهيولي الكلية التي

٢- ساقطة في ج ، ٣- الجمد : ج.

للاجسام النورية المثالية، ثم صورتا العرش والكرسي، ثمّ صور الاجسام العنصرية السماوية وغيرها، ثم صور المركبات من المعادن والنباتات والحيوانات الى ان انتهت الحركة الوجودية الى الانسان، وهو آخر مراتب التنزلات. ثم شرع يترقى ما تنزل في المراتب الوجودية منه وفيه متدرجاً سالكاً على المراتب الوجودية الى ان يترقى ويصل الى المبدء الاول وعلة العلل الذي منه بدء اولاً.

فأول العوالم في الوجود الخارجي، هو عالم العقول والنفوس المجردة المسماة (١) بعالم الجبروت. ثم عالم المثال المطلق الذي لكل من الموجودات المجردة وغير المجردة فيه صور مثالية، مدركة بالحواس الباطنة ويسمى بعالم الملكوت. ثم عالم الملك الذي هو العرش والكرسي والسموات والعناصر وما يتركب منها. وهذه العوالم الثلاثة صور ما في العلم الالهي من الاعيان الثابتة المسماة(٢) بالماهيات الممكنة والحقائق وامثال ذلك، وهي عالم الغيب المطلق لاشتماله على غيوب كل ما في العالم. والانسان ان كان من حيث صورته الظاهرة من عالم الملك وصورة(٣) الباطنة من عالم الملكوت، لكن لجامعيته وكونه مشتملاً على كلّ ما في العالم الخارجي هو عالم آخر برأسه؛ فصارت العوالم الكلية والحضرات الاصلية خمساً:

عالم الاعيان الثابتة هي عالم الغيب المطلق، وعالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك، وعالم الانسان الكامل وهذا العقل الاول، المشار اليه وهو الروح المحمدي صلى الله عليه وسلم، كما أشار اليه بقوله: «اول ما خلق الله نوري»(٤) وفي رواية «روحي»(٥). وذلك باعتبار اتصاف روحه بالكلية وارتفاع التقيد الموجب للجزئية الحاكم بينهما بالاثنينية، اما باعتبار التعلق بالصور البشرية والهيئة الناسوتية، فالمغايرة(٦) بينهما كالتغاير بين الكلي(٧) والجزئي(٨) لا كالتغاير بين الحقيقتين المختلفتين، كما ظن المحجوبون ممن لا يعلم الحكمة المتعالية.

فانهم ظنوا ان كلاً من العقول المسماة عند الطائفة بالارواح المجردة حقيقة نوعية مباينة لما سواها وينحصر نوعها في شخصها. وهذا الكلام وان له وجه وهو ان الكلي الحقيقي اذا انضم بصفة كلية يصير نوعاً من الانواع؛ لكن ذلك لا يجعل الحقيقة الكلية مباينة بالكلية عن غيرها، الذي هو افرادها. فان(٩) الروح الكلي هو الذي

١- المسمى : س.ن ، ٢- المسمات: : ، ٣- ساقطة في ج ، ٤- العجلوني : كشف الخفاء ؛ ج١/ص: ٢٦٦ ٥- العجلوني: ج١. ص:٢٦٦، ٦-والمغايرة: ج ، ٧- الكل : س.ك، ٨- جزئية: ج. جزئه : س ، ٩-ساقطة في ج،

يصير بظهوره في صفة كلية اخرى نوعاً، في صفة جزئية شخصاً. فنسبة الروح الكلي المسمى بالعقل الاول الى باقي الارواح الفلكية والحيوانية والانسانية عند من انكشاف الغطاء عن بصره وارتفع الحجاب عن بصيرته، كنسبة الجنس الى انواع واشخاصه، فلا مباينة بينهما بالكلية.

فإن قلت: النفوس الناطقة المتعلقة بالابدان هي المسماة بالارواح الانسانية المدبرات لابدانها وهي مباينة بالحقيقة للعقول المجردة. وغاية ما ذكرتم ان العقول المجردة ليست متباينة بالكلية لكون العقل الاول كالجنس لها.

قلنا: النفس الكلية التي هي(١) هذه(٢) النفوس الناطقة وجزئياتها ليست مباينة بالحقيقة للعقل الكلي المسمى بالروح الكلي، بل المباينة بينهما بإعتبار التعلق او(٣) اللاتعلق. والصفتان الخارجتان عن حقيقة الشئ لا توجبان المغايرة والمباينة بالحقيقة، كما ان الذكورة والانوثة في الانسان وباقي الحيوانات لاتوجب ان يكون لكل من موصوفها(٤) حقيقة مغايرة لآخر.

وفي الحقيقة العقل الاول هو آدم الحقيقي والنفس الكلية هي حواء الحقيقية. والعقول والنفوس الناتجة منهما اولادهما لاغير. وآدم أبو البشر وحواء صورتا ما في عالم العقول والنفوس المجردة المسمى بعالم الجبروت في عالم الملك والشهادة المطلقة، كما ان لكل ما في العالمين صورة في العالم المثالي كما سنبينه ان شاء الله تعالى.

ومن هنا(٥) يعلم ان الروح والقلب والنفس المدبرة للبدن الانساني(٦) شئ واحد يختلف أسماؤه(٧) باختلاف صفاته. فإن عرفت قدر ما سمعت، فقد اوتيت الحكمة «ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»(٨). والله الهادي.

الفصل الثالث في العالم المثالي

اعلم ان بين عالم الاجسام وعالم الارواح المجردة عالماً آخر يسمى بعالم(٩) مثالى، ويسمى ايضاً برزخاً. واليه الاشارة في قوله تعالى: «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان»(١٠) اي بين بحري عالمي(١١) الارواح والاجسام برزخ يمنع عن بغي احدهما على الاخر. وللبرزخ لا بد ان يكون نصيب منهما فهو من حيث انه

١- ساقطة في ج ٢- ساقطة في ك.ن ، ٣- و: ج، ٤- موصوفهما : ك.ن ، ٥- هذا : ج ، ٦- ساقطة في س ، ٧- اسماؤها: ج ، ٨- البقرة: ٢٦٩، ١- ساقطة في ج، ٢- الرحمن : ١٩-٢٠، ٣- عالم : ج،

غير مادي شبيه بعالم الارواح ومن حيث انه ذو صورة وشكل ومقدار شبيه بعالم الاجسام. وفي هذا العالم تقبل المعاني النازلة من الحضرة الالهية اولاً صورة جسمية كالصور الخيالية التي فينا، ثم ينزل الى عالم الملك. ولذلك يسمى بالخيال المنفصل ايضاً.

وكذلك لكل من الارواح الكلية والجزئية من العقول والنفوس المجردة وغير المجردة فيه صورة على حسب كمالاتها ودرجاتها، كذلك الارواح الانسانية قبل ظهورها في الابدان ظاهرة بتلك الصور، مشهودة[١] فيها لارباب الشهود وجميع ارباب المكاشفة؛ اكثر ما يكاشفونه من الأمور الغيبية يكون في هذا العالم، وفيه تتجسد الاعمال والافعال الانسانية، الحسنة والقبيحة، كل بما يناسبها. ولكل انسان منه[٢] نصيب وهو القوة الخيالية التي فيها ترى المنامات وتسمى بالخيال المقيد. ونسبة هذا المقيد الى مطلقة نسبة البيوت الى الخارج منها.

واول ما ينفتح للانسان عند غيبته عن هذا العالم الجسماني هذا العالم المثالي، وفيه يشاهد احوال العباد بحسب[٣] صفاء الباطن وقوة الاستعداد. فان من يشاهد امراً يقع بعد سنة اقوى استعداداً ممن يشاهد ما يقع دون تلك المدة. وكل ما يشاهد في الخيال المقيد، قد لا يكون محتاجاً الى التعبير وهو القليل والاكثر ما يحتاج اليه. وذلك لان المعاني اذا ظهرت بالصور انما تظهر[٤] فيها بحكم المناسبة بينها وبين ما يظهر فيها من الصور. فلا بد ان يعبر الرأي او من يعبر له من تلك الصور الى المعنى الظاهر فيها، وقد يكون «اضغاث احلام» لا يلتفت اليه لسوء مزج الدماغ؛ لذلك يصيب بعض المنامات ويخطأ بعضها.

والاصابة[٥] والخطاء فيها اسباب لا يحتمل المقام بيانها. والبرزخ الذي يدخل فيه الانسان بعد المفارقة عن البدن الجسماني ايضاً من هذا العالم، لكن الموطن الذي يدخل فيه الانسان بعد الوفاة مغاير للموطن الذي منه، يدخل في الدنيا؛ وليس هذا موضوع تحقيقه. وفيه الجنة والنار والثواب والعقاب، كما دلت الاحاديث الصحيحة عليها. وفيه نعيم القبر وعذابه وسؤال المنكر[٦] والنكير، وفيه[٧] البعث والنشور على ما اخبر به الانبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنه تتبين كيفية المعراج وشهود رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم السلام. والجنة والنار وأنواع المشاهدات المتعلقة بالحواس الخمس القلبية انما هو في هذا العالم.

١- مشهورة: ج ، ٢- فيه : ج، ٣- لحسب: س ، ٤-يظهر: ن. ٥- وللاصابة : ج.ك ، ٦- منكر: س، ٧- منه: ج،

والكشف الصوري الذي يحصل منه للمرتاضين من احوال الناس والحوادث التي تقع انما تحصل فيه، لكونه غير مخصوص باهل الايمان، وعدم التفات خواطر اهل الله بالحوادث الزمانية(١) ولا يلتفت اليه الكمل وجميع ما نبهنا اليه ويتعلق به من المباحث الشريفة. فقد ذكرناها في مقدمات شرح الفصوص، فمن اراد ذلك فليطلب هناك.

***

المقصد الثاني

في طريق الوصول الى اصل الأصول وفيه فصول:

الفصل الاول في النبوة

اعلم ان الوصول الى الله تعالى لايمكن للخلق الا باتباع الانبياء والاولياء عليهم الصلاة والسلام. اذ(٢) العقل لا يهتدي اليه اهتداء، تطمئن به القلوب ويرتفع(٣) عن صاحبه الريب والشكوك، ولاسبيل له في معرفة الحق غير انه ينظر في الممكنات ويستدل بها على موجدها، وهو الحق سبحانه وتعالى، وعلى وحدته(٤) ووجوبه(٥) وعلمه وقدرته. لا يعلم من صفاته التشبيهية الا هذا القدر ومن صفاته التنزيهية انه ليس بجسم ولا جسماني ولا زماني ولامكاني وامثال ذلك.

وليس هذا الاستدلال إلاّ من وراء الحجاب(٦) ومثل هذا المستدل، كمثل من يرى ظلّ الشخص القائم في الشمس وهو في البيت لايراه. يعلم يقيناً ان ثمة شخصاً انساناً قائماً، لكنه(٧) لا يعلم من هو، وما شكله وهيئته وصفته، لعدم شهوده اياه، فهو كأعمى يلمس شيئاً، فيدرك بآلة لمسه بعض صفات ملموسة، ولاشاهده ولا يعلم حقيقته ولاجميع صفاته.

فاصحاب العقول كالذين قال تعالى فيهم(٨): «أولئك ينادون من مكان بعيد»(٩) لانهم يجعلون الحق بعيداً عن انفسهم، خارجاً عن الممكنات كلها فرداً واحداً مشخصاً ممتازاً عن جميع ما سواه. وصدر منه الموجودات الممكنة، والحق

١- الرضافية: ك ، ٢- لان : ك ، ٣- يرفع: س.ن، ٤- ساقطة في ك ، ٥-وجودية: ن ، ٦- حجاب: ن ،٧- ساقطة في ك ، ٨- ساقطة في ن ، ٩- فصلت : ٤٤ .

سبحانه وتعالى يخبر عن نفسه انه قريب بقوله: «واذا سألك عبادي عني فاني قريب»(١)، «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد»(٢)، «ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون»(٣)، بل يخبر انه: «هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم»(٤).

وفي هذه الاخبار جعل نفسه عين كل ما ظهر وما بطن، وهو اعلم بذاته عن غيره؛ وقوله صادق والايمان به واجب، والقرب هنا وان كان غير القرب الذي يكون بين الجسمين له(٥) معنا لكنه كالقرب بين الحقيقة وما يتعين منها من الافراد، ويظهر سر هذا المعنى لمن يظهر له سر قوله تعالى: «وهو معكم اينما كنتم»(٦) و «اينما تولوا فثمّ وجه الله»(٧).

فالإهتداء اليه تعالى إما باخباره تعالى عن ذاته وأسمائه وصفاته او بتجليه لعباده وإشهاده نفسه لهم: وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه إلاّ واحد بعد واحد. فهم الانبياء والاولياء عليهم الصلاة والسلام، الذين هم خلاصة خاصة(٨) أهل الوجود والشهود. فوجب لطالب الحق اتباعهم والاهتداء بهم، قال تعالى: «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»(٩) وبقدر متابعته للانبياء والاولياء عليهم السلام، تظهر له الانوار الالهية والأسرار الربانية.

والنبوة لغة مأخوذة(١٠) من النبأ وهو الخبر. وفي الاصطلاح هي البعثة للاخبار من الله تعالى إرشاداً للعباد واهتداء لهم(١١) طريق السداد(١٢)؛ وهي عامة وخاصة. ونعني بالنبوة العامة: ما لا يكون مقروناً بالرسالة والشريعة، ولعمومها الانبياء عليهم السلام تسمّي بالعامة(١٣)؛ وبالخاصة(١٤) ما لا يكون كذلك، الاولى(١٥) كنبوة الانبياء الذين كانوا داخلين في شريعة موسى صلوات الله عليهم اجمعين. فإنه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثاً بالرسالة والشريعة وغيره من انبياء زمانه كهارون ويوشع وغيرهما، كانوا تحت أمره وطوع حكم شريعته منبئين عن الحق واسراره، مخبرين عن غيب انواره، مرشدين لعباده بحسب استعداداتهم واقتضاء زمانهم.

١- البقرة: ١٨٦، ٢-ق: ١٦، ٣- الواقعة: ٨٥، ٤- الحديد: ٣، ٥- ساقطة في ج، ٦- الحديد: ٤، ٧- البقرة: ١١٥، ٨- ساقطة في س، ٩- آل عمران: ٣١، ١٠- مأخوذ: ج، ١١- بهم: س، ١٢- الرشاد: ج، ١٣- الخاصة: ن، ١٤- الخاصة: ن، ١٥- الاولا: ج.

والثانية كأولى العزم من الرسل صلوات الله عليهم اجمعين، الظاهرين بالرسالة والشريعة والكتب الالهية. فالنبوة دائرة مشتملة على نقط(١) في محيطها، وكل نقطة منها مركز دائرة برأسها. فخاتم النبيين المرسلين محمد صلوات الله عليهم اجمعين، صاحب هذه الدائرة الكلية. لذلك كان نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كنقطة محيطها.

والنبوة عطاء الهي لا مدخل للكتب فيه. فالنبي هو المبعوث من الله تعالى لإرشاد الخلق وهدايتهم، المخبر عن ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه الآخرة من الحشر والثواب والعقاب.

وللنبوة باطن وهو الولاية. فالنبي بالولاية يأخذ من الله تعالى او من الملك المعاني التي بها كمال مرتبته(٢) في الولاية والنبوة؛ وبالنبوة يبلغ ما اخذه من الله تعالى بواسطة او بغير(٣) واسطة الى العباد ويكلمهم به، ولا يمكن ذلك الا بالشريعة. وهي عبارة عن كل ماأتي به الرسول من الكتاب والسنة.

وما استنبط منهما من الاحكام الفقهية على سبيل الاجتهاد او انعقد عليه اجماع العلماء متفرع عليها. ولما كان للكتاب ظهر وبطن و حد ومطلع، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن للقرآن ظهراً وبطناً و حداً ومطلعاً»(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ان للقرآن بطناً ولبطنه بطناً الى سبعة أبطن»(٥)، وفي رواية: «الى سبعين بطناً»(٦) وظهره ما يفهم من الفاظه بسبق(٧) الذهن اليه وبطنه المفهومات اللازمة للمفهوم الاول، و حده ما اليه ينتهي غاية ادراك الفهوم والعقول . ومطلعه ما يدرك منه على سبيل الكشف والشهود من الاسرار الالهية والاشارات الربانية.

والمفهوم الاول الذي هو الظهر للعوام والخواص(٨) والمفهومات اللازمة له للخواص، ولا مدخل للعوام فيها. والحد للكاملين منهم. والمطّلع لخلاصة اخص الخواص، كاكابر الاولياء؛ وكذلك التقسيم في الاحاديث القدسية والكلمات النبوية. فإن لكلّ من العوام والخواص واخص الخواص فيها إنباءات رحمانية، واشارات الهية. وكان للشريعة ظاهر وباطن. ومراتب العلماء ايضاً فيهما(٩) متكثرة. ففيهم فاضل ومفضول وعالم واعلم، والذي نسبته الى نبيه أتم، وقربه من روحه

١- نقطة : ن، ٢- مرتبة: ن ، ٣- وغير : ك ، لا بواسطة: س ٤- ذكر العسقلاني نحوه في المطالب العالية ؛ القاهرة ، ١٩٧٤ . ج ٣؛ ص: ٢٨٥، ٥- فيض القاشاني : تفسير الصافي ، طهران ، ١٢٦٩؛ ص: ١٥، ٦- لم أجد له اصلاً ، ٧- يسبق:ك، ٨- ساقطة في ج، ٩- فيها : ج ، ساقطة في س.

اقوى. كان علمه بظاهر شريعته وباطنها اكمل؛ والعالم بالظاهر والباطن(١) منهم أحق ان يتبع لغاية قربه بنبيه وقوة علمه بربه واحكامه وكشفه(٢) حقائق الاشياء وشهوده اياها. ثم من هو دونه في المرتبة الى ان ينزل الى مرتبة علماء الظاهر فقط.

وفيهم ايضاً مراتب. اذ العالم بالاصول والفروع أحق ان يتبع من العالم باحدهما. واعني بالاصول الكتاب والسنة وما يدلان عليه من العقائد الحقيقية(٣) في الحق سبحانه وكتبه وصحفه واليوم الآخر وما يقتضي به العقل المنور بالنور(٤) الالهي والتجلي الرحماني من الاحكام الحقة الالهية لا المسائل الكلامية المختلف فيها اختلافاً، لايكاد يرتفع الى يوم القيامة لثبوت الدين وأصوله والقائلون بها في كتم العدم مع عقولهم، وبالفروع ما يستنبط منها من المسائل الكلامية واصول الفقه والأحكام الفقهية المترتبة على الكتاب والسنة.

فلكل(٥) من الظاهر والباطن خلفاء وكلهم داخلون تحت حكم الخليفة الذي هو العالم بالظاهر والباطن وأكمل من الكل.

فالواجب على الطالب المسترشد إتباع علماء(٦) الظاهر في العبادات والطاعات والانقياد لعلم ظاهر الشريعة. فانه صورة علم الحقيقة لا غير، ومتابعة الاولياء في السير والسلوك لتنفتح له ابواب الغيب والملكوت، وعند الفتح وانكشاف الباطن له والمفهومات اللازمة للمفهوم الاول المعلوم من لسان الاشارة يجب عليه العمل بمقتضى علم الظاهر والباطن، ان كان مما يمكن الجمع بينهما، وان لم يمكن الجمع بينما، فهو ما دام لم يكن معلوماً بحكم الحال والوارد، ايضاً يجب عليه اتباع العلم، وان كان معلوماً بحيث خرج من مقام التكليف، فعمله بمقتضى حاله، لكونه في حكم المجذوبين. وكذلك الكاملون المكملون، فإنهم في الظاهر متابعون لخلفاء ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم وهم العلماء المجتهدون.

واما في الباطن، فلا يلزم لهم الاتباع، لكونهم يحكمون بظاهر المفهوم الاول من القرآن والحديث. وهؤلاء يعلمون ذلك مع المفهومات الاخر. والاعلم لا يتبع من دونه، بل الامر بالعكس لشهود الأعلم الأمر على ما في نفسه.

لذلك لا بد ان يرفع المهدي الخلافات بين أهل الظاهر، ويجعل الاحكام المختلفة

١- باطن : ك ، ٢- كشف : ج ، ٣- الحقيقة: س ، ٤- ساقطة في س، ٥- ولكل : س.ن، ٦- العلماء: ن

في مسئلة واحدة(١) حكماً واحداً وهو ما في علم الله تعالى؛ وتصير المذاهب(٢) حينئذ مذهباً واحداً لشهوده(٣) الامر على ماهو (٤) عليه في علم الله تعالى، لارتفاع الحجاب عن عيني جسمه وقلبه، كما كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاذا اجماع علماء الظاهر في امر يخالف مقتضى الكشف الصحيح الموافق للكشف الصريح النبوي والفتح المصطفوي، لا يكون حجة عليهم. فلو خالف من له المشاهدة والكشف، اجماع من ليس له ذلك، لايكون ملاماً في المخالفة ولاخارجاً عن الشريعة، لأخذه ذلك من باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيجب على الطالب الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والحساب والثواب والعقاب(٥) وبان كل ما اخبروا به فهو حق صدق، لا شك فيه ولاشبهة.

والعمل بمقتضى ما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه على سبيل التقليد لينكشف له حقيقة الامر، ويظهر له السر المصون في كل من المأمورات والمنهيات. فيكون عند ذلك إتيانه بالمأمورات وانتهاؤه عن المنهيات عن علم ويقين، بل عن الشهود والعيان؛ لا بمجرد التقليد والايمان. فيتفطن الى أمور أعلى منها، فيزيد في العبادة، كما كان يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانه قام بالليل حتى تورمت قدماه؛ فقيل له في ذلك: «ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر»(٦) فقال عليه السلام: «افلا أكون عبداً شكوراً»(٧). جعلنا الله من الشاكرين وحشرنا بين الذاكرين.

الفصل الثاني في الولاية

اعلم ان الولاية مأخوذة من الولى، وهو القرب. ولذلك يسمى الحبيب ولياً لكونه قريباً من محبه. وفي الاصطلاح هو القرب من الحق سبحانه و تعالى. وهي عامة وخاصة. والعامة حاصلة لكل من آمن بالله وعمل صالحاً؛ قال الله تعالى: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور»(٨). والخاصة هي الفناء في الله سبحانه وتعالى ذاتاً وصفة وفعلاً. فالولي هو الفاني في الله، القائم به، الظاهر بأسمائه وصفاته تعالى. وهي عطائية وكسبية. والعطائية ما تحصل بالانجذاب الى الحضرة الرحمانية قبل المجاهدة. والكسبية ما تحصل بالانجذاب اليها بعد المجاهدة.

١- ساقطة في ج ، ٢- المذهب: س ـ ك ، ٣- لشهود: ك ، ٤- هي: ج، ٥ - ساقطة في س ـ ك ، ٦- الفتح : ٢ ، ٧- الطبراني : المعجم الصغير، القاهرة ، ١٩٨١؛ ج ١، ص: ١٩٨٠ ، ٨- البقرة: ٢٥٧

ومن سبق جذبته على مجاهدته يسمى بالمجذوب، لان الحق سبحانه وتعالى يجذبه اليه. ومن سبق مجاهدته على(١) جذبته يسمى بالمحب لتقربه(٢) الى الحق سبحانه اولاً، ثم يحصل له الانجذاب ثانياً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقلاً عن ربه: «لايزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه»(٣) الحديث. فجذبته موقوفة على المحبة الناتجة من تقربه، لذلك يسمى كسبياً.

وان كان هذا التقرب(٤) ايضاً من جذبته سبحانه وتعالى من طريق الباطن اليه ودعوته باستعداده الازليّ الى حضرته، اذ لولاه لما امكن لأحد ان يخرج من حظوظ نفسه. والمحبوبون اتم كمالاً من المحبين، فلا يصل الى القطبية الاّ الاولون. ولهم مراتب:

الاولى مرتبة القطبية، ولا يكون فيها ابداً إلاّ واحداً بعد واحد، ويسمى غوثاً لكونه مغيثاً للخلق في احوالهم. ثم مرتبة الامامين و هما كالوزيرين للسلطان. احدهما صاحب اليمين وهو المتصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب. وثانيهما(٥) صاحب اليسار، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة. وعند ارتحال القطب الى الاخرة لا يقوم مقامه منهما الا صاحب اليسار، لكونه، اكمل في السير من صاحب اليمين؛ لانه بعد ما نزل في السير من عالم الملكوت الى عالم الملك، وصاحب اليسار نزل اليه وكملت دائرة السير والوجود.

ثم مرتبة الاربعة، كالاربعة من الصحابة الكبار، رضوان الله عليهم اجمعين. ثم مرتبة البدلاء السبعة، الحافظين للأقاليم السبعة. وكل منهم قطب الأقليم الخاص به. ثم مراتب الاولياء العشرة المبشرة. ثم مراتب الاثنى عشر؛ الحاكمين على البروج الاثنى عشر وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الاكوان. ثم مراتب العشرين والاربعين، والتسعة والتسعين، مظاهر الاسماء الحسنى الى الثلاثمائة والستين.

وهؤلاء قائمون في العالم على سبيل البدل في كل زمان، لا يزيد عددهم ولا ينقص الى يوم القيامة. وغيرهم من الاولياء يزيدون وينقصون بحسب ظهور التجلي الالهي وخفائه. وبعدهم مرتبة الزهاد والعباد والصلحاء من المؤمنين الكاملين في كل زمان الى يوم الدين.

١- ساقطة في : ج.س.ك.ن ، ٢- لقرب: ج ، ٣- البخارى : رقاق ٣٨، أحمد بن حنبل : ٢٥٦/٦، ٤- القرب: ج.س ، ٥- وثانيه : ك.

وجميع هؤلاء المذكورين داخلون في حكم القطب. والافراد من الكمل الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب الاّ في الخلافة، وهي الخارجون من حكمه. فانهم يأخذون من الله سبحانه ما يأخذونه من المعاني والأسرار الالهية بخلاف(١) الداخلين في حكمه. فانهم لايأخذون شيئاً الا منه. جعلنا الله من عباده الذين ليس للشياطين عليهم سلطان الواصلين الى ذروة مقام(٢) العرفان. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الفصل الثالث في طريق اكتساب الولاية

قال الله (٣) تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾(٤) اي لنبين لهم طريق الوصول الينا. واعلم ان للانسان ثلاث مقامات كلية. كل مقام منها يشتمل على حجب كثيرة ظلمانية ونورانية، يجب رفعها ليصل الى الحقيقة التي معه ازلاً وابداً ما انفكت منه، لكنه احتجب وبعد عنها للاشتغال بغيرها. وتلك المقامات مقام النفس، ومقام القلب، ومقام الروح لا غير.

وما قيل من ان مابين(٥) الغبد والرب ألف مقام، لابد للسالك من قطعها، وكلها تفريع(٦) هذه المقامات الثلاث. واول ما يولد(٧) المولود في مقام النفس، فانه حيوان كباقي الحيوانات(٨) لا يعرف إلاّ(٩) الاكل والشرب، لاغير. ثم بالتدريج يظهر له باقي صفات النفس من القوى الشهوية والغضبية(١٠) والحرص والحسد والبخل وغير ذلك من الصفات التي هي نتائج الاحتجاب.

والبعد من معدن الصفات الكمالية فهو حيوان منتصب القامة يصدر منه الافاعيل المختلفة بحسب الارادات المتنوعة. فهو في الحجب الظلمانية الساترة للحق سبحانه وحقيقته. ثم اذا تيقظ من سنة الغفلة وتنبه على ان ما وراء هذه اللذات(١١) البهيمية(١٢) لذات اخر. وفوق هذه المراتب، مراتب اخرى كمالية يتوب عن اشتغاله بالمنهيات الشرعية وينيب الى الله تعالى بالتوجه اليه. فشرع في ترك الفضولات(١٣) الدنياوية طالباً للكمالات الاخروية، ويعزم عزماً تاماً ويتوجه الى السلوك الى الله تعالى من مقام نفسه فيهاجر مقامها ويقع في الغربة.

١- خلاف : س ، ٢- مقامات: ج ، ٣- ساقطة في س ، ٤- العنكبوت: ٦٩، ٥- بين : ج ، ٦- تفاريع: ج ، ٧- يلد: ج ، ٨- ساقطة في ج ، ٩- ساقطة في ج، ١٠- الغصب : ن، ١١- الذات : س ، ١٢- البهي : ك ، ١٣- الفضول في ج، الفضل : س .

والمسافر لابد له من رفيق يرافقه، ودليل يدله على طريقه، فيصاحب من له هذا التوجه والعلم بالطريق وهو الشيخ. ثم انه ما دام لا يعتقد فيه لا ينفتح له شئ، ولا ينتفع صحبته. فوجب عليه ان يعتقد فيه بالخير، وان صحبته منجية من المهالك وانه عالم بالطرق الذي يسير اليه، وهو الارادة. فاذا تحقق بالارادة لا بد له ان يعمل بما يقوله(١) الشيخ ليمكن له حصول المقصود، حتى قيل: «ان المريد بين يدي الشيخ ينبغي ان يكون كالميت بين يدي الغاسل». ثم اذا دخل في الطريق يزهد عن كل ما يعوقه عن مقصوده من الأموال الدنياوية واحوال معيشته فيها. ويتقي عن كل خاطر يرد في قلبه، ويجعله مائلاً الى غير الحق؛ فيتصف بالورع والتقوى والزهد. ثم يحاسب نفسه دائماً في أفعاله وأقواله، ويجعلها متهمة في كل ما تأمر به، وان كان امرها بالعبادة ايضاً. لان النفس مجبولة على محبة شهواتها ولذاتها، فلا ينبغي ان يؤمن من مداخلها. فانها من المظاهر الشيطانية. فاذا خلص منها وصفا(٢) وقته وطاب عيشه بالالتذاذ بما يجده في طريق المحبوب يتنور باطنه. فتظهر له لوامع أنوار الغيب، وينفتح له باب الملكوت وتلوح منه لوائح مرة بعد أخرى؛ فيشاهد اموراً غيبية في صور مثالية. فاذا ذاق شيئاً منها يرغب في العزلة والخلوة والذكر والمواظبة على الطهارة التامة والوضوء والعبادة والمراقبة والمحاسبة و يعرض عن المشاغل الحسية ويفرغ القلب عن محبتها ويتوجه باطنه الى الحق بالكلية فيظهر له الوجد والسكر والوجدان والشوق والذوق والمحبة والهيمان والعشق، فيمحوه تارة بعد اخرى. فيجعله فانياً عن نفسه، فيشاهد المعاني القلبية والحقائق السرية والانوار الروحية. فيتحقق في المشاهدة والمعاينة والمكاشفة وتفيض عليه العلوم اللدنية(٣) والاسرار الالهية. وتظهر له انوار حقيقة تارة وتختفي اخرى، حتى يتمكن ويخلص من التلوين وتنزل عليه السكينة الروحية. ويصير ورود هذه الاحوال له ملكة، فيدخل في عالم الجبروت ويشاهد العقول المجردة والانوار القاهرة والمدبرات الكلية للامور الالهية. من الملائكة(٤) المقربين والمهيمين في جمال الله تعالى من الكروبيين(٥) ويتحقق بانوارهم فيظهر له انوار سلطان الاحدية وسواطع العظمة والكبرياء الالهية فيجعله هباءاً منثوراً ويترك عنده جبال انيته. فيخرج له خروراً ويتلاشى تعينه في التعيين الذاتي. فيجد عينه عين الوجود الالهي، وهو مقام الجمع والتفريد والاتحاد والتوحيد. وفي هذا المقام يستهلك في نظره الاغيار، ويحترق بنوره الحجب والاستار، فينادي: «لمن الملك اليوم»(٦)

١- يقول : ك ، ٢- صفى: ج، ٣- الدنية: ك . ن ، ٤- الملكية: س . ك ، ٥- الكروبين : س . ك ٦-غافر:١٦

ويجيب بنفسه لنفسه: «لله الواحد القهار»(١). وهذا هو السفر الاول من الأسفار الأربعة التي للسالكين والكاملين. جعلنا الله وايّاكم من الفائزين والواصلين اليه.

***

المقصد الثالث

في الجمع والتوحيد ومراتبهما(٢) وفيه فصول:

الفصل الاول في الجمع ونتائجه

اعلم ان الجمع عبارة عن زوال الحدوث بنور القدم وهلاك كل ما ظهر وجوده من العدم، اي من الوجود العلمي الى الوجود العيني في عين الذات الاحدية والكمالات الالهية مما ينعت بالامكان ويوصف بالحدثان؛ ولانعني به(٣) ان الموجودات تنعدم(٤) مطلقاً ويبقى الواحد الجبار بلا ملك لاستيلاء الهلك عليه. فان ذلك من متوهمات ارباب الحجاب، كماتوهموا وجود رب الارباب مع عدم من يتعلق به العلم والخطاب مطلقاً، وانه موجود مشخص ممتاز عن جيمع الموجودات وخالق من العدم المحض اعيان الممكنات؛ بل المراد به ان الحق سبحانه، كما كان، وليس معه شئ غيره. اعني غيره في الحقيقة ليكون مقارناً معه. كذلك يشاهد هذا السالك الواصل الى مقام الجمع ان الحق هو الوجود فقط. وليس هنا سالك ولا مسلوك اليه ولا سلوك؛ بل السالك والمسلوك اليه والسلوك لا، بل كل ما في العالم المسمى بالغير، وهو عين الهوية الالهية الظاهرة في مراتب المختلفة بصور(٥) مختلفة، كما قيل:

لقد كنت دهراً قبل ان يكشف الغطاء — أخا لك اني ذاكر لك شاكر
فلما اضاء الليل اصبحت شاهداً(٦) — بانك مذكور وذكر وذاكر

***

فلا يكون حينئذ(٧) في نظره شئ غير الحق فاذا نظر نظر الحق الى نفسه في صورتي الناظر والمنظور اليه، واذا سمع شيئاً سمع الحق كلامه من لسان نفسه الطاهرة

١- غافر: ١٦ ، ٢- مراتبها : ج ، ٣- ساقطة في ن ، ٤- تعدم : ك ، ٥- بصورة: ن، ٦- عارفاً : ج ، ٧- ساقطة في ن

في صورة القائل، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان الله قال بلسان عبده، سمع الله لمن حمده »(١)، واليه اشارة في نتيجة قرب النوافل بقوله: « فاذا احببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ولساناً فبي ينطق وبي يبصر وبي يسمع وبي يبطش »(٢) الحديث. وقال الله تعالى: « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »(٣) ووجود العبدانية وان كان متحققاً في نفس الامر وفي هذه النصوص اشارة اليه.

لكن هذا الناظر، لكونه مغلوباً بنور الحق، لايشاهد إلاّ الوجود الحقاني، فلايبقى عنده رب وعبد، بل رب وحده. وحينئذ ان انجذاب بالانوار الالهية القاهرة للعقول والاوهام يلحق بالمهيمين في جمال الله سبحانه وتعالى دائماً، ان دام انجذابه، وان لم يدم فمدة من الزمان يكون في حكمهم وفي(٤) تلك المدة ينقطع عند التكاليف الشرعية من الصوم والصلاة وغيرهما. وان لم ينجذب، ويكون باقياً على عقله مميزاً بين الاشياء. فهو ان تداركه اللطف الالهي ويحفظه عن الوقوع في الزندقة والاباحة؛ والظهور بحكم الطبيعة المحضة ولايخرجه عن التكاليف الشرعية مع رؤية الكل حقاً يتمكن في مقامه ويدخل في مقام الفرق بعد الجمع. فيشاهد الخلق والحق معاً من غير ان يحتجب باحدهما عن الاخر، لشهوده الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة. فان قال حق كله صدق. وان قال خلق كله صدق. وان قال خلق وحق معاً صدق، وتارة يجمع بين الكثرة في حكم واخرى يفرق بينهم بحكم آخر، كما قال تعالى في مقام(٥) « لانفرق بين احد من رسله »(٦)؛ وقال في آخر: « وفضلنا بعضهم على بعض »(٧)؛ « منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات »(٨).

وهذا الفرق بعد الجمع المسمى بالصحو بعد المحو، ايضاً مقام الكل المكملين من الانبياء و الاولياء، عليهم الصلاة والسلام اجمعين. وصاحب هذا المقام يستوى عنده الخلوة والجلوة والانعزال من الخلق والخلطة معهم، لعدم احتجابه بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق. فاذا امر الخلق بأمر يحفظه الادب معهم ولا يأمر إلاّ بمقتضى(٩) مراتبهم وبما يطلب الحق منه في تلك المراتب، لا يتعداه ويلازم حينئذ مقام العبودية ولايضيف الى نفسه الا العجز والقصور والمسكنة والحاجة بخلاف ما كان في مقام الجمع. فانه فيه يطلق على نفسه الاسماء الالهية ويضيف اليها الصفات الرحمانية

١- ذكر البخارى نحوه : رقاق؛ ٣٨ ، ٢- ذكر البخارى نحوه: رقاق؛ ٣٨، ٣-الانفال : ١٧، ٤- ساقطة في ج، ٥- ساقطة في ج، ٦- البقرة: ٢٨٥، ٧- الإسراء : ٢١، ٨- الانعام:١٦٥، ٩- بما تقتضي : ك

والافعال الربانية. ويرى كل ماصدر من غيره صادراً من نفسه، خيراً كان او شراً، لغلبة الاحدية عليه، ولاجل تمكنه في مقام الفرق بعد الجمع ولزومه مقام العبودية وحفظه الادب مع الحضرة الالهية، صار الفرق بعد الجمع اعلى من مقام الجمع. وقال شيخنا المحقق خاتم الولاية المحمدية: «لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي» جعلنا الله واياكم من المحققين بكمال العبودية والمتأدبين باداب الربوبية.

الفصل الثاني في التوحيد ومراتبه

اعلم ان للتوحيد مراتب، ادناها قول: «لا اله الاّ الله». لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله الا الله دخل الجنة»(١) وهذا توحيد العوام.

وتوحيد الخواص(٢) ينقسم الى(٣) ثلاثة اقسام: توحيد الأفعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات. فان من اثبت فاعلاً حقيقياً غيره تعالى، فقد اشرك في الفعل معه غيره، ومن اثبت صاحب صفات كمالية مشابهة للصفات الالهية مغايراً بالحقيقة لذاته تعالى فقد اشرك في صفاته(٤) وذاته.

فالمراد بتوحيد الافعال رجوعها كلها الى مبدء واحد، وهو الحق سبحانه، وليس ذلك إلاّ كالافعال الصادرة من المظهر الانساني؛ فانه لاشك ان مبدء افعاله، هي النفس الناطقة وصفاتها. والاختلاف في الجوارح والآلات لا يقدح في وحدة الفاعل. كذلك كل ما يصدر من افعال(٥) اهل العالم انما هو في الحقيقة من الله سبحانه وتعالى وبإرادته، وان اختلفت الاسباب القريبة المستندة هي اليها.

فالمراد بتوحيد الصفات رجوع الصفات الكمالية الانسانية الى الصفات الالهية واستهلاكها فيها. فان العلم الانساني مثلاً رشحة(٦) من رشحات حقيقة العلم الالهي؛ وكذلك الارادة والقدرة قطرة من قطرات بحر إرادته وقدرته.

المراد بتوحيد الذات رجوع الذوات الكونية كلها الى الذات الاحدية. المراد بتوحيد الذات رجوع الذوات الكونية كلها الى الذات الاحدية(٧) واستهلاكها كلها فيها.

١- البخارى : ايمان ٢٦؛ علم : ٢٥ - ٢٦، ٢- ساقطة في ج، ٣- ساقطة في ج ٤- صفته : ج - س، ٥- ساقطة في ج - س ، ٦- رشحصة : ك ، ٧- الالهية: ج.

والعلم بهذه المراتب التوحيدية اما بالاستدلال من وراء الحجاب، واما بالشهود ومعاينة رب الارباب وصفاته وافعاله في مظاهره، واما بتقليد الرسل وخلفائهم من الانبياء والعلماء.

والتوحيد الاستدلالي قلّ ان يخلص صاحبه من الشكوك والشبهة. وكذلك التوحيد التقليدي الذي في معرض الزوال ومع هذا لا يخلص صاحبه عن التوهمات الباطلة. فانه اذا سمع ان الحق سبحانه وتعالى واحد، يظن ان وحدته شخصية قياساً الى وحدة(١) نفسه، وكذلك جميع صفاته. اذ لا يعرف من الحق سبحانه الاّ ما هو حاصل له، فلايقيس ذاته تعالى وصفاته وافعاله الا بذاته وصفاته وافعاله؛ بل المستدلون ايضاً قلّ ان يخلصوا(٢) من هذه التوهمات خصوصاً الفقهاء منهم، فانهم عالمون باحكام الله تعالى، وفي معرفة الذات والصفات والافعال، كباقي المقلدين من المؤمنين بخلاف اهل التوحيد الشهودي لشهودهم(٣) بالنور الالهي الحق وصفاته وافعاله وكيفية تصرفاته في الوجود باسمائه وصفاته ومظهرهما على ما هو عليه في نفس الامر لا يتطرق عليهم الشبهة ولايدخل في قلوبهم الريبة ولا يحكم الأوهام(٤) ولا يطرء على مرايا قلوبهم الرين والظلام. فهم الموحدون حقاً والعالمون بربهم(٥) يقيناً وصدقاً. وكمال هذا التوحيد هو الذي يكون من الحق سبحانه وتعالى لنفسه؛ ثم من الانسان الكامل المكمل المشاهد لمراتب جميع الوجود الحقاني والكوني؛ ثم ممن يكون نسبته اليه اتم وقربه منه اكثر الى ان ينتهي الى توحيد من له شهود مثالي لاغير، ثم مرتبة التوحيد الاستدلالي العقلي والنقلي؛ ثم مرتبة التوحيد التقليدي. لذلك قيل:

ما وحّد الوحد من واحد ، اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينعت(٦) توحيده(٧)، عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده ، ونعت من ينعته لاحد

الفصل الثالث في الخلافة

لما كان الحق سبحانه بذاته غنياً عن العالمين الذين اقتضاهم الاسماء الالهية- اذ لكل منها لابد ان يكون مظهر(٨) يظهر أثره منه وبه. فان الرحمان مثلاً لا يتم ظهوره

١- ساقطة في ج، ٢- يخلصوان : س، ٣- بشهودهم : ج ، ٤-ساقطة في ج، ٥- بربهم: ك ، ٦- ينطق عن : ك ٧- نعته : ك، ٨- مظهراً : ك .

الاّ بالراحم والمرحوم. اذ لو لـم يكن راحم ولا مرحوم في الخارج، لا يعلم رحمانيته سبحانه. وكذلك القهار يطلب قاهراً ومقهوراً. فالراحم والقاهر مظهران للرحمان والقاهر. وكذلك جميع الاسماء والصفات لايظهر اثرها الا بالمظهر- فوجب ان يكون مظهر لاسم(١) الله الجامع للاسماء والصفات، خليفة عنه مربياً(٢) للعالم بايصال كل مافيه الى كماله اللايق به(٣)؛ وليس ذلك الا الروح المحمدي صلوات الله وسلامه عليه وآله. ولذلك قال تعالى: «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم»(٤)؛ وقال رسول الله لله، عند البيعة تحت الشجرة: «هذه يد الله»، واشار الى يده اليمنى؛ «وهذه يد عثمان»، واشار الى يده اليسرى» وبايع عنه في غيبته. و اوتي في الكتاب والسنة لاسم الله دون غيره من الاسماء، اشارة الى انه مظهر هذا الاسم الجامع، فهو خليفة الله على العالم(٥) ازلاً وابداً. لذلك: «كان نبينا وآدم بين الماء والطين»(٦) «آدم ودونه تحت لوائي يوم القيامة»(٧). وهو سيد ولد آدم يوم القيامة؛ وبه ينفتح باب الشفاعة، وغيره من الاقطاب والكمل خلفاء عنه.

والخليفة لا بد ان يكون موصوفاً بجميع الصفات الالهية الاّ الوجوب الذاتي، ومتحققاً بكل اسمائه ليعطي مظاهر الاسماء كلها ما يطلبونه، ويوصل كلاً منهم الى كماله، والاّ لا(٨) يقدر على الخلافة. وانما قيدنا «الا الوجوب الذاتي»، اذ به يمتاز الواجب عنه وبامكانه يمتاز الخليفة عن الواجب، ولكونه جامعاً للحقائق الالهية ومظهراً للاسم الجامع لجميع حقائق العالم ايضاً في ذاته وحقيقته، ليكون بين الظاهر والمظهر مضاهاة(٩) في الجامعية والاحاطة، فحقيقته(١٠) حقيقة الحقائق كلها. ولكل من اعيان(١١) العالم انما يرب هذا الخليفة ويوصله الى كماله اللائق به ويمده بما منه في حقيقته.

فالخليفة عبد الله رب العالمين بربوبيته له؛ فكل ما في العالم، سواء كان من اهل الجبروت او الملكوت او الملك، لا يأخذ ما يأخذه الاّ منه، فكمالهم به، كما ان خلافته ايضاً بهم. اذ لولا العالم، لما كان الخليفة خليفة، وكون الخليفة بحكم البشرية موصوف(١٢) بصفات العجز والنقصان، لا يقدح في كونه متصفاً بصفات الملك الرحمان. وهذا الخليفة لا يتصرف في اهل العالم الا بما اقتضته(١٣) العناية الالهية

١- الاسم : ج ، ٢-قريباً: ج، ٣- ساقطة في ج ، ٤- الفتح: ١٠ ، ٥- العالمين: ج ، ٦- السيوطي: الجامع الصغير، مصر ، ١٣٢١، ج:٢. ص : ٨٣٠، ٧- احمد بن حنبل: ١ . ٢٨١ ، ٢٩٥، ٨- لم : س.ك ، ٩- مضاهات : س.ن ، ١٠- فحققه : ن ، ١١- الاعيان: ج ، ١٢- موصوفاً : ك، ١٣- اقتضت: ك

والمشيئة الذاتية والازلية، واعطته الاعيان الثابتة استعداداتها في الأزل. فلا يقال لو كان بتصرفه وهمته لكان ابو طالب مؤمناً لحرصه على ايمانه ومن غاية حرصه على ايمان اكابر آل قريش كان يستغفر لهم فنزلت: « استغفر لهم او لا تستغفر لهم، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »(١)، فقال « والله لا ازيدن على السبعين »(٢) لان هذه الارادة الجزئية ناشئة من التقيدات(٣) البشرية، ولكونها غير مطابقة لما في علم الله تعالى لم تحصل آثارها في هذه النشأة الاحتجابية. فاما في نشأته الروحانية، فلا احتجاب له مما في علم الله تعالى من الاحكام الالهية التي تجري على الأعيان الوجودية، فيتصرف في الوجود بما قضي الله و حكم به في الازل. والله الهادي واليه المصير.

خاتمة في ختم الخلافة

اعلم ان الخلافة لا بد لها من انقضائها في الدنيا، لان الدنيا متناهية وكل مافيها متناه(٤) ومن جملتها الخلافة؛ فوجب انتهائها. ولما كانت الخلافة بعد انختام النبوة الخاصة التي هي التشريعة للكمل ولاقطاب من الاولياء فانختامها في خاتم الولاية.

والولاية لما كانت منقسمة الى مطلقة ومقيّدة، ونعنى بالمطلقة الولاية الكلية التي جميع الولايات الجزئية افرادها؛ وبالمقيدة تلك الافراد، وكل منهما، اي من الكلية والجزئية، يطلب ظهورها. والانبياء عليهم الصلوات والسلام لم يظهروا بالولاية، بل بالنبوة على ما اعطاهم الاسم الظاهر يظهرو في هذه الأمة المحمدية جميع ولايتهم على سبيل الإرث منهم. واليه الاشارة في قول الكمل: « فلان على قلب موسى وفلان على قلب عيسى ». اي هو الظاهر بولايته على سبيل الإرث، ونبينا صلوات الله وسلامه عليه و آله صاحب الولاية الكلية من حيث انه صاحب دائرة النبوة الكلية، لان باطن تلك النبوة الولاية المطلقة، وهو صاحبها.

ولما كان لولاية(٥) كل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في هذه الامة مظهر يقوم به، كان لا بد ان يكون لولايته ايضاً مظهر. وولايته قسمان: كلية من حيث كلية روحه المسمى بالعقل الاول؛ وجزئية من حيث روحه الجزئي المدبر لجسده.

فالظاهر بولايته الجزئية هو شيخنا الكامل المكمل سلطان المحققين محي الملة والدين، قدس الله سره، والظاهر بولايته الكلية هو عيسى عليه السلام. قال شيخنا

١- التوبة : ٨٠، ٢- سبعين : س.ك.ن ،٣- التقلدات: ك.ن، ٤- ساقطة في س ، ٥- ولاية : ج

في الفصل الثالث عشر من ***الفتوحات*** عن اجوبة الامام محمد بن علي الترمذي قدس الله روحه: «الختم ختمان؛ ختم يختم الله به الولاية مطلقاً وختم يختم الله به الولاية المحمدية.

فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام، فهو الولى النبي بالنبوة(١) المطلقة في زمان هذه الامة؛ وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة؛ فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً، لا ولى بعده... فكان أول هذا الأمر نبي يوم القيامة وهو آدم، وآخره نبي وهو عيسى؛ أعني نبوة الاختصاص. فيكون له حشران؛ حشر معنا وحشر مع الانبياء والمرسلين عليهم السلام.

وأما ختم الولاية المحمدية فهو(٢) لرجل من العرب من أكرمهم اصلاً ويداً وهو في زماننا اليوم موجود، عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ورأيت العلامة التي قد اخفاها الحق فيه عن عيون عباده، وكشفها لي بمدينة فاس، حتى رأيت خاتم الولاية منه؛ وهو خاتم النبوة المطلقة(٣) لا يعلمه كثير من الناس. وقد ابتلاه الله باهل الانكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به. وكما ان الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة التشريع، كذلك ختم الله بالختم(٤) المحمدي الولاية التي تحصل من الورث(٥) المحمدي، لا التي تحصل من سائر الانبياء. فان من الانبياء من يرث ابراهيم ومنهم من يرث موسى وعيسى فهؤلاء لا يوجدون بعد هذا الختم المحمدى وبعده فلا يوجد وليّ على قلب محمد عليه السلام». هذا معنى خاتم الولاية المحمدية.

وأما ختم الولاية العامة الذي لا يوجد بعده ولي، فهو عيسى عليه السلام. هذا كلامه رضي الله عنه. وبانختام الولاية بعيسى(٦) عليه السلام، صار من أشراط الساعة. فانه اذا قبض، وقبض مؤمنوا(٧) زمانه، ينتقل الأمر الى الاخرة وتقوم(٨) الساعة، كما بينه في ***الفصوص***. وفي هذه المباحث تحقيقات واسرار لا يمكن اظهارها. فمن اراد ذلك فليطلبه(٩) في شرح الفصوص الذي لنا، فقد بيناها هنالك مشبعاً. وهذا آخر ماأردنا بيانه من المقدمات.

***

١- بالولاية : ج ٢- فهي : ج ، ٣- الولاية الخاصة : ج ـ ك ـ ن، ٤- بالخاتم : ك، ٥- الوارث: ج ، ٦- لعسى : ج ، ٧-مؤمنو : ج ، ٨- يقوم : ج ، ٩- فليطلب: ج.

رسالة في معرفة
المحبة الحقيقية

رسالة في معرفة المحبة الحقيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلي لقلوب عباده المصطفين، ازل الآزال وأحيى ارواحهم بتجليات الجمال والجلال، ونور(١) عقولهم باظهار(٢) الانوار الساطعه، وجعلهم على اهل الحجاب حجباً(٣) قاطعة، وسقاهم بكاسات الشراب السلسبيلي شراباً طهوراً، وملأ صدورهم بالمزاج الزنجبيلي لذةً وسروراً على ايدي سواقي اسمائه وصفاته في مجلس الحضرة الالهية وذاته.

فصاروا سكارى من انوار جماله قبل الظهور في الصورة البشرية وبقوا حيارى(٤) من حسنه وكماله قبل هذه النشئة العنصرية. فاصبحوا في جمال الذات هائمين، وامسوا بحق العبارة الذاتية(٥) قائمين. فافاضوا مما شربوا جرعة للعطش الطالبين والاحوا مما وجدوا لقلوب السالكين. فحيي من شرب منه جرعة، وتنور قلوب من وجد منه لمعة. فملأت العوالم انوارهم نوراً واظهرت الأرواح أسرارهم جوداً. فنطقوا بمانطقوا نظماً ونثراً. وأظهروا ما ظهروا به صحوا وسكراً.

جزاهم الله عنا خير الجزاء ورضي الله عنا وعنهم يوم اللقاء وصلى الله على مقدم الجماعة السابقين منهم واللاحقين ومن به يفتح باب الشفاعة من بين الانبياء والمرسلين، صاحب الحوض والكوثر، الذي شانئه هو الابتر(٦) محمد المصطفى ورسول الله المجتبى، حبيب رب العالمين، صلوةً دائمة الى يوم الدين، وعلى آله واصحابه اجمعين.

وبعد يقول العبد الفقير الى رحمة العليم الخبير، داود بن محمود بن محمد القيصري، بلّغه الله الى ذروة الكمال وانار قلبه بانوار الكبير المتعال، لما فرغت من شرح القصيدة التائية المسماة(٧) *بنظم الدر* للشيخ المحقق المدقق، قدوة عرفاء العالمين، ورئيس أكابر العاملين، فخر المكاشفين، زين الاولياء، قطب الاصفياء، ابي حفص

١- نعر : سل ، ٢- بظهاره : س ، ٣- مجي : س ، ٤- حيازى : ر ، ٥- ساقطة في ر ، ٦- الاجر : س ، ٧- المسمات: ر.

عمر بن علي السعدي المعروف بابن الفارض المصري، قدس الله سره وأعلى بين الملأ الأعلى ذكره، سألني أخ لي في الدين، صاحب العلم واليقين، الواصل الى ذروة مقامات العارفين، ادام الله توفيقه، ان أشرح قصيدته الميمية المسماة **بالخمرية** التي هي الدرة البيضاء في القصائد والشمسة الزهراء للقلائد(١) فاجبت لمتمسه وسطرت مقتبسه.

ولما فرغت من تسطيره وتنميقه وتحريره، جعلته مشرفاً بألقاب المولى المعظم الصدر الاعظم، ملك(٢) فضلاء العالم افضل المتقدمين والمتأخرين، اكمل علماء العالمين، سلطان الحكماء و(٣)المحققين، وفريد دهره ووحيد عصره، مخزن الاسرار الالهية، ومنبع الانوار الاحدية، امين الله في اسراره وامين الملة والدين، عبد الكافي بن عبد الله التبريزي، ادام الله فضائله على العالمين بحق محمد وآله وصحبه اجمعين عرضاً بين يديه وتقرباً به لديه.

واسأل الله العون والتوفيق وارجو منه الصدق والتصديق. ولما كان بيان القصيدة متوقفاً على معرفة المحبة الحقيقية، التي هي عين الحقيقة في بعض مراتبها، وعلى معرفة اقسامها ونتائجها، جعلت له مقدّمات ثلاثاً يبتني الكلام عليها ويصح البيان لديها. الاولى في حقيقة المحبة، والثانية في اقسامها، والثالثة في نتائجها.

الاولى في حقيقة المحبة

فاعلم ان الحق سبحانه اخبر عن نفسه بقوله: «كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق وتحببت اليهم بالنعم فعرفوني»(٤). وقال في كلامه المجيد في حق عباده المخلصين عن قيود التعلقات الموبقة للانفس والقلوب(٥) المانعة(٦) اياها عن الوصول الى غيب الغيوب: «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه»(٧) فاثبت على نفسه المحبة. ولا شك ان المحبة(٨) المتعلقة باظهار(٩) الكمالات مترتبة على المحبة الذاتية، التي هي اصل المحبة الصفاتية التي صارت سبب ظهور جميع الموجودات و رابطة انواع التأليفات الروحانية والجسمانية.

والمحبة الذاتية ناشئة من ادراك الحق ذاته وكمالاته الذاتية بذاته. فهي مترتبة(١٠) على العلم. وهذه المحبة في المرتبة الاحدية، التي لاتعدد فيها بوجه من الوجوه، ولا

١- للقايد : س ، ٢- من : ر ، ٣- ساقطة في ر ، ٤- العجلوني: كشف الخفاء ؛ ج ٣ - ص : ١٣٢ ، ٥- العلب: سل ، ٦- المانع : سل، ٧-المائدة: ٥٤، ٨- ساقطة في ر ، ٩- باطها : س، ١٠- مرتبة : ر

كثرة فيها بنوع من الانواع، اذ لا اسم لها ولا نعت ولا صفة فيها زائدة على الذات، عين الذات الاحدية غير ممتازة عنها اصلاً. فلا يحيط بحقيقتها(١) العقول والافكار. ولاتدركها البصائر والابصار ولا يحوم حول حماها حائم ولا يروح بحقيقتها(٢) رائم. لذلك قيل:

تعالى العشق عن(٣) همم الرجال،
وعن وصف الفراق او الوصال،

متى ما جل شئ عن خيال،
يجلّ عن الاحاطة والمثال.

***

وقال تعالى: « ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد »(٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله ».

وفي المرتبة الواحدية حضرة الاسماء والصفات تتميز المحبة عن الذات وعن كل من الاسماء والصفات، كما ان الصفات تتميز بعضها عن بعض وعن الموصوف بها. فيظهر حقائقها في الحضرة العلمية الالهية متميزة، وتتحقق مظاهرها في الوجود العيني متكثرة. وحقيقة المحبة التي هي في الحضرة الواحدية والحضرات الكونية ظاهرة متميزة لا تتجلى لمن لايكون شئ منها حاصلاً له او لا ينكشف عن وجهها النقاب الا نفس ذائقة اياها واجدة معناها. لانها أمر وجداني تدرك الروح والنفس والقلب بحسب صفاء(٥) كل منها شيئاً منه عند انجذابه الى من هو الجميل المطلق لوجود الجمال المطلق فيه والكمال التام له او الى مظهر من مظاهره الروحانية والجسمانية لوجود نصيب منه فيه وحصته روحانية ظاهرة في كل منها. تتنزل الهوية الالهية الظاهرة في صورها ظهوراً يليق باستعداد عين(٦) من الاعيان الثابتة الكونية الحاصلة بالفيض الاقدس الذاتي وموجب الحب الاول؛ بل جميع الوجدانيات بهذه الحيثية. فان تعريف لدة السماع للبليد الذي لايجدها ذوقاً وطيب الجماع للعِنين الذي لايقدر عليه من جملة المحالات. لذلك قيل:

١– بتحقيقها: سل، ٢– تحقيقها: سل ، ٣– غير : سل ، ٤–آل عمران : ٣٠ ، ٥– الصفاء: ر ، ٦ غير : سل .

لا يعرف الحب الاّ من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

وأقول:

لا يعرف الحب الا مدنف كلف والعقل عن دركه كالوهم معزول
ولا يشاهد شمس الذات من احد فلكل في حقها كمّه اضاليل

***

ومع هذا لايجد من إعتاد ان يتصور(١) حقائق الاشياء بتعريفات موصلة الى(٢) الحقائق او لوازمها البينة الموجب تصورها رخيصة من نفسه ان لا يتكلم في الامور الوجدانية ايضاً، ولايعرفها اياها لغلبة تحقيق الحقائق على نفسه. وذلك اما تبيينها(٣) او لطالب، كما يقتبس(٤) من مشكوة انوارا(٥) قلبه وروحه.

فعرف بعض الحكاء انها(٦) ابتهاج بتصور حضور ذات ما هي كمال للمدرك. وهذا تعريف بما يلزم المحبة في بعض الاوقات؛ لان الابتهاج حينئذ انما يحصل للمحب عند تصور حضور المحبوب لا دائماً. والمحب عند فراق المحبوب وعدم تصوره محبّ، وليس بمبتهج. وايضاً الابتهاج هو سرور المدرك بحضور المحبوب او بتصور حضوره.

والمحبة تارة تعطي ذلك واذاً هي صفة. فليس من لوازمها، بل من أعراضها المفارقة لحصوله وقتاً دون وقت. فلا يصلح للتعريف مع ان الابتهاج الذي يحصل من تصور حضور ذات المحبوب لايعطي المحب نفعاً طائلاً؛ لانه بالنسبة الى الابتهاج الحاصل من الحضور والسرور الحاصل من الشهود ليس الا امراً حقيراً او شيئاً يسيراً. كما قلت فيه شيئان بين خيال الحب عند فرقد وبين ما كان جنب الصب مفنقاً. ان الخيال ولو يعطى لصاحبه روحاً من الحب لكن اين ما عبقاً؟

وقال بعضهم انها عماء المحب عن عيوب المحبوب. وهذا لايصدق الاّ على المحبة الكونية اذ العيب او إمكانه والعماء عنها لا يكون الا للمحدثات المحتاجة في وجودها وكمالاتها الى موجد يوجد.

وعرّف بعض الاطباء بانها مرض وسواسيّ يجلبه الانسان بالفكر استحساناً صورة جميلة. وهذا لايصدق الاّ لبعض انواع المحبة الآثارية.

وقال بعض اهل الذوق: « ان المحبة صفة سرمدية وعناية ازلية. ولو لا العناية الازلية ما كانت تدري ما الكتاب ولا الايمان ». وهو قول الحسن الحلاّج قدّس الله

١- يتصو : س ، ٢- التي : سل ، ٣- تبيينا : سل ، ٤- نفسي :ر، ٥- أنوار : سل، ٦- أي المحبة.

سره. وقال عمرو بن عثمان المكّي قدس الله روحه: «انها سر الله تعالى اودع قلوب الموقنين المخلصين». والقولان إشارة الى المحبة الالهية التي لايحيط كنهها عقل ولا فهم. وسنح على خاطر هذا الضعيف ان المحبة وان كانت في الحقيقة معنى واحداً، لا يحاط به ولا يدرك بالحقيقة، لكنها بحسب متعلقاتها وبحسب من هي قائمة به تختلف. فترسم برسوم مختلفة.

فأما الالهية، فهي عبارة عن حقيقة الالهية تعلقها بشئ يوجب اصطفاءه على غيره وايصاله الى كمال نفسه. واما الكونية، فهي ان كانت متعلقها حالاً من أحوال عينه وكمالاً من كمالاته، فعبارة عما هو مبدء طلب لما هو كمال بالنسبة اليه. وبهذا التعريف يشتمل المحبة كل ما يتصور فيه كثيرة، سواء كانت من قبيل الاسماء والصفات او عيناً من اعيان الموجودات. لذلك قيل: المحبة سارية في جميع الموجودات. وإن كان متعلقها غيره، فهي عبارة عن معنى روحاني، يعني المحب في محبوبه إنجذاباً الى مطالعة كماله وإبتهاجاً بمشاهدة جماله، ولكونها امراً ذوقياً ومعنى وجدانياً. كلما يكون المدرك الطف واجلى، تكون المحبة أتم وأعلى؛ فهي بكمالها لا تكون الاّ لاكمل الموجودات ظاهراً وباطناً، علماً وحالاً، كشفاً وشهوداً كنبينا صلى الله عليه وسلم، بل بكمالها لا يكون الاّ لمبدع الكل وخالقه. ولغيره آثار فائضة منه، وانوار حاصلة بالانعكاس فيه، كالوجود ولوازمه. والله اعلم بالحقائق.

الثانية في اقسامها

فلا بد ان تعلم ان المحبة تنقسم بنوع من الاعتبارات الى ذاتية وصفاتية واسمائية وافعالية وآثارية. ولكل منها انواع مندرجة تحته.

اما الذاتية، فهي المحبة التي تنشأ عن إدراك الذات الالهية ذاتها بذاتها من طلب(١) الذات ظهورها بصفاتها التي هي في المرتبة الادية عينها. وهي عين الذات الاحدية واصل المحبة الصفاتية والاسمائية وغيرها كما مرّ.

واما الصفاتية، فهي المحبة التي تنشأ من طلب كل من الصفات من الذات الالهية ظهورها في مظاهر اسمائها وصفاتها.

١- طلب بمعنى «ارادة».

واما الاسمائية، فهي المحبة الناشئة من طلب الاسماء ظهورها وظهور مجال ولايتها ومجال دولها وسلطنتها.

واما الافعالية، فهي التي تطلب ظهور الشؤون الالهية المشار اليها بقوله: «كل يوم هو في شأن»(١) على ايدي مظاهر اسمائه الجمالية والجلالية.

وهذه المحبة الاسمائية والصفاتية هي التي اقتضت وجود العالم. اذ العالم مقتضى الاسماء والصفات لا الذات. فانها غنية عن العالمين بحكم: «ان الله غني عن العالمين»(٢) وان كانت هي ايضاً مقتضى المحبة الذاتية ونتيجتها، كما ان الاسماء المقتضية لوجود العالم، هي ايضاً مقتضى الاسماء الذاتية والشؤون الغيبية الالهية التي لايعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى، المشار اليها بقوله تعالى: «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها الاهو»(٣). وهذه المحبة وان كانت معنى واحداً، لكنها تتكثر اما باضافتها الى كل من الاسماء والصفات التي هي طالبة لظهورها، واما بحسب متعلقاتها ومقتضياتها.

وأما الآثارية، فهي المحبة التي تظهر في الاكوان. واعلى مراتبها ما(٤) كانت بين الارواح المجردة المسماة بالملائكة المقربين، ثم ما كانت بين النفوس السماوية والاملاك الطبيعية العنصرية، ثم ما كانت بين النفوس الناطقة المجردة الانسانية بحكم المناسبات الاصلية الروحانية الظاهرة بينهم. ثم ما كانت بين ملكوت الموجودات العنصرية بسائطها ومركباتها. وان كانت مختفية في البعض، كما في الجمادات، ظاهرة في البعض الاخر، كما في الحيوانات. فيما في الوجود شيئ الاّ وله عشق ومحبة. اذ لكل شئ كمال، هو محبوبه. ولما كانت جميع الكمالات التي تتعلق بها المحبة فائضة من الله سبحانه وكلها بالاصالة له(٥) ولغيره بالتبعية، كما قال الناظم:

فكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كلّ مليح

فيتعلق جميع المحبات الكونية في الحقيقة بالله تعالى علموا ذلك او لم يعلموا كما قيل:

كل الجهات لشمس حسنك مشرق ولكل ذي قلب اليك تشوق
يا واهب الحسن البديع لأهله كل لحسنك في الحقيقة يعشق

١- الرحمن : ٢٩، ٢- العنكبوت : ٦، ٣- الانعام: ٥٩ ، ٤- لما : سل، ٥- اي الله تعالى .

فمن أحب ذاته، التي هي منبع الكمالات كلها ولا يقف عند الآثار ومباديها من الاسماء والصفات، فهو الكامل المكمل الاعلى من كل من له الكمال، كما ورد في حق(١) نبينا صلى الله عليه وسلم: «مازاغ البصر وماطغى».(٢)

ثم محب الاسماء والصفات، ثم محب الافعال والاثار ولا من حيث انفسها، بل من حيث انها اسماؤه وصفاته وافعاله واثاره. فانها من حيث اعيانها اغيار والواقف مع الغير محجوب عن المحبوب الحقيقي. فأدنى المراتب، محبة الآثار وهي ايضاً على مراتب، وادناها محبة الشهوة، اذا كان المحب من المحجوبين. وان كان من العارفين المشاهدين للحق وجماله في المظاهر الخلقية، فهي بالنسبة اليه من قبيل التجليات الحاصلة من الاسم الظاهر. فان النكاح الصوري مثال للنكاح الروحاني وهو مثال للنكاح الاسمائي الواقع في الباطن الالهي غيب الغيوب كلها.

وذم العلماء هذا المعنى وتنزيله الى المرتبة البهيمية، انما هو بالنسبة الى اهل الحجاب المشتغلين بالطبيعة المحضة الواقفين مع انفسهم وحظوظها، لا اهل الكشف والشهود. الا ترى(٣) ان النبي صلى الله عليه وسلم كيف قال: «حبب اليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة»(٤) مع انه اكمل بني آدم واشرفهم. وفيه اسرار غامضة جداً. فلنمسك عنان العارة. والعارف يكفيه الاشارة. والمحبة تقتضي ظهور المحبوب من وجه وبطونه من وجه آخر، اذ طلب المجهول المطلق ومحبته محال. وكذلك تحصيل الحاصل.

وجميع المحبة الآثارية نتيجة انواع المحبة الاسمائية الصفاتية بحسب تناسبها وتنافرها وتوافقها وتخالفها وتضادها الظاهرين اولا في عوالم الارواح ثم الاشباح. لان وجودات الاكوان ولوازمها ظلال وجودات الاسماء. ومقتضياتها الكائنة في الغيب المطلق تظهر(٥) في العوالم الجبروتية والملكوتية والملك. تظهر الهوية الاحدية فيها. وقوة المحبة وضعفها انما هو باعتبار(٦) غلبة احكام الوحدة والكثرة.

فإن الكثرة انما تكون بحكم ما به الامتياز. والوحدة بحكم ما به الاشتراك. وما به الامتياز يقوى حكم التنافر والتضاد فيقوى العداوة والبغضاء. وما به الاشتراك يقوي حكم التوافق والاتحاد. فيقوي المحبة والولاء. فكلما كانت الحجب كثير، كان التنافر اقوى. وكلما ارتفعت الحجب وقلت احكام الكثرة يضعف التنافر وتقوى المحبة.

١- ساقطة في سل، ٢- النجم: ١٧، ٣- نرى: سل، ٤- احمد بن حنبل: ٣- ١٢٨/١٩٩، ٥- فتظهر: ر. ويظهور: سل، ٦- ساقطة في ر

فالكاملون اقوى محبة من جميع الخلائق واشد حباً لله و(١)لعباده المؤمنين. ثم من ناسبهم .لذلك كانوا اشد رغبة(٢) في النساء وادراكاً لحسن والجمال واقوى ميلاً اليهما. ولاسرار اخرى لاتحتمل العقول الضعيفة بيانها والافهام اعلانها.

الثالثة في نتائجها

فهي ان تعلم ان نتيجة المحبة الالهية، هو اصطفاؤه، والمحبوب من بين خلقه، واجتباؤه وتكريمه من بين انبياء جنة، كما قال في حق آدم عليه الصلاة والسلام: «لقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر»(٢٣)؛ وقال: «يا ابن آدم خلقت الاشياء لأجلك وخلقتك لأجلي فكن(٤) أنت لي تكن ،الاشياء لك»(٥) وقال في حق عباده ونبيه موسى عليه الصلاة والسلام: «واصطنعتك(٦) لنفسي»(٧) واصطفاء ملائكة المقرّبين وعباده المكرّمين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله سبحانه اذا احب عبداً دعا(٨) جبرائيل فقال اني احب فلاناً فاحبه، فيحبه جبرائيل. فينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه اهل السماء ثم يوضع(٩) له القبول في الارض»(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم: «اذا احب الله عبداً ألقى(١١) محبته على الماء فكلّ من شرب من(١٢) ذلك الماء احبه»(١٣) والاهداء الى الصراط المستقيم والتوفيق لقبول الدين القويم والتأييد على اتباع النبي الكريم في جميع اقواله وافعاله واحواله ليمكن له(١٤) العمل بمقتضى اوأمره. والقيام بحق العبودية فرائضها ونوافلها والتقرب بهما من الحق سبحانه الموجب لأن يكون سمع الحق وبصره وعلمه وإرادته وقدرته، بإتيانه وتقربه بالفرائض، ولأن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، بتقربه بالنوافل، كما اشار اليه الحديث: «ماتقرّب(١٥) اليّ متقرب بمثل اداء ما افترضت عليه ولايزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه فإذا احببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ولساناً، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي.»(١٦)

ومن جملة نتائج المحبة الالهية محبة العبد اياه واختياره على من(١٧) هو(١٨) سواه، وطاعته لاحكام مولاه، والاقرار بان لا اله الا الله ظاهراً وباطناً، قولاً وفعلاً

١- ساقطة في ر ، ٢- رغبته : ر ، ٣- الإسراء: ٧٠، ٤- فكنني : ر ، ٥- ابن العربي : الفتوحات ف ٣٩٥٠ ؛ ج ٤/ ص: ٢٦٩، ٦- اصطنعتك: سل ، ٧- طه : ٤١، ٨-دعي : ر، ٩- توضع: ر ، ١٠- النخارى : أدب، ٤١، ١١- ألقا: ر ، ١٢- بذلك : ر ، ١٣- لم أجد له أصلاً ، ١٤- ساقطة في سل. ١٥- يقرب: ر ، ١٦- النخارى : رقاق؛٣٨، ١٧- ساقطة في سل، ١٨- ما: سل.

والالتذاذ بكل مايحكم الحق سبحانه وتعالى ويقضى عليه والرضاء بما قدر وأجرى عليه بين يديه ومحبته و(١)قهره وجفاؤه، كما يحب لطفه وانعامه. اذ كل ما يفعل المحبوب محبوب وشوقه الى لقائه الموجب لشوق الحق اليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله احب الله لقاءه»(٢) وقال الله تعالى لداود عليه السلام: «ياداود ان عبادي يشتاقون اليّ وإني اشد شوقاً منهم اليهم»(٣) ولله در القائل:

يحنّ الحبيب الى رؤيتي، وانّي اليه اشد حنيناً
وتهفو النفوس ويأبى القضاء، فأشكو الأنين ويشكو الانبياء

ومحبته لكل من يحب الحق وثمرتها العفو من العقاب وحصول الاجر والثواب. وعند دوامه في المحبة الحقانية يحصل له الوجد والسكر(٤) والهيمان والعشق والمفني(٥) وجوده وذاته في وجوده وذاته سبحانه فناء، يستلزم البقاء الابدي، ومحواً ينتج الى(٦) الصحو(٧) السرمدي وحصول الوجود الدائم الازلي الابدي، فيتم له الخلاص من حضايق الامكان، والنجاة من طوارق الحدثان الموجب للابتهاج الدائم والسرور وانقلاب ظلمة عينه العدمية بعين النور. وكل ذلك بل كل ما يعد كمالاً وحسناً وجمالاً، وما يدخل تحت الوصف مما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا يحصل الاّ من شراب المحبة الذي اشار اليه الناظم قدس الله روحه في هذه القصيدة.(٨)

***

١-ساقطة في سل، ٢- مسلم: ١٤-١٨؛ الترمذي: زهد / ٦، ٣- «يا عبادى ! اشتقت اليكم، وانا إليكم أشد شوقاً» ابن العربي: الفتوحات، ف، ٥٠١، ج ١٢، ص: ٥٨٠٠ ٤- الشكر: سل، ٥- المقيى: سل، ٦- ساقطة في سل، ٧- صحو: ر، ٨- أى القصيدة الميمية لابن الفارض.

اساس الوحدانية ومبنى الفردانية

اساس الوحدانية ومبنى الفردانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الاحدي بالذات، الواحدي بالصفات، الجاعل للنور والظلمات، الخالق للوحدات والكثرات، الذي بسط الوجود على اعيان الموجودات وكثره(١) بتكرار الوحدات، وعينه بالتجليات الموجبة للتعينات.

والصلاة على افضل المكونات، واكمل الموجودات، محمد وآله(٢) وعترته الطاهرين والطاهرات صلاة رافعة للدرجات وماحية عن قابلها الذنوب والسيئات.

وبعد:

يقول العبد الراجي رحمة ربه داود بن محمود بن محمد الرومي القيصري: لماوجدت اكثر مقلدي علماء العصر وحكماء الدهر(٣) القائلين بالوحدانية، المعترفين بالفردانية، المغترقين دلال ماء الحياة بصفاء الفهوم، المخرجين درر المحقيقين عن بحار العلوم، ظانين ان وحدة الحق سبحانه وتعالى وحدة شخصية، بناءاً على انه سبحانه حقيقة نوعها منحصر في شخصها، ولم يتعرض لبيانها احد من علماء الظاهر في كتبهم اعتماداً على ان مفهوم الوحدة امر بديهي، والراسخون(٤) في العلم الذين بلغوا لبّ الالباب بنور رب الارباب ما صرحوا بها صيانةً للسر الالهي عن اعين الاغيار وحفظاً للامانة عن ان يطلع عليها البصائر والابصار. وكان الحق سبحانه قد كشف لي ان وحدته تعالى ليست وحدة شخصية، ولا نوعية، ولا جنسية، بل امر يغاير هذه الوحدات كلها، ومصدر لجميعها. وجرى في اثناء البحث مع الطالبين للاسرار الالهية المتفحصين عن انوار الاحدية(٥) على لسان هذا الضعيف تحقيقها وتدقيقها(٦) وطفقت الحقيقة تطلب بلسانها كشف السر المصنون ورفع الاستار عن القلوب والعيون. ونبهت الارواح المستعدة على ماكانت عليه من الظنون، وانّ الظن لايغني من الحق شيئاً ولا يجدى من الحقيقة طائلاً وقنعاً. طلب مني سيد من سادات الدهر، ووجه من وجوه اهل العصر، مفخر طه ويس(٧)، متجه سلالة رسول رب

١- صورة : ج، ٢- ساقطة في ج ، ٣- ساقطة في ج ، ٤- ساقطة في ج، ٥- ساقطة في ج ، ٦-ساقطة في ج، ٧- الطه وياسين: د.

العالمين صلوات الله عليه وعلى اصحابه اجمعين، ان اكتب هذه المعاني واقيّد(١) هذه المباني لتكون الافادة تامة والافاضة عامة والحقيقة كاملة والعناية شاملة وتنبيه نفوس الطالبين للأسرار الأحدية وتنوّر قلوب المتسعدين بالانوار الصمدية. ورأيت ذلك الطلب الجاري على لسانه طلب الحق ظهوره وكشف الرب ستوره، فوجب الاجابة عليّ وتقيدها بالكتابة بيدي شكراً لأياديه ونعمه واظهاراً لالطافه وكرمه. فكتبت هذه الرسالة مشتملة على اربعة اصول:

الاول في بيان ماهية الوحدة والكثرة،

الثاني في اقسام الوحدة،

الثالث في وحدة الحق سبحانه وتعالى،

الرابع في ان الوحدات الكونية والكثرات كلها راجعة الى الوحدة الحقانية الذاتية. وسميتها: ***«اساس الوحدانية ومبنى الفردانية»*** لان معرفة الوحدة الالهية أصل من اصول التوحيد، ترجع حقائق التوحيد اليه، ومبنى تبتنى الوحدانية والفردانية عليه.

ولما فرغت من تحريها، جعلتها مشرفة بالقاب المولى المعظم، الكامل الأعظم، الواصل الى عين الحياة الحقيقية، الرافع بانوار باطنه الظلمات الّتي في النشأة البشرية، أفضل المأخرين، وقدوة المتبحرين، جلال الملة والدين، جمال الاسلام والمسلمين، مربي الضعفاء والمساكين، ادام الله ظلال جلاله عرضاً بين يديه، ليتشرف بفكره الصائب انوار مبانها ويبين بنظره الثاقب درر معانها. واسأل الله العون والتوفيق وانه بالاجابة جدير حقيق.

الاصل الاول في ماهية الوحدة والكثرة

اعلم ان الوحدة والكثرة معنيان عقليان، لا يمكن خلو الاشياء الموجودة في الخارج عن احدهما. اذ الشئ الخارجي اما ان يكون واحداً او كثيراً، ولكل منهما احكام ولوازم في الموجودات العينية، فهما من حيث انهما امران عقليان اعتباريان. لذلك قيل: «انهما(٢) من الامور العامة الكلية التي لا وجود لهما ولا عين الاّ في العقل». ولكون الاشياء الخارجية لا تخلو عنهما، وعن احكامهما، ووجدان كل احد منا في نفسه تحققهما، قيل: انهما امران وجوديان، بهما يكون الشئ واحداً او كثيراً.

١- ساقطة في ج، ٢-انها : ج

فالوحدة معنى يجعل معروضه في الخارج(١) بحيث لا يدخل فيه التعدد، والكثرة معنى يجعل معروضه في الخارج(٢) بحيث يدخل فيه التعدد. فهما متضادان لا يمكن اجتماعهما في موضوع واحد من جهة واحدة، وان كان يمكن اجتماعهما فيه من جهتين مختلفين، لان الشئ قد يكون واحداً من جهة، كثيراً من أخرى. كالشخص الانساني مثلاً، فانه كثير من حيث اعضائه المتكثرة وقواه المختلفة، وواحد من حيث شخصيته الواحدة. والقول بانها غير وجودي، بناءً على انها نفي الكثرة عما هي صفته، وان كان قريباً من الحق، لكن جواز كون ذلك النفي لازماً لمعنى وجودي هو المعبر عنه بالوحدة يبطله. ولاشك ان كل احد منا يجد من نفسه ذوقاً، ان وحدته الشخصية وكثرته الاجزائية ليستا امرين عدميين، بل ثبوتيين وجوديين.

وايضاً: الكثرة وجودية قطعاً، وهي مركبة من الوحدات لان الوحدات بتكرارها تفعل الكثرة، كما ان الواحد بتكراره يفعل الكثير.

فان قلت: الوحدة ضد الكثرة، وتقوم احد الضدين بالآخر بديهي البطلان، لعدم امكان اجتماعهما في موضوع واحد.

قلنا: للوحدة اعتباران، اعتبار تكررها الموجب للكثرة، واعتبار كونها مانعة من الانقسام. فبالاعتبار الاول جزء للكثرة، وبالاعتبار الثاني ضد لها، فهي بالاعتبار الاول فاعل للكثرة لا بالثاني. وهذه الوحدة المذكورة هي الوحدة الكونية، لا الوحدة الذاتية الالهية التي سنبينها في(٣) موضعها إن شاء الله(٤). وهذا المعنى الدذي به يكون الشئ واحداً، ليس عين وجوده، والا لكان قولنا: الشئ موجود، مرادفاً لقولنا: الشئ واحد.

وايضاً، الكثير من حيث انه كثير موجود، وليس بواحد من تلك الحيثية.

وأيضاً، العدم قد يتصف بالوحدة والكثرة، كما يقال لعدم الشئ الواحد، عدم واحد، ولعدم الاشياء الكثيرة، اعدام كثيرة، ولا تتصف بالوجود. اذ لا يقال لعدم الشئ الواحد او(٥) الاشياء الكثيرة انه موجود، وليس عين التعين، لان الكثير من حيث انه كثير له تعين، وليس بواحد.

وايضاً، التعين قد يكون من قبيل المحسوسات، كالهيئة الخاصة والوضع المعين، وغير ذلك من التعينات الشخصية، وقد يكون من قبيل المعقولات، كالتعينات المميزة لكل من الجواهر المجردة عن غيره، وقد يكون جزء من الزمان. فانه من جملة المعينات

(١، ٢، ٣، ٤) – ساقطة في ج، ٥– و: د.و

لافراد الموجودات الخاصّة بالحدوث(١) الزماني، وليست الوحدة كذلك، فتعين ان يكون امراً زائداً على التعيُّن، لكنه لازم له. لان كل ما له تعيّن خاص، لابد ان يكون له وحدة. وهكذا الكثرة ليست عين وجود الكثير، ولا عين تعينه، لان الواحد باعتبار انه واحد موجود ومتعيّن، وليس بكثير.

وايضاً، قولنا: الشئ موجود، ليس مرادفاً لقولنا: الشئ كثير، ولو كانت الكثرة عين الوجود؛ لكانا مترادفين. والكثرة اما ان تكون في الذوات ولوازمها، واما ان تكون فيها، بل في اللوازم التي تلحقها من الصفات والأفعال. الاولى مختصة بالعالم. اذ لا كثرة في ذات الحق سبحانه وتعالى بوجه من الوجوه. والثانية مشتركة بين العالم والحق سبحانه. اذ للحق سبحانه أيضاً اسماء وصفات غير متناهية، وأفعال وشؤون غير منحصرة، كما ان للعالم صفاتاً وافعالاً غير متناهية، والذوات المتكثرة ان كانت اشخاصاً فهي متحدة بالنوع، اي ترجع(٢) تلك الذوات الى حقيقة واحدة(٣) نوعية و(٤)اختمت بالمشخصات المعيّنة اياها، فصارت شخصاً واحداً، فتكثرها بالتعيّنات الجزئية، والأنواع متحدة في الجنس. اي ترجع الحقائق النوعية الى حقيقة هي اعم منها؛ تعينت كلها بالتعينات الكلية، وهي الفصول المنوعة اياها، فصارت نوعاً. والاجناس كلها متحدة في الجنس العالي الذي بظهوره في صفة كلية وتعين كلي يحصل وجود الجنس الاضافي، فالجواهر كلها راجعة الى حقيقة جوهرية هي جنس الاجناس الجوهرية كلها، وكذلك الاعراض مع اختلاف انواعها واجناسها راجعة الى حقيقة عرضية شاملة للكل.

وهما اعني: الجواهر والاعراض ترجعان(٥) الى حقيقة الوجود المأخوذة(٦) في تحديدهما، والشئ الموصوف بالوجود في قولهم: موجود في موضوع، في حد العرض، وموجود، لا في موضوع في حد الجوهر، ليس إلاّ حقيقة الوجود. اذ الشئ مرادف للوجود، والعدم لا يمكن ان يوصف بالوجود. والماهيات ليست إلاّ(٧) صوراً علمية ثبوتية في حضرة الامكان حاصلة من تجلي الوجود المطلق الذي هو الحق سبحانه لذاته بذاته في حضرة علمه الذاتي، الذي هو عين ذاته تعالى. فليست اموراً متكثرة متغايرة للوجود في الحقيقة نفسها(٨) على انه مظهر لهذا الإسم دون إسم آخر. ونبّه بالجهة الاولى بقوله: «وما رميت اذ رميت ولكن اللّه رمى»(٩)فاسند رميه

١- الحادثة: ج، ٢- يرجع: ج ،٣- ساقطة في ج ، ٤- ساقطة في ج ،٥- يرجعان : ج ،٦- المأخوذ: ج، ٧- ساقطة في ج، ٨- ساقطة في ج ، د ، ٩- الأنفال: ١٧.

الى اللّه ولا يتصور هذه الربوبية إلاّ باعطاء كل ذي حق حقه، وافاضة جميع ما يحتاج اليه. العالم في هذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الالهية جميعها، فله كل الاسماء يتصرف بها في العالم حيث استعداداتهم.

ولما(١) كانت هذ الحقيقة مشتملةً على الجهتين: الإلهية والعبودية. لا يصح لها ذلك اصالة بل تبعية وهي الخلافة. فله الاحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات لتتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها ايضاً، لانها منه وبكاؤه عليه السلام وضجره وضيق صدره لا ينافي ما ذكر، فانه بعض مقتضيات ذاته وصفاته «لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء»(٢) من حيث مرتبته، وان كان يقول: «انتم اعلم بامر دنياكم»(٣) من حيث بشريته.

والحاصل: ان ربوبيته للعالم بالصفات الالهية التي له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص الامكانية من حيث بشريته الحاصلة من التعبد والتنزل الى العالم السفلي ليحيط بظاهره بخواص العالم الظاهر، وبباطنه بخواص العالم الباطن، فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين. فنزل ايضاً كماله، كما ان عروجه الى مقامه الاصلي كماله فالنقائص ايضاً كمالات باعتبار آخر، يعرفها من تنور قلبه بالنور الالهي. ولما كانت هذه الخلافة واجبة من اللّه تعالى في العالم بحكم: «وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلاّ وحياً او من وراء حجاب»(٤) وجب ظهور الخليفة في كل زمان من الازمنة ليحصل لهم الاستئناس ويتصف بالكمال اللائق به كل من الناس، كما قال سبحانه: «ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون»(٥). وظهور تلك الحقيقة بكمالاتها اوّلاً لم يكن ممكناً وظهرت تلك الحقيقة بصور خاصة، كل منها في مرتبة لائقة بأهل ذلك الزمان والوقت، حسب ما يقتضيه الاسم الدهرِ في ذلك الحين من ظهور الكمال. وهي صور الانبياء عليهم السلام. فان اعتبرت بعينياتهم وشخصياتهم بغلبة احكام الكثرة والخلقية عليك حكمت بالامتياز بينهم والغيرية وبكونهم غير تلك الحقيقة المحمدية الجامعة لاسماء، لظهور كل منهم ببعض الاسماء والصفات. وان اعتبرت حقيقتهم وكونهم راجعين الى الحضرة الواحدة بغلبة احكام عليك حكمت باتحادهم ووحدة ما جاؤوا به من الدين الالهي كما قال تعالى: «لا نفرّق بين احد من رسله»(٦). فالقطب الذي عليه

١-ساقطة في ج.٢- سباء: ٣، ٣-احمد بن حنبل: ٢.١٥٢ ، ٤— الشورى : ٥١ ، ٥- الانفال :٩ ، ٦- البقرة: ٢٨٥.

مداراحكام العالم وهو مركز دائرة الوجود من الازل الى الابد واحد باعتبار حكم الوحدة والا يلزم ان يكون الحق سبحانه او علمه الذاتي الذي هو عين ذاته محلاً للامور المتكثرة المتغايرة له من كل الوجوه. وقد بينا هذا المعنى في ***«مقدمات شرح فصوص الحكم»*** مشبعاً، فمن اراد تحقيقه فليطلب هناك.

فان قلت: يلزم من هذا القول ان يكون الشئ موصوفاً بنفسه، وهو محال.

قلنا: الوجود يطلق على معان مختلفة بالاشتراك اللفظي بعضها عرض وبعضها لا عرض ولا جوهر، فانه يطلق على الحصول والظهور والتحقق، كما يقال وجد وتحقق، للشئ الذي وجد وتحقق، فظهر في عالم الشهادة بعد ما كان حاصلاً في عوالم الغيب من عالم المجردات وعالم الارواح الذي هو العالم المثالي، اذ للارواح كلها فيه صور. والوجود بهذا المعنى مقول بالاشتراك المعنوي على جميع الموجودات على سبيل التشكيك. ويطلق على الحقيقة التي بها يتقوم الوجود الخارجي والذهني وغيره من انواع الوجود. وتلك الحقيقة هي الوجود الحقاني(١) القائم بذاته، المقوم لغيره. ولا شك ان الحصول والتحقق والظهور عرض، والحقيقة القائمة بذاته المقومة لكل ما سواها من الجواهر والأعراض، ووجوداتها العلمية والعينية ليست جوهراً ولا عرضاً.

فقولنا: الشئ موجود في الخارج، معناه ان الحقيقة الوجودية المتعينة بتعيّن خاص، الثابتة في حضرة علمه تعالى ظاهرة في الخارج. هذا ان كان المعبر بالشئ ما سوى الحق، وان كان عينه تعالى، فالمراد به ان الحقيقة الوجودية المتعينة بالتعين الذاتي ظاهرة بذاته لذاته، ولما سواه، فالوجود الذي في قولنا: موجود، الظهور والحصول لا غير. وقد بينا هذا المعنى في «كتاب كشف الحجاب عن كلام رب الأرباب» فحقيقة الوجود التي ليست بجوهر ولا عرض، بل مقومها؛ هي حقيقة الحقايق الالهية والكونية كلها. فسبحان من أظهر من ذاته جميع الحقايق، وبطن في ذاته عن فهوم الخلايق. وصلى الله على محمد وآله.

الاصل الثاني في اقسام الوحدة

الوحدة قد تكون عين الشئ الموصوف بها، كوحدة الواجب الوجود التي بها سمي نفسه بالاحد، وقد تكون غيره من وجه، وعينه من آخر، كالوحدة التي بها سمي الحق نفسه بالواحد، كما سنبينها في الاصل الثالث ان شاء الله. وقد تكون

---

١ – الحقائق: ج.

غيره من جميع الوجوه، وهذه(١) الوحدة قد تكون مقومة لما تصدق عليه الواحد، كوحدة الاثنين والثلاثة والاربعة وغير ذلك من الأعداد. فان الاثنين نوع واحد من العدد، والثلاثة نوع آخر غيره، والاربعة نوع آخر غيرهما، لذلك صار الاول زوجاً(٢) منقسماً بمتساويين؛ كل منهما مقوم للعدد، وليس منه. والثالث فرداً لا ينقسم كذلك متقوماً بما ليس من العدد، وهو الواحد، والثالث زوجاً منقسماً بمتساويين كل منهما من العدد، وهكذا جميع مراتب الاعداد البسيطة والمركبة، فان كل واحد(٣) منهما نوع واحد يمتاز عن غيره بخصوصية تلحقه وتختص به دون غيره، وقد لا يكون مقومة لما تصدق عليه الواحد بل عارضه كالوحدة اللاحقة للموجودات الكونية. وهذه الوحدة الكونية قد تكون جنسية، كوحدة الجوهر الذي هو جنس الأجناس كلها، ووحدة غيرها من الاجناس الداخلة تحته، وقد تكون نوعية كوحدة الانواع الحقيقية، كالانسان والفرس وغير ذلك، وقد تكون شخصية كالوحدة التي لافراد الانواع، كزيد وعمرو وغيرهما(٤). فان الطبيعة التي تلحقها الجنسية والنوعية والشخصية مثلاً، من حيث هي هي ليست واحدة ولا كثيرة، كما انها ليست جنساً ولا نوعاً ولا شخصاً. فانها من المعقولات الثانية التي تلحق الطبايع الاخر التي(٥) هي المقولات الاولى. وحينئذ ان كانت الوحدة العارضة لها بحيث لا يمنع معروضها عن ان يكون مقولاً على كثيرين مختلفين بالحقيقة فهي(٦) الوحدة الجنسية. وان كانت مانعة اياه عن ان يكون مقولاً على مختلفين بالحقيقة، لا يخلو اما تكون مانعة اياه(٧) عن كونه(٨) مقولاً على كثيرين مختلفين ايضاً. فان لم يكن مانعة اياه تكون مانعة اياه عن ان تكون مقولاً على كثيرين متفقين بالحقيقة، فهي الوحدة النوعية. وان كانت مانعة اياه عنه ايضاً، فهي الوحدة الشخصيّة، فغاية الكثرة في الأفراد الشخصية وهي عبارة عن اجتماع الوحدات الشخصية، وتلك الوحدات تتحد في الوحدة النوعية، ووحدات الانواع تتحد في الوحدة الجنسية، كما مر من ان الافراد الشخصية التي هي معروضات الوحدة الشخصية متحدة في انواعها، والانواع في اجناسها. والاجناس في الجنس العالي المحيط بذاته كل مايصدق عليه من الانواع والاشخاص. وقد تتحد المحمولات ايضاً في موضوعاتها، كالكاتب والضاحك في الانسان، وان كانت الكتابة والضحك حقيقتان متغايرتان، متحدتان في العرضية،

١- هذا : ج، ٢- ساقطة في د ـ و ، ٣-ساقطة في ج، ٤- ساقطة في ج، ٥- ساقطة في ج،٦- ساقطة في في ج،٧-ساقطة في د، ٨- ساقطة في ج.

المتحدة مع الجوهر في حقيقة الوجود. وقد تتحد الموضوعات في المحمولات، كما يقال: العاج والثلج ابيض. وهذه الاتحادات المتنوعة المذكورة انما هي لاتحادها في الاصل الذي هو الذات الالهية التي فيها تهلك وتتلاشى جميع الاشياء التي يقع عليها اسم السوى والغير. اذ لو كانت متغايرة الذوات بالحقيقة بحيث لا تجمعها حقيقة اصلاً لما امكن اتحادها لا وجوداً ولا عقلاً. فمن فاز بمعرفة هذه الحقيقة الجامعة لجميع الحقائق، ولاح له كيفية تنزلاته في صور الاكوان، وعروجاتها عن مراتب الحدثان بالتحلي عنها والتجلي(١) بانوار احديتها الذاتية، فقد فاز فوزاً عظيماً. والحمد لله وحده.

الاصل الثالث في وحدة الحق تعالى

ان هذا المطلب مبنى على معرفة أصل، وهو الفرق بين الاحد والواحد، ليعلم ان للحق تعالى وحدة بحسب اسم الاحد، ووحدة بحسب اسمه الواحد. وذلك الفرق هو ان الاحد المطلق للحق انما هو بحسب الذات فقط، من غير اعتبار النسب اللاحقة اياها. والواحد يطلق عليه تعالى باعتبار نسبة الوحدة التي هي من جملة الصفات الى عين تلك الذات. لذلك يلحق الواحد نسب غير متناهية، كما يقال: الواحد نصف الاثنين، وثلث الثلاثة، وربع الاربعة وغير ذلك من النسب التي تلحقه باعتبار مراتب الاعداد الغير المتناهية. وبملاحظة هذا المعنى الذي في الواحد سميّت المرتبة الالهية التي هي حضرة الاسماء والصفات في اصطلاح ارباب الكشف والشهود بالواحدية، والذات الالهيّة التي جميع الصفات الثبوتية عينها بالاحدية. اذ ليس شئ منها زائداً على الذات.

اذا علمت هذا، فاعلم ان الوحدة التي يتضمنها الاحد غير(٢) الوحدة التي يتضمنها الواحد. وذلك لان(٣) الوحدة الاحدية لا يمكن ان تكون زائدة على الذات الالهية، اذ لو كانت كذلك لكان الحق سبحانه في كونه احداً، محتاجاً الى ما يطلق عليه اسم الغير؛ سواء كان هذا الاطلاق بالحقيقة او الاعتبار. فلا يكون الغنى بالذات غنياً بالذات، فهذه الوحدة عين الذات الالهية.

واما الوحدة الواحدية، فهي الوحدة الصفاتية التي هي من وجه عينها(٤) ومن

١- التحلي : ج.٢-ساقطة في د.و ، ٣- ان : د ، و ٤- ساقطة في ج، ٥- وحدة : ج

وجه غيرها. فالحق سبحانه احد بالوحدة الذاتية و واحد(٥) بالوحدة الصفاتية التي هي نسبة من النسب اللاحقة للذات. وبهاتين الوحدتين سمى الحق تعالى نفسه بالواحد(١) الاحد.

فان قلت: الوحدة الواحدية ايضاً ينبغي ان تكون عين الذات بعين ما ذكر، ثم من الدليل.

قلنا: هذه الوحدة ايضاً وان كانت غير(٢) الذات من وجه، وهو كونها نسبة من النسب اللازمة للذات، لكنها عينها من وجه آخر، وهو كونها تجلياً من تجليات الوجود(٣) التي هي من حيث الوجود عين الذات الالهية. لذلك ذهب الاشعري ومن تابعه ان صفات الله تعالى ليست عين الذات ولا غيرها، اذ الشئ الذي هو من وجه يكون عين الذات، ومن وجه غيرها، لا يكون على الاطلاق عيناً ولا غيراً. ولولا التعينات التي تلحق الوجود، ويخرجه عن اطلاقه الذاتي، لكان الكل عيناً لا غيراً. فالعقل اذا اعتبر تعينات الصفات وكثرتها، يقضي بانها غير الذات، واذا اعتبر(٤) انها من تجليات الذات الاحدية لنفسها وليست غيرها في الحقيقة يقضي بانها عينه، كالامواج التي للبحر، فانها تعينات ونقوش تظهر على الماء من تموجه. فاذا اعتبرت عين الماء الظاهر بصورة(٥) الامواج ونقوشها، لا يوجد شئ غير الماء، واذا اعتبرت الامواج التي هي النقوش الظاهر فيه، يوجد امور قائمة بعين الماء. لكن لا حقيقة لها في نفس الامر سوى تلك النقوش. وفي التحقيق هذا حال العالم بعينه مع الحق سبحانه، لان صور العالم باسرها مظاهر للصفات الالهية، وهي نقوش الذات المتجلية فيها، وبها على العالم. لذلك قيل:

البحر بحر على ما كان في قدم ان الحوادث امواج، وانهار
لا تحجبنك اشكال تشاكلها عمن تشكل فيها، فهي استار

***

وهذان (٦) الوحدتان مختصتان بالرحمان، لان جميع ما سوى الحق وحدته عارضية لا ذاتية. فان طبايع العالم سواء كانت كلية او جزئية، من حيث هي هي، ليست واحدة، ولا كثيرة، فوحدتها عارضية، فتعين ان تكون الوحدة الاحدية مختصة بالحق.

١- الوحد : ج ، ٢- عين : ج . و، ٣- الجليات الوجودية: ج ، ٤- ساقطة في ج ، ٥- بصور : ج، ٦- وهاتان : ج

واما الوحدة الواحدية، فهي ايضاً مختصة به، لانها وان كانت نسبة من النسب، عارضة للذات الالهية، لكنها مطلقة لا تعين لها سوى التعين الذي يمتاز به(١) عن غيرها من النسب، وليس ذلك التعين، كتعين الوحدة الجنسية، والفصلية، والنوعية، والشخصية. اذ الثلاثة الاول وان كانت كلية مطلقة من وجه، لكنها مقيدة من وجه آخر، والرابعة جزئية مقيدة، فلا يليق(٢) بالجناب الالهي المطلق عن كل قيد، المقدس عن الجنسية، والفصلية، والنوعية، والشخصية. وجميع الوحدات العارضة لذوات طبايع العالم، كليها وجزئيها، ليست خارجة عن هذه الانواع الاربعة التي للوحدة، فتعين ان الوحدة الالهية الاحدية والواحدية، ليست كالوحدات المنسوبة الى العالم. والحمد لله الهادي.

الاصل الرابع في ان الوحدات الكونية كلها راجعة الى الوحدة الواحدية(٣)

الحاصلة من الوحدة الاحدية

اعلم ان هذه الوحدات الكونية، سواء كانت جنسية، او نوعية، او شخصية، راجعة الى الوحدة الالهية، كما رجعت الكثرات كلها اليها، كما مر بيانه. وذلك لان أصل الكثرة هو الوحدة التي يفعل بتكرارها الكثرة في الوجود، الى أن ينتهي الى غايتها التي هي الكثرة في الافراد، كماان الواحد هو الذي يفعل الكثير بتكراره. والوحدة الشخصية متفرعة على الوحدة النوعية، لان كل واحد من الاشخاص هو الطبيعة النوعية، الظاهرة بالقيود الشخصية، والطبيعة النوعية واحدة لا تنفك وحدتها عنها، فوجب ان تكون تلك الوحدة في كل واحد من الاشخاص حاصلة، والا يلزم انفكاك الازم من الملزوم. والطبيعة النوعية هي الطبيعة الجنسية، المتعينة بتعين كلي(٤) قريب من التعين الجزئي، وهو فصلها المميز اياها عن الطبيعة الجنسية، لانها فرد من افرادها، فحقيقة الوحدة اللازمة للطبيعة الجنسية سارية معها في الطبيعة النوعية التي(٥) هي حصّة من حصص الطبيعة الجنسية، كما انها سارية بالطبيعة النوعية في حصصها المسماة(٦) بالاكتفاف في حصصها بالتعينات الجزئية اشخاصاً، وهكذا الامر متصاعداً، الى ان ينتهي الى الجنس العالي. ووحدة الطبيعة المسماة بالجنس العالي، حاصلة من الوحدة الواحدية التي للحق سبحانه. فان الواحد من حيث

١- ساقطة في ج.، ٢- ساقطة في و ، ٣- الوحدية: ج ، ٤- كل : د، و ، ٥- ساقطة في ج ، ٦- ساقطة في ج .

انه(١) واحد، لا يصدر منه الا واحد. لذلك قيل: المعلول صورة العلة، لانها به تعرف. قال تعالى: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»(٢) اي ليعرفوني(٣) فيعبدوني. وقال: «كنت كنزاً مخفياً، فاحببت ان اعرف، فخلقت لاعرف»(٤). ولا يعرف الشئ معرفة تامة ذوقية الاّ بما منه في غيره، فخلق المخلوق(٥) على صورته، وكساه من حلل صفاته، ليستدل منه عليه.

فاول ما اعطاه خلقه الوجود الذي هو ملزوم جميع الكمالات، ثم رتب عليه مقتضياته من التعيّن، والوحدة والحياة، والعلم والقدرة، وغير ذلك من الصفات، حتى جعله مع انه ممكن بالذات، واجب بالغير. غاية ما في الباب ان تلك الصفات الكمالية الجمالية والجلالية في الحضرة الالهية باقية على اطلاقها، الذي هو مقتضى حقايقها الذي هو مقتضى الذات الاحدية، وفي الممكنات غير باقية على الاطلاق. فانها بتنزلها عن مقامها الاطلاقي تتقيد وتقع في مضايق الامكان وخطائر الحدثان، شيئاً فشيئاً، الى ان تقع في غاية المضيق الشخصي، الذي هو عين الجزئي. فالجزئي هو الكلي، المتنزل عن مقامه الاصلي، وبحكم: يرجع الامر كله إليه(٦) وقوله تعالى: «ولله ميراث السموات والارض»(٧) وقوله: «ان اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها»(٨)، يرجع كل شئ الى اصله، ويفوز بسعادة وصلة. ومن هذا التنبيه يتنبه من اخذت الفطانة بيده، ان عينه التي هي موصوفة بالوجود وكمالاته، ليست ايضاً مغايرة للعين الاحدية، السارية في الكل بذاتها، المحيطة(٩) للاشياء، المظهرة اياها باختفائها في صورها، وذواتها. لذلك قال: «اليه يرجع الامر كله»(١٠).

ومن عرف ان الحق سبحانه وتعالى لا يتطرق عليه العدم بوجه من الوجوه، ولا يوصف ولا ينعت به باعتبار من الاعتبارات، وامعن النظر فيه، وفيما مر من التنبيه، يظهر له كيفية احاطته سبحانه للاشياء، ومعيته معها، وحقيقة قوله: «هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم»(١١) و «نحن اقرب اليه من حبل الوريد»(١٢) «وهو معكم اينما كنتم»(١٣)، وقول النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لو دليتم بحبل لهبط على اللّه»(١٤) فان الموجود في الباطن مثلاً دون الظاهر، او في

١- ساقطة في و، ٢- الذاريات: ٥٦، ٣- ليعرفون: ج، ٤-العجلوني: كشف الخفاء، ج: ، ص: ١٣٢، ٥- الخلق: ج. ٦- ساقطة في ج، ٧- آل عمران: ١٨٠، ٨- النساء: ٥٨، ٩- المحيط: ج، ١٠- هود: ١٢٢، ١١- الحديد: ٣، ١٢-ق: ١٦، ١٣- الحديد: ٤، ١٤- ابن العربي: الفتوحات، ف ١٥٩٠؛ ج: ١٠، ص:١٧٨

جهة دون اخرى، او في زمان دون زمان، او مكان دون مكان، لصدق عليه انه معدوم بالنسبة الى ما ليس فيه، وان كان موجوداً بالنسبة الى ما هو فيه. فاحاطته تعالى بظهوره في صور الاشياء بصفة من الصفات المتعيّنة. بالتعيّنات الكونية، والاحاطة العلمية، لا تنافي الاحاطة الذاتية التي يعبر(١) عنها بالمعينة فان هوية تعالى هي ظهرت واظهرت كل شئ. واللّه على ما نقول وكيل. والله(٢) يقول الحق ويهدي السبيل. ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم. وصلوته على خير خلقه ومظهر حقه محمد وآله وصحبه أجمعين.

***

١- ساقطة في ج، ٢- ساقطة في ج،

نهاية البيان في دراية الزمان

نهاية البيان في دراية الزمان

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الحمد للّه الأول و الآخر لا بابتداء الوجود وانتهائه، الظاهر والباطن لا باظهار التحقق واختفائه، الأزلي الذي لها أزلية اللازال بذاته، الابديّ الذي به يلحق الازل والأبد بصفاته، الدائم المنزه(٣) الباقي لم يزل ولا يزال، الخالق الباري، وهو الكبير المتعال المتغير(٤) بذاته عن التغير والحدثان، المقدس بصفاته عن كل ما يليق(٥) بجنابه من نعوت الأكوان الذي قدر ببقائه مدة بقاء الموجودات مبدعاتها ومخلوقاتها، كما قوم بحقيقة الوجود وجودات الاعيان وذواتها، وجعل الليل والنهار آيتين لأولي الألباب ليعلموا(٦) بهما عدد السنين والحساب.

وصلى اللّه على خير خلقه محمد، الذي هو فصل الخطاب، صلاة دائمة الى يوم الجزاء والحساب وعلى آله واصحابه خير الصحّاب.

وبعد:

يقول العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف، داود بن محمود بن محمد(٧) الرومي(٦)، القيصري مولداً الساوي محتداً، لما أيدني الموفق(٧) بتحصيل علوم الحقائق الدقائق و اوفقني بكشف انواع المعاني والدقائق، وكانت اشرف العلوم واعلاها رتبة واكملها(٨) واجلها شأنا ومنزلة، لأن موضوعها الذات الالهية وحقائق اسمائها، وصفاتها، و وجود الاعيان الكونية وماهيّاتها. وكان من جملتها حقيقة الزمان وهو في تحققه في الخارج غني عن البيان. اذ ليس لشئ وجود إلاّ فيه او مقارن معه ومع ظهور اثبته اختفت حقيقته(٩) عن اعين بصائر العالمين لغاية ظهورها، واعمت ابصارهم بلمعان اشعة نورها. فاختلف الناظرون فيها اختلافا لا يكاد يتفق آثاره ولا يمكن ان يرتفع من بينهم مشاره.

وكان الحق سبحانه وتعالى قد كشف على حقيقته بواسطة علم التوحيد وانواره ورابطه وجدان مقام التفريد، واسراره الكاشف لجميع الحقائق، يرفع الحجاب عن

١- ساقطة في ب ، ٢- المنزة : ب، ٣- يتلق: ب ، ٤- لتعلموا : ب ، ٥- ساقطة في ب، ٦- رومى : ب، ٧- التوفيق: ب ، ٨- ساقطة في ب، ٩- حققة: أ.

اعين الراسخين في العلم واولي(١) الالباب، وكان يطلب مني بلسان الحال اظهارها ويسأل عن قلبي اعلانها واشتهارها، لانه صار أوان الظهور الكلي وجاء حين الكشف الاصلي لصفاء(٢) الاستعدادات الطالبة رفع الاستار عن وجوه الحقائق والأسرار، وكنت بسبب قلة البضاعة بين أرباب هذه الصناعة وكثرة الحياء المانع عن الاقدام لبيان الحقائق مع وجود العلماء العظام وخمولي بين الخواص والعوام(٣). لم اتقدم ببيانها، ولم اتعرض ببنيانها، وكان يرشح مني عند طفوحي من اسرارها احياناً ما يوجب الكشف والاظهار، ويطفح عني(٤) حال السكر(٥) من شرابها اوقاتاً ما يظهر بعض الحقائق والاسرار عند بعض المنعطشين في الحقائق من الاصحاب الاخيار.

فسألني بعض اخوان الصدق والصفا اظهارها وحملني وجوب الشكر والتحدب بالنعم، علي ان احدث اخبارها، وابين اسرارها؛ فكتبت هذه الرسالة جواباً لسؤاله وعناية لمن يترك معه في نواله. وسميتها ***نهاية البيان في دراية الزمان***. وجعلتها اربعة فصول: الاول في ماهية الزمان وحقيقته؛ والثاني في وجوده وكونه، ازليا وابديا، وبيان وجه صواب كل قول فيه وخطائه(٦) والثالث في انقسامه الى الآن والساعة والنوم وغير ذلك؛ والرابع في بيان الأيام الكبار الإلهية والربانية والصغار الكونية وما يتعلق بها من الاسرار.

ولما فرغت من تقريرها وتنميقها وتسطيرها شرفتها بالقاب المولى المعظم الصاحب الاعظم، اعلم علماء العصر، وفريد حكماء الدهر، مثير أرباب الدول القاهرة نصر احجاب الحلل الفاخرة، ظهير الملة والحق والدين، ادام الله ظلاله على العالمين، لا زال الحق نصيراً لجناب عزه ودولته، وظهر(٧) الاعوان ملكه، ورفعته لتدوم بدوام اقباله، وتسعد بجمال جلالي، بل عرضا بين يديه ليصلح ما فيها من الخلل بآرائه الزاهرة المعزز الباهرة ويصحح ما فيها من الزلل بانظاره الثاقبة للدرر الفاخرة اذ العادة جارية، بان الصغار يعرضون ما يصدرون على العلماء الكبار، والضعفاء سائرون بانظار الاقوياء النظار. فاسأل الله ان يجعل سعي مشكوراً وذنبي مغفوراً وكلامي مقبولاً، بعنايته الكاملة ورحمته الشاملة، انه ولي العون والتوفيق.

١-والى : ب ، ٢- بصفاء : ب، ٣- العوم : ب، ٤- ليطفح: ب، ٥- الشكر : أ ـ ب، ٦- خطابه: أ. و ، ٧- طيهر : ب.

الفصل الأول في ماهيَّة الزمان وحقيقته

اعلم أن الحكماء(١) اختلفوا فيه(٢) فذهب بعضهم الى أنه جوهر غير جسم ولا جسماني، واجب(٣) بذاته.

وذهب بعضهم الى انَّه عرض، وهؤلاء ايضاً اختلفوا: فمنهم من ذهب الى انه مقدار حركة معدل النهار وهو ارسطو ومن تابعه من المتأخرين(٤) ومنهم من ذهب الى انه مقدار الوجود، وهو مذهب ابي البركات البغدادي.

احتجَّ الاولون بانه لو كان ممكناً لكان قابلاً(٥) للعدم بعد وجوده وقابلاً للوجود بعد عدمه. وهذه(٦) البعدية لا يمكن تصورها إلاَّ بالقبلية؛ فيكون له قبلية فيها يسبق عدمه وجوده او وجوده عدمه. وهذه القبليَّة والبعديَّة لا يجتمعان معاً في الوجود، فيكون زمان وجود القبليَّة قبل زمان وجود البعديَّة، فيلزم ان يكون للزمان زمان آخر. والكلام فيه كالكلام في الاول فتسلسل، فاذن لم يكن جسماً ولا عرضاً جسمانيًا قائماً بغيره، فيكون جوهراً واجباً بذاته.

وجوابهم انَّ وجود القبليَّة بالذات مقدم على وجود البعدية بالزمان، فلا يلزم ان يكون للزمان زمان آخر، وايضاً كل منهما لم لا يجوز ان يقع في آن واحد(٧) وهو غير الزمان.

فان(٨) قلت: انه يلزم من وقوع كل منهما في آن واحد، وجود الزمان لان الآن جزء الزمان.

قلنا: حينئذ يبطل كونه واجباً، لان كل ما له جزء، سواء كان بالفرض(٩) او بالفعل لا يمكن ان يكون واجباً، اما في الجزء الحقيقي فظاهر، لاحتياج الكل الى جزئه، والفرضي لا يكون الأ بما(١٠) يقبل الانقسام وكل(١١) ما يقبل الانقسام، فهو ممكن ضرورة، سواء كان الانقسام بالفعل او بالفرض.

واحتجَّ من زعم(١٢) انه عن فلك معدل النهار: بان فلك معدل النهار محيط بجميع الحوادث والزمان ايضاً كذلك، فهو عينه.

١- ظن: أ ـ و ،٢- العلماء: ز ـ و ، ٣- فيها : ج ، ٤- ساقطة في ب ـ ج ، ٥- ساقطة في ج ، ٦- قائلاً : أ، ٧-ساقطة في ب ـ ج ، ٨- ساقطة في ب ـ ج ، ٩- ساقطة في ج، ١٠- العرض : ج ؛ ساقطة في ب، ١١- لما : أ ـ و ، ١٢- ساقطة في ج .

وجوابه: انه لا يلزم من كون كل منهما محيطاً بالحوادث ان يكون منهما عين الآخر، لجواز ان يكونا حقيقتين مختلفتين مشتركتين في الاحاطة، متقابلتين(١) بالذات وباقي الصفات.

واحتجَّ من زعم انَّه عين الحركة: بان الزمان مشتمل على الماضي والمستقبل لانقسامه بهما، والحركة ايضاً كذلك، فهي هو.

وجوابه: ان الموجبتين (٢) في الثاني لا ينتج.

واحتجَّ ارسطو ومن تابعه: بان الزمان قابل للمساواة والمقارنة، فهو كم، وليس منفصلاً كالعدد لاشتماله(٣) على الفصل المشترك، ولا قارٍّ الذات، والا لكان اليوم مع الماضي والمستقبل. والكم لابدَّ له من مادة هو مقدارها. والزمان ليس مقداراً للمسافة، لأن المختلفين في هذا المقدار قد يستويان في المسافة وبالعكس، ولا مقدار مادة الحركة، والا لكان الأبطاء اعظم حجماً لكون هذا المقدار فيه اعظم، فهو مقدار لشئ آخر غير قارّ. اذ لو كان مقدار القارّ لكان قاراً وغير القارّ هو الحركة، فالزمان(٤) مقدر الحركة. وليس نفس سرعتها وبطؤها، لأن الحركة ذي(٥) يساوي جزئها في السرعة والبطؤ، ويخالف في هذا المقدار. فالزمان مقدار الحركة غير سرعتها وبطؤها.

وجوابه: انكم ان اردتم بقولكم(٦): لو كان قار الذات لكان اليوم مع الماضي والمستقبل، وهو محال، لان الحادث في هذا اليوم لكان مع الحادث في الماضي والمستقبل، فيلزم منه(٧) المحال، فمسلّم. لكن لا يلزم من استحالة حصول الحوادث الماضية مع الحوادث اليومية معاً استحالة كون الزمان قار الذات، لجواز ان يكون مقداراً قاراً تقع في بعض اجزائه بعض الحوادث وفي بعض آخر حوادث آخر.

وان اردتم به ان الجزء الذي تقع فيه الحوادث اليومية يلزم ان يكون مع الجزء الذي يحصل(٨) فيه الحادث الماضي والمستقبل في الوجود، فلا نسلّم انه محال، فان اجزاء هذا الشئ القارّ جميعاً معا في الوجود، وليس شئ منها ماضياً ولا مستقبلاً ولا حالاً. لذلك قيل: «ليس عند اللّه صباح ولا مساء ولا ماضي ولا مستقبل»، بل وجود هذه الاشياء بالنسبة الينا. وتوهُّم انعدم(٩) بعض الاجزاء المسمَّاة بالماضي، انما نشأ من توهُّم انه غير قارّ الذات او من انعدام الحادث الذي كان فيه.

١- متباتين: ب، ٢- الموجبتان: أ. و، ٣- اشمال: ب، ٤- ساقطة في ج، ٥- هذه: أ. و، ٦- ساقطة في ب، ٧- ساقطة في ب. ج ٨-يحدث: أ. و، ٩- ساقطة في أ. ج و.

وايضاً انقسام الزمان بهذه الثلاثة، انما هو بالحوادث الواقعة فيه لا بنفس الزمان. فان الحقيقة الزمانية من حيث هي هي، ليست الا هي. واذا كان بحسب الحوادث يكون الزمان بحسب الوجود الحادث والحاضر واحوال الواقعة فيه حالاً، وبحسب انعدام احوال ذلك الحادث او انعدام نفس ذلك الحادث يصير ما يقارن وجود احواله او وجود ذاته من اجزاء الزمان ماضياً وبحسب ما سيوجد منها ويقع وجودها في جزء من أجزاء الزمان، يسمّى ذلك الجزء بالمستقبل،، فبطل الثاني، وبطل قولهم، فهو مقدار شئ غير القار. والشيخ الرئيس، نور اللّه ضريحه، نبّه في اشاراته اولاً بوجود الزمان، بقوله: «الحادث بعد ما لم يكن له قبل لم يكن فيه، وليس كقبليّة الواحد على الاثنين التي قد يكون بها ما هو قبل وما هو بعد معاً في حصول الوجود قبليّته قبل لا يثبت مع البعد. ففيه ايضاً تجدد بعديته بعد قبلية باطلة، وليس تلك القبلية نفس العدم، فقد يكون العدم بعد ولا ذات الفاعل. فانّه قد يكون قبل ومع وبعد، فهي شئ آخر لا يزال فيه تجدد وتصرّم على الاتصال. وقد علمت ان مثل هذا الاتصال الذي يوازي الحركات في المقادير، لم يتألّف من غير منقسمات». ثمّ قال في اشارة يلي هذا التنبيه مثبتاً(١) ماهيته: «ولأن التجدد لا يمكن الا مع تغيّر حال. وتغيّر الحال، لا يمكن الاّ الذي قوّة تغيّر حاله، اعني الموضوع. فهذا الاتصال اذا يتعلق بحركة ومتحرك اعني بتغيّر ومتغيّر، لا سيّما ما يمكن فيه ان يتصل ولا ينقطع، وهي الوضعيّة الدوريّة، وهذا الاتصال يحتمل التقدير، فان قبلاً قد يكون ابعد وقبلاً قد يكون اقرب، فهو كمّ مقدّرالتغيّر، وهذا هو الزمان وهو كميّة الحركة، لا من جهة المسافة، بل من جهة التقدّم والتأخّر الذين لا يجتمعان».

هذا كلامه في وجود الزمان. وفيه نظر، لان القول بتعاقب المتجددات والتصرّمات، قول(٢) بتألف الزمان من الآنات المتوالية المتتابعة الموجبة لوجود الجزء الذي لا يتجزى. وذلك لان كل تجدد منها يقع في ان بالضرورة لكونه حادثاً مسبوقاً بالزمان. والقول بعدم وقوعه في آن من الآنات ووقوع غيره من الحوادث الأخر فيه، ترجيح بلا مرجّح.

فان قلتم: اتصال التجددات والتصرّمات عين الزمان فلا يقع كل منها في آن، ليلزم تألّف الزمان منها، كما قاله الفاضل العلامة نصير الدين، نور اللّه ضريح في شرحه.

١- مبينا: ب ، ٢- القول: أ ـ و؛ ساقطة في ب.

قلنا: كونه(١) عين ماهيَّة الزمان ممنوع، والعناية غير كافية في تحقيق الحقايق. وأيضاً القبليَّات والبعديات المتجددة والمتصرمة، لا يتصور فيها الاتصال الا بمعنى التعاقب وعدم انقطاع(٢) بعضها عن بعض. لذلك اخرجوا(٣) بانه غير قار الذات، واطلاق المتصل على(٤) ما يتعاقب اجزاؤه في الوجود مجاز، والماهيّات الحقيقية لا يمكن بيانها بالفاظ مجازية.

ولكون(٥) الحركة متجددة متصرّمة ولا يتصور بينهما اتصال حقيقي، تردد الشيخ في ***الشفاء*** في هذا الموضع، حيث قال: «والزمان هو هذا العدد او المقدار. يعني عدد الحركة ومقدارها»، كما فعله(٦) الفاضل العلامة في شرحه. وايضاً اتصال الانقضاء والتجدد أمر وهمّي، لان الانقضاء انعدام والتجدد(٧) وجود واتصال انعدم جزء من الحركة بوجود جزء آخر منها. انما هو في الوهم. لان العدم ليس شيئاً في الخارج ليتصل بما هو في الخارج. والزمان أمر حقيقي، لكونه(٨) ظرفاً للأمور الحقيقية. فلا يصلح ان يكون مثل هذا الاتصال، ماهيّة الزمان، اللهم الا ان يقال: الزمان هو مقدار متصل في الوهم، حاصلٍ من الحركات المتجددة والمتصرمة، وحينئذ يلزم ان لا يكون الحال والمستقبل زماناً، لعدم حصول تلك الحركات المتجددة والمتصرّمة فيهما. وباعتبار ما يتجدد ويتصرّم من اجزاء الحركة يكون اطلاق اسم الزمان عليهما(٩) مجازاً، ويلزم ان لا يكون موجوداً في الخارج، فلا يكون ظرفاً للحوادث. وان ارادوا بالزمان نفس التجدد والتصرم لا مقدارهما، يكون الزمان عين الحركة، وقد مرَّ جوابه. وان ارادوا به الآن الذي فيه يحصل جزء من الحركة، كما قال صاحب الصحايف ولا معنى للزمان الموجود إلاّ الآن الذي يفعل بسيلانه الزمان ليس من قبيل الكمّ، لا المتّصل ولا المنفصل.

واحتجّ ابو البركات: بانَّ ما يكون في الزمان لا يتصور بقاؤه إلاّ في زمان مستمرّ ومالا يكون في الزمان، لابدّ ان يكون لبقائه أيضاً مقداراً من الزمان، فالزمان مقدار الوجود.

وجوابه: ان الوجود من حيث هو هو، لا يمكن ان يكون له مقدار، لانه لا يتصور الاّ لما له امتداد و(١٠) اجزاء مترتبة قارة او غير قارة، ولا يمكن في الوجود هذا المعنى إلاّ ان يكون المراد مقدار بقاء الوجود. والحق ان الزمان مقدار بقاء الوجود، وذلك

١- قوله : ج، ٢- القطاع: ب ، ٣- صرحوا : ب ، ٤- الى : أ ـ و ، ٥- الكون : و، ٦- نقله : ب ، ٧- ساقطة في ج، ٨- ساقطة في ب ـ ج، ٩- عليها: ج، ١٠- او : ب .

لأن بعض الموجودات مسبوق بالزمان كالحوادث الزمانيّة المعبَّر عنها بالمخلوقات، فانَ لها ابتداء وانتهاء. فقبل ابتدائها زمان لم تكن(١) فيه موجودة، وبعد انتهائها ايضاً زمان هي فيه(٢) معدومة، والبعض الآخر غير مسبوق في الوجود بالزمان، لكنّه يقارن(٣) الزمان، فانه موجود معه في كل آن(٤) يفرض، وكل زمان يتقدّر. المبدعات لكونها ازلية وابديّة. ولاشك ان ازليَّة الآزال وابديّة الآباد، انما هي للوجود الالهي من حيث بقائه السرمدي ودوامه الازلي والابدي، فهي من جملة الحقايق اللازمة للوجود الالهي المتأخرة عنه وحده بالذات. لذلك صار الدهر اسماً من اسمائه تعالى، كما جاء في الحديث النبوي، صلى اللّه عليه وآله «لاتسبّو الدهر، فان الدهر هو اللّه»(٥) وبه يسمى الحق، سبحانه بالاسم الدائم والباقي ودوامه، تعالى، بقاؤه، بعين وجوده لا بامر آخر، يغايره. والحق سبحانه بذاته وجميع اسمائه(٦) وصفاته، متقدم على جميع ما صدر عنه من الموجودات. فوجب ان تكون هذه الحقيقة المسمّاة بالزمان في العرف متقدمة بالذات على العقول والنفوس والاجسام الفلكية وغيرها. فلا يكون جوهراً من الجواهر الروحانية، ولا جوهراً من الجواهر الجسمانية، فضلاً ان يكون من لوازمها، كالحركة، اومقدارها، لتعلّقها بالذات على جميعها. فالمبدعات باسرها مسبوقة بتلك الحقيقة الزمانية لا بوجود(٧)، فانها مع(٨) الموجود، كما ان الحق سبحانه سابق بذاته على جميع اسمائه وصفاته ومعلولاته الروحانية والجسمانية سبقاً ذاتياً، مع ان الاسماء والصفات وجميع المبدعات مع الحق في الوجود، وكذلك بعض الصفات متقدمة بالذات على البعض، كالحياة المتقدمة بالذات على العلم وهو على الارادة.

اذ العلم لا يتصور وجوده الاّ بعد الحياة ولايتصور(٩) الارادة الاّ بعد العلم، مع انهما في الوجود معاً ولكون(١٠) حقيقته عين بقاء الوجود ودوامه صارظاهراً الأنيّة وخفى الماهية، اذ الوجود اظهر من كل شئ آنيَّة واخفى من جميع الاشياء ماهية، فمقداره كذلك. فالزمان حقيقته عرضيّة لازمة للذات الالهية فائضة منها ليتقدر بها مدة وجود الموجودات، مبدعاتها ومخلوقاتها، وبحسب الوجود كمٌ متصل مستمر قائم بعين الوجود الخارجي يفرض فيه الآنات المتوالية المتعاقبة التي يحصل فيها الكون والفساد.

١- يكن : ب ، ٢- فيها : ج ، ٣- لا يقارن : ب ، ٤- ساقطة في ب ، ٥- احمد بن حنبل : ٥ . ٢٩٩، ٣١١، ٦- أجزائه : ب. ج ، ٧- لوجودها: ب ، ٨- معها في الوجود : ب ، ٩- ساقطة في ج، ١٠- يكون : ج .

لا يقال: لكان(١) لو كان الزمان مقدار بقاء الوجود، لزم الدور؛ اذ البقاء عبارة عن ثبوت الشئ في الحالة الثانية بعد ثبوته في الحالة الاولى، فيكون البقاء متوقفاً على الزمان، فلو كان الزمان مقداراً له، لتوقف(٢) عليه ولزم الدور.

لانا نقول: بقاء كل شئ عين(٣) الوجود عبارة عن ثبوته في الزمان الثاني بعد ثبوته في الزمان الاول، وبقاء الوجود عبارة عن امتداده وثبوته بنفس الوجود، لا باعتبار الزمان. والاّ لزم قيام الوجود وثبوته بالزمان. والوجود(٤) من حيث هو هو، قائم بذاته باق بنفسه غير محتاج في الحقيقة الى أمر آخر غير ذاته، فمقدار بقائه ايضاً كذلك. وقد بيّنا ذلك في مقدمات ***شرح الفصوص***، فلتطلب هناك. والله اعلم.

الفصل الثاني في وجود الزمان وكونه ازلياً وابدياً وبيان وجه صواب كل قول فيه ووجه خطائه(٥)

لما تقرر ان الزمان هو مقدار بقاء الوجود ودوامه، وبقاء الوجود ودوامه، صفة ثبوتية لازمة للوجود المطلق، بل هو عينه في الحقيقة الاحدية، وجب ان يكون امراً موجوداً في الخارج. وانما قلنا عينه في الحقيقة الاحدية، لان الوجود باق متحقق بذاته لا بصفة زائدة على ذاته، والاّ يكون في تحققه وبقائه محتاجاً الى غيره، فيلزم الدور. اذ كل ما هو غير الوجود لا يتحقق(٦) في الخارج ولا في الذهن ولا يقوم فيهما الا بالوجود.

فان قلت: يلزم من هذا القول انه لا يكون صفة ثبوتية للوجود بل عينه.

قلت: كونه(٧) صفة(٨) ثبوتية، انما هو بحسب المفهوم الخاص المتميز(٩) عن مفهوم الوجود باقي(١٠) صفاته في العقل وكونه عين الوجود باعتبار(١١) رجوعه اليه في الوجود الخارجي. وكذلك جميع الصفات الثبوتية فانها عين الوجود في الخارج. وان كانت غيره في العقل، وهذا الموجود المسمى بالزمان في العرف ازلي وابدي. اذ ازلية ما هوازلي وابدية ما هو ابدي به، فهو اولى(١٢) بذلك ولكونه ظاهر الوجود والتحقق في الخارج، قيل فيه انه بديهي، وكونه راجعاً الى الوجود المتجلي للباطن، اوجب ان يذهب اليه قوم من القدماء الى انه جوهر غير جسم ولا جسماني، واجب

١- ساقطة في ب، ٢- ليتوقف : ج، ٣- غير : ب ، ٤- ساقطة في ج، ٥- خطئه : و ، ٦- تحقق : أ- ج، ٧- صفة : ج، ٨- كونه :ج ، ٩- المستمر : ج، ١٠- باق : أ- ج-و، ١١- ساقطة في ج، ١٢- ازلي : أ-و

بذاته، وهو حق من حيث رجوعه الى حقيقة الوجود القائم بذاته، وان كان باطلاً من حيث مفهومه الخاص اللازم للوجود، فان بقاء الوجود عرض من اعراضه. اذ به يتميز الاسم الدائم الباقي عن غيره من الاسماء. كذلك من امعن النظر يجد باقي المذاهب المذكورة فيه، ايضاً حقاً من وجه و(١)ان كان باطلاً من وجه آخر. فانه من حيث انه معنى من المعاني اللازمة الموجودة ليس شيئاً من هذه الاحوال(٢) المذكورة، واما من حيث ان(٣) هذه المعاني كلها يستدعي مظهراً به يظهر في الموجود العيني، فذلك المظهر ان كان عرضاً، فلابد ان يستدعي موضوعاً يقوم به. فهو مظهر ذلك العرض الذي هو مظهر ذلك المعنى، فهو اولى بمظهريته، واليه ذهب من ذهب الى انه عين فلك المعدل، فان حركته لا تقوم ولا تظهر الا به. ومن ذهب الى انه عين الحركة او مقدارها فينظر(٤) الى السبب القريب لظهور ذلك المعنى وهو الحركة او(٥) مقدارها، وانما ذهبوا الى انه عين الفلك(٦) المعدل او عين(٧) حركته او مقداره ما دون غيره من الافلاك وحركاتها؛ لأنه بالحركة القيومية تقدر مدة بقاء الموجودات في الحساب، كما قال الله تعالى؛ ﴿ وجعل الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهارمبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾(٨) ولكون البقاء معنى من المعاني التي(٩) لا اعيان لها في الخارج.

وذهب قوم من الاولين الى ان الزمان ليس موجوداً الاّ في العقل، وظروف الحوادث ليست(١٠) الا وجود الحوادث الأخر كما يقال « جئت عند طلوع الشمس، وذهبت عند غروبها وكتبت بالنهار وشربت بالليل » وطلوع الشمس وغروبها، والليل والنهار حوادث تلحق وجود الشمس، اما الطلوع والغروب فظاهر بأنّه من عوارض الشمس؛ واما(١١) الليل والنهار، فلكون النهار عبارة عن مقدار كون الشمس فوق الافق، والليل عبارة عن مقدار كون الشمس تحت الافق، هكذا من تتبع مواضع الاستعمالات ومثل هذه القضايا، يعلم ذلك، ومن هنا ايضاً يعلم انه ليس شيئاً آخر غير الوجود ودوامه. والله اعلم بالحقايق.

١- ساقطة في ب. ج ، ٢- أقوال : ب ، ٣- ساقطة في ج، ٤- فنظره : ب. ج ، ٥- و: ج ، ٦- ذلك : ب ، ٧- ساقطة في ج ، ٨- الاسراء: ١٢، ٩- ساقطة في ب. ج ، ١٠- ليس : ب. ج ، ١١- لا : ج

الفصل الثالث في انقسامه الى الآن والساعة واليوم وغير ذلك

اعلم: ان بقاء الوجود ودوامه، لكونه امراً مقدارياً مستمراً غير منقطع، لا بداية له ولا نهاية، قابل للقسمة الغير المتناهية. وتلك القسمة قد تكون في الوهم وقد تكون في الخارج. الاول، كانقسامه بالآنات المفروضة؛ والثاني ينقسم الى ما يمكن الاحساس به والى ما لا يمكن ذلك لقلّته(١) وصغره(٢). والاول كالساعة والجمعة وغير ذلك، والثاني كالآن الذي فيه يقع كل من أجزاء الحركة. فانها امور موجودة مستدعية لما يقع فيه من هذا المقدار الوجودي، وهو الآن الذي يتوهّم فيه انه يفعل بسيلانه الزمان، ليلزم تركبه من الآنات المتوالية المتتابعة(٣)، ولعدم الاحساس به. قال بعض الحكماء انه لا وجود له إلا في الوهم. والحق انه موجود متعين باعتبار ما يقع فيه من الكون والفساد، فان كل جزء الحركة مثلاً منطبق بآن واحد، وظروف الموجود، لا يمكن ان يكون معدوماً وايضاً الآن بعض ذلك الامر المستمر الوجود(٤) وبعض الموجود، لابدّ ان يكون موجوداً.

فان قلت: يلزم ان تكون الآنات المفروضة ايضاً اموراً موجودة، لأنها اجزاء الشئ الموجود، وهو المقدار الوجودي على ما ذهبتم اليه، فتبطل القسمة بالفرض(٥) والخارج.

قلنا: لاشكّ، ان المقدار المتصل المستمر للموجود(٦)، اذا فرض له اجزاء يعرض له اعتباران: اعتبار بعض ذلك المقدّر المتصل لنفسه من غير اعتبار الجزئية(٧) معه، واعتباره من الجزئية(٨). والاول لاشك في وجوده، لان(٩) بعض الموجود موجود؛ واما باعتبار الجزئية الفرضية الغير الواقعة في الخارج او(١٠) المتقدمة بعد وقوعها فيه، ولاشك انه في الوهم فقط، لعدم عروض ذلك التعين له بعد، او لانعدامه بعد عروضه له، كما ان القطرة من الماء عند كونها متصلة بالبحر موجودة، لكن لا(١١) باعتبار ما يجعلها قطرة وهو التعين الشخصي لها، بل باعتبار كونها ماء موجوداً في الخارج؛ واما باعتبار ما سيجعله قطرة، ليست موجودة إلاّ في الوهم، لعدم عروض ذلك التعين لها بعد، او(١٢) لإنعدامه بعد عروضه(١٣) واطلاق القطرة عليه مجازاً،

١- لعلته: ب ، ٢- صورة : ج ؛ صورة : ب ٣- المتناهية: ج ، ٤- الموجود: ب، ٥- بالفرضى والخارجى : ب ، ٦- للوجود: ج ، ٧- الجزء : و ، ٨- الحركة: ج ، ٩- لانه: ب، ١٠- و : ب ـ ج، ١١- ساقطة في ب ـ ج، ١٢- ساقطة في ب ـ ج ، ١٣- عروض : ج .

اما باعتبار ما يصير قطرة او باعتبار ما كان، واما باعتبار عروضه(١) لها، فتصير باعتبار الجزئية ايضا معها موجودة في الخارج.

فان قلت: الشئ الواحد الذي لا يمكن ان ينفصل(٢) بعضه عن بعض، كيف يتصوّر فيه الانقسام بالفعل، ليكون له اجزاء موجودة كالقطرات؟

قلنا: عروض التعيّن للآن الموجودة انما هو بانطباقه لجزء من الحركة الموجودة او كون او فساد، فتعيّن بانطباقه على متعيّن. وقولنا موجود في الخارج، هو بهذا الاعتبار لا غير. ولا يلزم ان يكون الانقسام بانفصال و(٣) انقطاع بعضها عن بعض، الا ترى كيف ينقسم الفلك بواسطة الكواكب الثابتة فيه، الى البروج الاثني عشر، مع انّ بعضه غير منفصل(٤) عن البعض، وكذلك سطح الارض ينقسم الى اراض مختلفة بواسطة اختلاف الاعراض الحاصلة فيها، مع عدم الانقطاع. فكذلك هو الامر المتسمّر المتّصل يتعيّن بتعينات ما يقع فيه، فيحصل الانقسام وبعد ان تقرّر(٥) هذا؛ فنقول: المقدار الذي يمكن الاحساس به اقلّه لحظة من الزمان واكثره لا نهاية له، وهذا المقدار المحسوس، وان كانت سبب تعيّنه حركة فلك معدل النهار، لكن سببه القريب حركة فلك النيّرين، ارادتهما وقسرتهما، اذ بسيرهما يتعين اليوم والليل؛ وبارادتهما(٦) يتعين الشهر والسنة؛ وبالسنة تتعيّن الايام الكبار الالهية والربانية. وسيأتي بيانهما في الفصل الرابع، ا ن شاء اللّه تعالى.

فكما ان الحركة تعيّنه وتجعله يوماً وجمعة وشهراً وسنة، كذلك وجود الحوادث وعدمها يعيّنه ويجعله ماضياً ومستقبلاً وحالاً. اذ المقدار الوجودي الذي كان قبل وجود هذا الحادث هو(٧) المسمى بالماضي، وما يتبع وجود هذا الحادث فيه هو المستقبل، وما هو مقارن لوجود الحوادث هو الحال. وهو في نفسه لا(٨)ماضي ولا مستقبل ولا حال، بل هذه الامور ملحقة بالنسبة الى وجود الحادث وعدمه، كما بيّنا في الفصل الاول.

فانقسامه اليها، ليس ذاتياً بل عرضياً، وكذلك ينقسم بالازل والابد والدهر. اذ المقدار الذي هو قبل وجود الحادث المسمى بالماضي، اذا اعتبر(٩) بحيث لا اول له يسمى بالازل، وما هو بعد وجود الحادث المسمى بالمستقبل، اذا اعتبر بحيث لا

١- عروضها : ب ، ٢- يفصل : ب ؛ انفصال : ج، ٣- ساقطة في ج ، ٤- متفصل: و ، ٥- يقرر: ب ، ٦- بهما : ج ، ٧- ساقطة في ج ، ٨- ساقطة في ب ،٩- اعتبرت : ب .

نهاية له، يسمّى بالأبد، واذا اعتبر الازل والأبد جميعاً بحيث لا فاصل بينهما يسمى بالدهر، ولكون هذا المقدار دائمياً غير منقطع الاول والآخر يسمّى بالسرمدي، قال اللّه تعالى «قل ارايتم ان جعل اللّه عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير اللّه يأتيكم بضياء افلا تسمعون»(١)، وبعضهم يريد بالدهر النسبة التي بين الامر الثابت ازلاً وابداً الى هذا المقدار الذي يسمى بالأزل والابد، وبالسرمدي يريد نسبة الثابت الى الثابت الواقعي في هذا المقدار الذي يسمى بالزمان معاً. ولا نزاع في الاصطلاح. واللّه اعلم.

الفصل الرابع في بيان الايام الكبار الالهيّة والربانيّة والصغار والكونية

اعلم: ان المقدار الوجودي المستمر المتصل الذي لا بداية له ولا نهاية له، قد مرّ انه ينقسم بحسب الحوادث الواقعة فيه الى الايام والجمع والشهور والسنين، ليعلم بها مدّة بقاء الموجودات الكونية ويتميز بها مدة بقاء وجود المخلوقات التي هي(٢) مسبوقة بالزمان عن مدة بقاء وجود المبدعات التي هي غير مسبوقة به بحسب الوجود. واليوم يطلق في العرف الشرعي واصحاب الحقيقة من اهل اللّه واصحاب الكشف والوجود الى مدة مقدارها خمسون الف سنة من السنين المعهودة(٣) كما قال الله تعالى: «تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبراً جميلاً»(٤). وانما امر بالصبر الجميل لبعده وكثرة مُدّته بالنسبة الى اعمارنا القليلة، واما بالنسبة الى وجوده تعالى، فالسنون(٥) المركّبة من هذه الايام الكبار الالهية(٦) لا تحصى كثرة ولا يحيط بها الا سرّ اللّه، شئ قليل ومدة يسيرة قريبة الحصول، لذلك قال اللّه تعالى: «انهم يرونه بعيداً ونريه قريباً»(٧) قال الحكيم السنائي، قدس سرّه، بالفارسية مخاطباً بالحق تعالى:

با وجودت ازل پریر آمد ، پگه آمد اگر چه دیر آمد.

وهو اليوم الالهي(٨) اي اليوم الذي يتعلق باسم اللّه من حيث ظهور احكامه في الآخرة، لذلك صار من ايام القيامة(٩) الكبرى، وهو مشتمل على ايام المواقف الخمسين التي توقف فيها الخلايق في الفصل والقضاء، ويوم كل موقف مدته الف

١- القصص: ٧١، ٢- ساقطة في ج ٣- المعدودة: أ. و، ٤- المعارج: ٤-٥، ٥- السنون: ب - ج، ٦- الازليه: ج، ٧-المعارج: ٦-٧، ٧- ساقطة في ج، ٨- القيمة: ب.

سنة من السنين المعهودة، كما روى امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجه عن سيدّ البشر محمد، صلى الله عليه واله وسلّم: «ان في يوم القيامة لخمسين موقفاً، مدّة كل موقف منها الف سنة»(١) وهو اليوم الذي مقداره خمسون الف سنة. وقد اورد الحديث بتمامه الشيخ المحقق خاتم(٢) الولاية المحمدية، محيي الملّة والدين، قدس سرّه، في ***الفتوحات*** في الباب الثالث والستين في بيان القيامة والبعث. وقد يطلق ايضاً على(٣) مدة مقدارها، الف سنة مما تعدون، قال تعالى: «وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون»(٤) وهو اليوم الرباني الداخل تحت اليوم الالهي؛ لذلك قال الله تعالى «عند ربك»، وجاء باسم الرب، ولكون هذا الاسم تحت حيطة اسم الله تابعاً له، كما قال الله، تعالى «الحمد لله رب العالمين»(٥) فجعل الرب تابعاً لاسم الله، صارت ايامه ايضاً داخلة(٦) في الايام الالهية او عادة لها(٧)، فظهور القيامة الكبرى وما يقع فيها من احوال الآخرة، انما هو في هذه الايام، وفيها اسرار اُخر، لا يتحمل المقام بيانها، بل حرم كشفها.

ووجب سترها الى ظهور الخاتم للولاية العامة، فان اظهارها يتعلق بمرتبته، وعلى هذا يكون اسبوعه (٨) سبعة آلاف سنة، شهره ثلاثين الفاً من السنين المعهودة وسنته ثلاثمأة الف وستين الفاً منها. وقس عليه اسبوع اليوم الالهي وشهره وسنته، ليظهر لك الاحقاب المشاراليه بقوله تعالى: «لابثين فيها احقاباً»(٩)، فيحد اسبوع الايام الالهي بثلاثمائه الف وخمسين الف سنة، وشهره الف الف واربعمأة الف سنة، وسنته ستة عشر الف الف عام وثمانية(١٠) الف عام؛ ويطلق اليوم أيضاً على هذه(١١) كل دورة من(١٢) دورات الافلاك، كبارها وصغارها، كما ذكر الشيخ المحقّق، قدس سره، في الجلد الاول من ***الفتوحات***. فدورة الفلك الاطلس التي هي في اليوم والليل يوم. ودورة فلك الثوابت التي مدّتها اربعة وعشرون الف سنة وشئ منه يوم. وكذلك دورة الزحل والمشتري والشمس وغيرها، يطلق عليها اليوم، واصغر الايام هو الآن، قال رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلّم «في ايّام الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ويوم كايّامنا هذه ويوم طرفة العين»(١٣) يعني الآن، وقال الله تعالى «كل يوم هو في شأن»(١٤) اي كل آن هو في شأن، لان لله تعالى في كل آن شأن

١-ابن العربي : الفتوحات، ف ٤٦١٣؛ ج ٤/ص : ٤٣٨٠، ٢-وارث: ج ، ٣- الى :ب ، ٤- الحاج: ٤٧، ٥- الفاتحة : ١، ٦- داخل : ب ، ٧-علة : ج ، ٨- جميعه : ج ، ٩- ساقطة في ج النبأ: ٢٣، ١٠- ثانية: ج، ١١- مدة : ب ، ١٢-٧ عن : ج، ١٣- ابن العربي : الفتوحات ؛ ف ٤٦٤٠. ج ٤، ص ٣٣٧٠، ١٤- الرحمن : ٢٩

يظهر من الغيب الى الشهادة، وشأن يدخل من الشهادة الى الغيب، وهذه اليوم الذي خلق الله تعالى فيه السموات والارض، كما قال الله تعالى: «خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش».(١)

اذ وجود كل موجود، لا يكون إلاّ في آن واحد من الآنات، سواء كان ذلك الموجود مبدعاً او مخلوقاً سماءً او ارضاً. ومن عرف هذا المعنى خلص من الشبهة الباطلة(٢) والاوهام الواقعة عند حمل اليوم الذي من الآية على غيره من الايام والكواكب السبعة بحسب سلطان الكلّ منها، فظهور احكامه في عالم الكون والفساد. ودورات كل دورة منها مقدار الف سنة، وهذا(٣) الالف الذي نحن فيه دورة(٤) القمر. وكل الف من هذه الآلاف السبعة التي هي مدة(٥) الدورات السبعة يوم، وقد شاع وذاع بين اهل العالم انّ من ظهور آدم ابي البشر، عليه السلام، الى آخر هذه الاف سبعة ألف سنة وظهوره يكون في دورة(٦) زحل، لذلك كان اعمار اولاده القريبة منه قريباً من الف سنة واعمارنا الواقعة في دورة(٧) قمر شيئاً قليلاً، قلّ من يصل عمره(٨) الى مأة سنة، فمدة دور آدم عليه السلام واولاده سبعة الف سنة، فهي اسبوع واحد بالنسبة الى الايام الربانية. فاذا كمل هذه الاسبوع، ينقطع النسل(٩) الانساني، كما قال عنه خاتم الولاية المحمدية في كتابه المسمّى بالفصوص، وعلى قدم شيث يكون آخر مولود من هذا النوع الانساني، وهو حامل اسراره، وليس بعده ولد من هذا النوع، فهو خاتم الاولاد وتولد معه اخت له فتخرج قبله ويخرج بعدها يكون رأسه عند رجليها ويكون مولده بالصين ولغته لغة بلده، ويسرى العقم بين(١٠) الرجل والنساء، فيكثر النكاح من غير ولادة ويدعوهم الى الله، فلا يجاب. فاذا قبضه الله وقبض مؤمني زمانه، بقي من بقي مثل ا لبهائم لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً، يتصرفون بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع، فعليهم تقوم الساعة. وقد بيّنا ما يتعين به في العالم الكبير والصغير الانساني(١١) في شرحنا لهذا الكتاب، وهذا المعنى مذكور في فتوحاته في مواضع كثيرة، اوردناه في هذا الشرح.

١- الحديد : ٤، ٢- الباطل: ب. ج ٣- هذه : ب ، ٤- دور : ب ، ٥- هذه : ج ، ٦-دور :أ. و ، ٧- دور : أ. و ، ٨- ساقطة في ج ، ٩- نسل : ج. ١٠- ابن العربي : الفتوحات ، ف. ٤٦٤، ج ٤، ص ٣٣٨٠، ١٣- الانسان : ب. ج.

وقال في ***فتوحاته المكية*** في الباب الحادي والثمانين وثلاثمائة: «انّى شاهدت في بعض المشاهد اني (١) كنت اطوف بالكعبة وجماعة كانوا يطوفون بها(٢) لا اعرفهم، فانشدوا بيتين غاب الواحد وبقي الآخر، وهو هذا البيت:

لقد طفنا كما طفتم سبقنا بهذا البيت طراً اجمعينا.

فنظرت(٣) الى واحد منهم وقلت: من انت؟ فقال: انا من جملة اجدادك. فقلت: كم يكون لك(٤) منذ سنة توفّيت؟ قال: بضع واربعون الف سنة. فقلت: وليس لآدم هذا العدد فانه من آدم سبعة الاف سنة ما كملت بعد. فقال «عن اي آدم تقول؟ عن هذا الذي كان قريباً منكم، الذي ظهر في اول هذه السبعة آلاف؟ فتذكرّت ما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «خلق مائة الف آدم»(٥)، هذا مع ان الدنيا حادثة، لابدّ من افنائها». هذا كلامه، رضي اللّه عنه.

فمعنى هذا يمكن ان يبتدي في ابتداء كل دورة منها وجود العالم الانساني، وينقضي الى ان تقوم الساعة ويحشر الجميع دفعة واحدة، كما قال اللّه تعالى: «قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم»(٦)، ويؤيد هذا المعنى ما وجد مكتوباً في قبّة هرمان: بني الهرمان والنسر الطاير في السرطان، وهو في هذا الزمان في الجدي، فتكون مدة بناؤه اثني عشر الف سنة وشيئاً تقريباً الى(٧) مقدار ان تقوم الساعة ويحشر الجميع دفعة واحدة. وها هنا اسرار اخر لا يحتمل المقام بيانها ولا الافهام اعلانها. واللّه اعلم بحقايق الأمور واسرارها.

تم..

***

١- ساقطة في ج، ٢- ساقطة في ب. ج، ٣- فنظر: ب ٤- ساقطة في ج، ٥- لم أجد له أصلاً، ٦- الواقعة: ٤٩، ٧- ساقطة في ب. ج.

تحقيق ماء الحياة
وكشف أسرار الظلمات

تحقيق ماء الحياة وكشف أسرار الظلمات

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

الحمد لله الغني الأحد الصمد بالذات، الواحد الفرد المنعوت بجميع الاسماء والصفات، المتجلي للظاهر في كل المراتب والحضرات، المحيي قلوب العارفين بماء الحياة في عين الظلمات، المعيد للأرواح المحبوبين بالموت الارادي الى ينبوع الحياة، الباعث لأنبيائه المخصوصين بالتأيد والمعجزات، الهادي لأوليائه بأنواع الشوق والتحيات.

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله أفضل الصلوات وأكمل التحيات ورضوان اللّه على اصحابه الواصلين الى اعلى الدرجات، الظاهرين بأقوى الحجج والبينات السالكين طريق الوحدة في عين الكثرة(١)، الفائزين بأرفع المقامات وأنزه الجنات.

وبعد: يقول العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف، داود بن محمود بن محمد القيصري غفر اللّه له ولوالديه بالمغفرة الكبرى.

لما رأيت اختلاف العلماء رحمهم اللّه ورضي عنهم، في أحوال الخضر عليه السلام: هل هو نبي أو وليّ؟ وهل هو اليوم موجود في الخارج أم لا؟ وكان مذهب اكثرهم على أنه موجود دائماً في الخارج مع بدنه العنصري لشربه ماء الحياة التي في الظلمات، وذهب الأقلون الى أنه نبي وليس اليوم موجود في الخارج مشخصاً، إلاّ أنّ مقلديهم توهموا أن تلك الظلمات المذكورة في الاخبار والروايات(٢) هي من جنس هذه الظلمات المحسوسة، وذلك الماء من جنس هذا الماء العنصري في كونه جسماً يشرب، الاّ أن له هذه الخصوصية. وكان لكلّ منهم(٣) وجه من وجوه الحق.

وجرى(٤) هذا البحث بين يدي المولى الاعظم والسيد الأعلم بعلم الفتوى والتقوى، الرشد والهدى، أفضل علماء المتأخرين، قدوة العرفاء والكاشفين، شمس سماء الحقيقة، منور قلوب أهل الطريق، المعاين للأعيان بالنور الالهي، المشاهد للأشياء كما هي، شمس الملة والحق والدين، محمد الصيرافي الجيلي، أدام اللّه بركة فتواه على الطالبين وانجحه على من طالبه في الدنيا والدين، وذكرت فيه بعض ما كان

١- اكثرات: ن، ٢- ساقطة في ب، ٣- ساقطة في ب، ٤- ساقطة في ب.

عندي من الاسرار التي أشير اليها بهذه العبارات، ولم اتمكن في ذلك المجلس من تمام تحقيق تلك الاشارات، وكان الشروع في تقريره ملزماً للاتمام والخوض في تحقيقه موجباً لاتمام الكلام، ليتم الفائدة على الطالبين، ويكمل الفائدة للمسترشدين. سنح لي أن أكتب فيه ما يشفي الصدور وأبين به كلّ ما فيه من الرموز والمستور عرضا(١) بين يديه وان كان نوعاً من سوء الادب بالنسبة اليه. فشرعت في بيانه مستعيناً بالحق خالق الخلق وملهم الصواب والصدق.

وذكرت قبل الشروع في المقصود، مقدمات تبين منها تحقيقه ويتوقف عليها تصديقه. الأولى في النبوة والولاية، والثانية في بيان ماء الحياة، والثالثة في تحقيق الظلمات، والرابعة في كيفية(٢) السلوك فيها.

اذ كل من عرف هذه ا المعاني يعرف يقينا مقام الخضر، المذكور المباني، وينكشف اسراره عليه، ويظهر أنواره لديه ويكون له حظاً من الحياة الحقيقية، ويبقى باقياً في الدهور السرمدية.

وسميته ***بتحقيق ماء الحياة وكشف أسرار***(٣) ***الظلمات*** ليكون الاسم مطابقاً لمسماه، والعلم موافقاً لمعناه، ولما(٤) نجز تحريره وختم تقريره، شرفته بالقاب الصدر الاعظم المولى المعظم، أقضى قضاة العالم، حاوي الشيم الشريفة، مجمع الاخلاق اللطيفة الموفق بتوفيق اللّه وهدايته، المؤيد بعون اللّه وعنايته، المشرف لمسند القضاء بنفسه وانابه، المزين لمجلس الشرع بحكمه وقضائه، فخر الملة والحق الدين محمود بن القاضي المرحوم المغفور له قوام الحق والدين محمد بن المولى الأعظم أقضى القضاة في العالمين ضياء الملة والدين عبد العزيز، نوراللّه ضريح السلف وضاعف معاني الخلف، اداءً لبعض حقوقهم علي بالذكر الجميل وجزاء للأيادي السابقة منهم الي بالشكر الجزيل، جزاهم اللّه عنا خير الجزاء ورضي عنهم وعنا يوم اللقاء، اذ كان حاضرا في مجلس البحث والتحقيق وناظرا الى أن الكلامين أيهما أحق بالقبول والتصديق. ولا حول ولا قوة إلا باللّه هو المستعان وعليه التكلان.

١- ساقطة في ب، ٢- تحقيق : ب ، ٣- استار : ب ، ٤- ساقطة في ب .

المقدمة الأولى في النبوة والولاية

اعلم أن النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر أو من النبوّ(١) وهو الامتناع (٢) اذ كلا المعنيين موجود في النبي، لانه يخبر عن الأخبارات الرحمانية وخصائصها ويمتنع عن الالقآت(٣) الشيطانية و وساوسها.

وفي الاصطلاح عبارة(٤) عما يوحي اليه من الأحكام الشرعية والمعاني الغيبية المتعلقة بالظاهر بالامر الالهي، فالنبي هو المخبر عن الذات الالهية والصفات الذاتية والمعاني الغيبية والأحكام الشرعية. يأمره الله تعالى ارشاداً للخلق الى الكمال المقدر لهم في الأزل، وهو قد يكون مشرعاً كأولي العزم من الرسل، وقد لا يكون كأنبياء بني اسرائيل التابعين لشريعة موسى عليهم الصلاة والسلام. والنبوة اختصاص من الله في حق(٥) العبد(٦) المؤيد بتأيد الله وتوفيقه بقابليته التي لعينه الثابتة في العلم الأزلي.

والولاية مأخوذة من الولي، وهو القرب؛ وفي الاصطلاح، ما به يحصل القرب من الحق والتخلق بالاخلاق الالهية. وهي تنقسم الى العامة والخاصة. والعامة شاملة لكل من آمن وعمل صالحاً؛ قال الله تعالى: «ولي الذين آمنوا...»(٧) الآية. والثانية مختصة(٨) بمن فني في الله وبقي به. فالولي هو الفاني عن الصفات البشرية، الباقي بالاتصاف بالصفات الالهية. والنبوة من الاسم الظاهر والولاية من الباطن. فالولاية باطن النبوة وهي ظاهرها. لذلك كان كل نبي ولياً دون العكس. ولما كان النبي من حيث ولايته المتعلقة بالباطن، آخذاً من الله تعالى ما يطلبه استعداده، ومن حيث نبوته المتعلقة بالظاهر مبلغاً لأمته. كان النبي أشرف من الولي الذي لا نبوة له؛ وان(٩) كانت جهة ولاية النبي أشرف من جهة نبوته، اذ جهة ولايته الى الحق وجهة نبوته الى الخلق. فكل من النبي والولي آخذ(١٠) للمعاني الغيبية عن الحضرة الالهية بواسطة او بلا واسطة مخبر(١١) عنها للمؤمنين به الاّ أن النبي مبعوث للتبليغ، مأمور بالاخبار، محكوم عليه في كل ما يأمر(١٢) به أو ينهي عنه. قال تعالى: «يا أيها النبي بلغ ما انزل اليك»(١٣)؛ وقال: «ما عليك الاّ البلاغ إن أنت الاّ نذير»(١٤) بخلاف الولي. وبهذا يتميز النبي عن الولي. ويجب عليه متابعة النبي من حيث الظاهر، سواء

١- النبوة: ب ، ٢- الارتفاع: ب ، ٣- الانات: ب ، ٤- ساقطة في ن ، ٥- عبد : ب ، ٦- الحق : ب ، ٧- فاطر : ٣٥ ، ٨- ساقطة في ب، ٩- ساقطة في ب ، ١٠- ماخذ: ب ،١١- فاخبر: ب ، ١٢- مأمر : ب ، ١٣- آل عمران : ٣، ١٤ -الرعد: ١٣.

كان من أكابر الأولياء الآخذين من اللّه ما يأخذه النبي أو لم يكن؛ ومن الأولياء من لا يمكن خلو زمان من الأزمنة منهم الى يوم القيامة من غير زيادة ولا نقصان، كالقطب والإمامين الاوتاد(١) والأربعة والبدلاء(٢) السبعة المدبرين للأقاليم السبعة وغيرهم الى ثلثمائة وستين. وقد بين الشيخ رضي الله عنه في فتوحاته على التفصيل وذكر مراتبهم بأسرارها. وإنما أوردنا منها ما هو الأهم في المقصود من الكلام وأعرضنا عن غيره من التطويل في التمام واللّه هو الملك العلام.

المقدمة الثانية في بيان ماء الحياة

اعلم أن الماء لغة يطلق على الجوهر المحسوس البالغ في السيلان، وقد يطلق ويراد به العلم، كما فسر ابن عباس رضي اللّه عنه، قوله تعالى «وأنزلنا من السماء ماء»(٣) أي علما، وقد يطلق ايضاً او يراد به الهيولي الكلية المسماة بلسان أهل اللّه بالنفس الرحماني من حيث وقوع صور الحروف والكلمات الالهية عليها، كماتقع صور الحروف والكلمات(٤) الانسانية على النفس عند مرورها على مخارج الحروف. قال تعالى: «وكان عرشه على الماء»(٥) والعرش هو الملك. ولا شك أن صور عالم الملك، بل عالم الملكوت ايضاً كلها حاصلة على الجوهر الهيولاني القابل(٦) للصور كلها. وان قلنا: إن العرش هو الفلك الأطلس الذي فوق الكرسي الذي فوق السموات السبع وكرة النار والهواء الذي على الماء، لا ينافي ما ذكرناه، لأن صورة هذا الماء ايضاً على ذلك الجوهر(٧) الهيولاني. وبسريانه في جميع الأشياء سرت(٨) الحياة فيها، لاكتساب ذلك الجوهر من الحضرة الرحمانية التي هي أصل الحياة الحقيقية حياة حقيقة، كما يكتسب النفس من المتنفس أموراً معنوية وصورية، ولذلك كان رسول اللّه صلى عليه وسلم ومبايعوه من الصحابة والتابعين وباقي الأولياء والصالحين، رضي اللّه عنهم أجمعين، ينفثون عقب الدعاء على أصحاب الأمراض. ويؤيد ما ذكرناه(٩) من أن المراد بالماء(١٠) في قوله: «وكان عرشه على الماء» هو الجوهر الهيولاني، اطلاق البحر عليه في قوله تعالى: «والبحر المسجور»(١١) اي المملؤ، اذ الهيولي(١٢) المملؤ بصور الاشياء كلها بحيث لا يمكن خلو شئ منها عن الصورة.

١- ساقطة في ن ، ٢- ساقطة في ب ، ٣- المؤمنون: ١٨، ٤- ساقطة في ب، ٥- هو د: ٦- الحامل: ن ٧- الجوهري : ب ، ٨- سريان: ب ، ٩- ذكرنا: ن ، ١٠- من الماء : ب ، ١١- الطور: ٦ ، ١٢- الهيولا: ب.

فماء الحياة الحقيقية هي(١) العلم اللدني الذي يفيض من حضرة العليم(٢) الخبير على النفوس القدسية الطاهرة عن الكدرات البشرية الجامعة(٣) الكاشفة(٤) عن الحجب الظلمانية والنورانية، ولا يظن أن هذا الجوهر السيّال(٥) أو جوهراً من الجوهر يكون خالياً عن(٦) الحياة. اذ كل ما له وجود في الخارج له نوع من الحياة، كما بينا في مقدمات *شرح الفصوص*. غاية ما في الباب أنها تظهر عند وجود اعتدال حيواني(٧) وتختفي عند عدمه. وخفاؤها لا يوجب عدمها مطلقاً. لذلك قال تعالى: «سبح لله ما في السموات وما في الارض»(٨)؛ وقال: «وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»(٩). والمخاطبون هم المحجوبون عن الحق وأسراره، والوجود وأنوراه الظاهرة في عوالمه المتميزة بعضها عن بعض. وأما المكاشفون الذين حصلت(١٠) لهم الحياة الحقيقية وتنورت بواطنهم يشاهدون الموجودات كلها حية مسبحة. قال ابن مسعود رضي اللّه عنه «كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه». والمسبح لا يكون الاّ حياً. قال شيخنا رضي اللّه عنه: «من غدا(١١) باطنه حيا يرى كلّ شئ من موات الكون حيّاً».

وما يعرف بتحقيق هذا المعنى إلاّ من يعرف أن للحياة مراتب حسيّة وجسمية ـ بسيطاً كان الجسم أو مركباً ـ و(١٢)نفسية وقلبية وروحانية وعقلية. وأعلاها الحياة الذاتية التي هي عين الذات في الأحدية وغيرها في الواحدية التي هي المرتبة الاسمائية(١٣). ولاشك أن حياة الجوهر العقلي ليست من جنس الحياة الحسية. وأدنى مرتبة الحياة هي(١٤) الحياة الحسية، فاطلاق الحياة على مراتبها الأعلى أولى من اطلاقها على مرتبتها الأدنى، ثم على الأقرب منها(١٥). فالأقرب، وحياة الروح المطهر والقلب(١٦) المنور ليست الاّ بالعلم اليقيني والشهود الحقيقي. لذلك يعد الكافرون امواتاً مع أنهم أحياء بالحياة الحسية. كما قال تعالى «انك لا تسمع الموتى»(١٧) «وما أنت بمسمع من في القبور»(١٨)؛ وقال فيهم «صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون»(١٩) فسلب منهم السمع والبصر والنطق مع وجود هذه القوى الحسية لهم، لعدم اعتبارها مع وجود الجهل والشرك وانكار الحق.

١- هو : ن ، ٢- اللطيف : ب ، ٣- ساقطة في ن، ٤- المكاشفة: ب ، ٥- السيلاني : ب، ٦- من : ب ، ٧- حيوان : ب ، ٨- الحشر: ٩٥، ٩- الاسراء: ٤٤، ١٠- حصل :ن ، ١١- عد: ب ، ١٢- او : ب، ١٣- مرتبة الاسماء : ب، ١٤- ساقطة في ب ، ١٥- ساقطة في ب ، ١٦- الغالب النور: ب ، ١٧- النمل : ٨٠ ، ١٨- فاطر : ٢٢، ١٩- البقرة: ١٧١.

فالحياة المعتبرة الحقيقية الباقية، هي الحياة العلمية الحاصلة للعارفين والكمل، التي هي من جنس الحياة الملكوتية والجبروتية، لا الحياة الفانية الدنيوية(١)، لذلك قيل في الياس عليه السلام أنه بقي ستة عشر سنة لم ينم ولم يأكل حتى ناسب الملائكة وخالطهم مع أنها لا يمكن لهذا(٢) البدن العنصري في هذه النشأة الدنيوية ان تكون دائمة بحيث لا يموت الشخص أبداً، لعدم الاعتدال الحقيقي في هذه النشأة الدنيوية، ولوجوده في هذه النشأة الأخروية(٣) يكون الشخص أبدياً دائماً. وكون عيسى عليه السلام حياً في السماء انما هو بالبدن الأخروي. ولذلك قال: «فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد»(٤) وليس هذا موضع تحقيقه والاشارة كافية لأهل الاستبصار. والله الحي الباقي وما سواه الميت الفاني.

المقدمة الثالثة في تحقيق الظلمات

إعلم أن النور والظلمة ضدان. والنور هو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره والظلمة ما تقابله. فهو(٥) الخفي بنفسه والمخفي لغيره. والنور الحقيقي ومنبع جميع الأنوار هو الذات الالهية التي منها النور العلمي والوجود الكوني اللذين بهما تظهر الموجودات العلمية والعينية(٦). قال تعالى: «الله نور السموات والارض»(٧) الآية. ولكلّ ما يطلق عليه اسم الغير والسوى ـ على حسب اتصافه بالامكان واحتجابه من نور الرحمن ـ ظلمة لازمة لذاته بها يتميز عن النور المطلق وهي الظلمة الامكانية التي اشار اليها رسول الله بقوله: «ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضلّ وغوى).(٨) ونورية ذاتية وجودية محتجبة بها، لذلك قال تعالى: «مثل نوره كمشكوة فيها مصباح»(٩) اشارة الى مراتب النور الذي في غيره من الموجودات. اذ للمصباح نورية وللزجاجة نورية، ولذلك شبهها بالكواكب الدري(١٠) النوراني(١١) ثم قال: «يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار»(١٢) وذلك للنورية التي فيه. ثم صرّح بقوله: «نور على نور»(١٣) ولما كان الفرع دليلاً على اصله هادياً اليه قال: «يهدي الله لنوره من يشآء»(١٤).

١- الديناوية : ن ، ٢- هذا : ب، ٣- الاخراوية: ن، ٤- المائدة : ١١٧ ، ٥- فهي :ب ، ٦- الغيبية: ب ، ٧-النور: ٣٥ ، ٨- ابن العربي : الفتوحات ، ف ١٥٦و ج ١٢، ص ٢١٥، ٩- النور: ٣٥ ، ١٠- ساقطة في ب ، ١١- النوري : ب ، ١٢- النور : ٣٥، ١٣- النور، ١٤- النور: ٣٥.

وكلما قلت الوجوه الامكانية فيه تقل ظلمته وتكثر نوريته، كالصف الاول من العقول النورية والملائكية المهيمة من اهل الجبروت؛ ثم الاقرب فالأقرب، كصفوف النفوس الناطقة المجردة والنفوس المنطبعة وتوابعها من أهل الملكوت. وكلما كثرت الوجوه الامكانية فيه قلّت نوريته وكثرت ظلمته، كالأجسام. ولذلك قال رسول اللّه صلعم: «إن للّه سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه».(١)

قسم الحجب بالنورانية والظلمانية. ولما قلت ظلمات الروحانيات العلوية بحيث لا تدرك لقربها من مبدعها، قيل انها حجب نورانية، وخصّص الظلمانية بالأجسام. فللظلمات مراتب كمراتب النور، ألا ترى أن الارض المقابلة للشمس كيف تتنور(٢) بالشعاع؛ ثم التي تليها بالانعكاس، ولا تزال تنعكس الى ان تضعف النورية وتقل بحيث لا يحس بها، فتحصل الظلمة القوية(٣) المقابلة للنور(٤) الذي في جرم الشمس.

فكما كانت الأنوار عقلية وروحانية ومعنوية وجسمانية، كذلك الظلمات عقلية وروحانية ومعنوية وجسمانية. الأولى كظلمة العقل المشوب بالوهم المقابلة لنور العقل المنور بالنور الالهي(٥). والثانية كظلمة الأرواح الفاسقة في الهياكل المظلمة الكدرة غير القابلة للتنور(٦) كأرواح المشركين والكفرة في مقابلة نور الأرواح القدسية المجردة عن التعلقات والكدورات الإنسانية. والثالثة كظلمة الشرك والكفر والمعاصي المقابلة لنور التوحيد والايمان والاعمال الصالحة. والرابعة كظلمة الارض الساترة للأشياء المقابلة لنور الاجرام النيرة كالشمس والقمر وباقي الكواكب.

فأعلى مراتب الظلمات ظلمة(٧) العقول الكدرة والأرواح المشركة والكافرة. ثم الظلمات المعنوية. ثم الظلمات الجسمانية. لذلك قال رسول اللّه صلى عليه وسلم في صفة(٨) نار الدنيا(٩): «انها غسلت سبعين مرة ثم أنزلت الى الدنيا» وفيه اشارة الى أن النار الروحانية الأخراوية أشد تأثيراً وأقوى احراقاً من هذه النار بما(١٠) لا يقاس. فكذلك الظلمات الروحانية، أقوى حجاباً وأشد واعظم(١١) خفآء من هذه الظلمة الجسمانية.

١- الترمذي : ايمان ، ١٨، ٢- تتنوع: ب ، ٣- ساقطة في ب ، ٤- القابلة: ب ، ٥- بالانوار الالهية: ب ، ٦- للنور : ب ، ٧- ظلمات : ب ، ٨- ساقطة في ن ، ٩- ساقطة في ب ، ١٠- مما : ب، ١١- ساقطة في ن .

والظلمة المحسوسة ظل الارض، وهي الظلمة المتشكلة بشكل المخروط قاعدته(١) على الارض ورأسه أعلى من فلك القمر. ولا يزال قريباً من نصف(٢) الارض ظلماني، لعدم وصول نور الشمس اليه، ونصف آخر منها أو أكثر من النصف نوراني لمقابلته بالشمس. لكن لا تدوم الظلمة ولا النور في كل من النصفين للحركة اليومية التي للفلك الأطلس، المحرك لفلك الشمس، المحيط بالارض. وانما قلنا أو اكثر من النصف، لأن في علم الأجرام والابعاد مبين ان كرة الشمس مائة واربعة وستون وشئ مثل كرة الارض. واذا كان الأمر كذلك، يكون اكثر من النصف مقابلاً لشمس، فيتنور؛ ولا يكون شئ من الارض بحيث لا يصل النور اليه يعم في بعض المواضع، وهو ما كان تحت القطب الشمالي الذي لمعدل(٣) النهار يكون مدار الشمس رحوياً ويكون نهاره ستة أشهر وليله(٤) ستة أشهر. لأن ثلاثة أشهر تكون الشمس في الارتفاع الى أن تصل الى غاية الميل وثلاثة أشهر في الانحطاط الى أن تغيب الشمس، ولا تزال تكون في الانحطاط ثلاثة اشهر اخرى الى ان تصل الى البعد الكلي المقابل للآخر. ثم ترجع الى أن تصل الى الأفق. وقلّ أن يوجد حيوان في ذلك الموضع، لغاية الحرارة بالنهار وغاية البرودة بالليل. وما يقابل القطب الجنوبي من الارض منغمس(٥) في الماء لا يشاهد فيه الظلمة، فما يكون تحت القطب الشمالي لا تدوم ظلمته. وقد يكون(٦) في بعض المواضع الغربية من البحر من كثرة الأبخرة المتصاعدة منه الضباب في اكثر الأوقات، فتقبل نورية الشمس فيه؛ لكن لا تكون ظلمة محضة، كمايتصور من لا علم له بهذا المعنى. واللّه أعلم بالصواب.

المقدمة الرابعة في كيفية السلوك فيها

لما تبين أن الظلمات التي(٧) سلك فيها، ليست من جنس الظلمات المحسوسة، تعين أن المراد بها الظلمات الروحانية والمعنوية، وهي الظلمات الموجودات الكونية التي باطنها وحقيقتها تنتهي الى النفس الرحماني الذي هو ينبوع ماء الحياة، الشارب منه لا يظمأ ابدا ولا يعطش سرمداً ويبقى حيّ الدارين وسعيد العالمين، وذلك المآت مع كلّ احد؛ والمحجوب غافل عنها. قال الشيخ المحقق اوحد الدين قدس اللّه سره في بعض اشعاره بالفارسية:

١- قاعله : ن ، ٢- فنصف : ب ، ٣- معدل :ب ، ٤- ساقطة في ب ، ٥- منعمس : ن ، ٦- ساقطة في ب ، ٧- وان:ب.

اي دل سخن سر معاني باتست وآن چيز كي چونيدهء آني باتست
در ياب كي اندر ظلمات تن خويش مي ميرى وآب زندكاني باتست

والوصول اليه ذوقاً ووجدانا، لا يمكن الأ بطريق الفنآء الرافع للتقيد والتعين الموجب للاتصاف بالغيرية والإتسام بسمة الكونية؛ وذلك بقطع المنازل والمقامات الكلية المُبينة في علم السلوك.

ولنذكر اصول المقامات اجمالاً بحيث لا يفوت شئ منها عن الناظر فيها. فنقول: السالك اما مبتدئ او متوسط او منتهي(١) كامل. والممتدئ يسلك في منازل النفس. والمتوسط في منازل القلب. والمنتهى في منازل الروح. وليس شئ آخر يحتاج السالك اليه في قطع المقامات ورفع الحجب عن ذاته، الآ تفاصيل هذه المراتب الثلاث. فهذه الثلاثة أصول مقامات السلوك كلها.

فسلوك المبتدئ أولا بالانتباه واليقظة. ثم التوبة عن المعاصي. ثم الإنابة الى الله بالاتيان بالطاعات. ثم الورع والزهد والتقوى وامتثال ذلك. فاذا حصل في القلب الارادة والتوكل والرضا والتسليم والتفويض والخشية والخشوع والخضوع، كمل الفناء عن مقام النفس، وهو الفناء في الأفعال، فلاحت بوارق الصفات الالهية وتنور القلب بها، فحصلت المعاينة والمكاشفة والمشاهدة والمعرفة واليقين، وامثال هذه المقامات. وتم بها الفناء في الافعال لإنقلاع عروق الصفات النفسانية(٢) الكامنة في ارض النفس منها حينئذ. ثم اذا ذاقت النفس القدسية الطالبة لمبدعها شيئاً من أنوار المعشوق الحقيقي، وظهرت أنوار جمال الذات. فحصل منها(٣) الشوق والاشتياق والوجد والسكر والذوق والعشق والمحبة الموجبة لفنآء صفات المحب في صفات محبوبه. حصل الفنآء القلبي وهو الفنآء في الصفات. ثم اذا تجلت الذات بالوجد والقهر المفنيي للغيرية(٤) والاثنينية، وافنى المحب فنآء كلياً وتلاشى المحب في عين المحبوب(٥) بظهور(٦) الحق بالاحدية الذاتية حصل الفنآء الروحاني، وهو الفنآء في الذات. ثم اذا فنيت رؤية الفنآء ايضاً بالكلية وانقطع اثر الغيرية بالاصالة، ظهرت الذات الالهية متجلية منادية: «لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار»(٧) وحصلت القيامة الكبرى للسالك. ثم اذا اوجده بالوجود الباقي الحقاني ثانياً، فظهر حشره ونشره، ثم بعثه مرة

١- منته : ن ، ٢-النفسية: ن ، ٣- ساقطة في ب ، ٤- للغير: ن، ٥- المحب : ب ، ٦- لظهور: ب ، ٧- غافر : ١٦.

اخرى بقي حي الدارين. لا يطرأ عليه الموت ويأمن في جميع مطالبه من الفوت؛ فله الظهور في كل العوالم الروحانية والمثالية والجسمانية وله ان يظهر في اماكن مختلفة ومواطن متعددة في آن واحد. واذا عرفت هذه المقدمات، ارتفعت الموانع من الشكوك والشبهات.

المقصود: احوال الخضر

فنقول: الخضر عليه السلام هو صاحب النفس القدسيّة الذي سلك في عالم ظلمات الاكوان التي هي الارض بالنسبة الى سماء الذات واسمائها وصفاتها. وفاز بماء الحياة الحقيقية الذي هو العلم اللدنّي، كما قال تعالى: «وآتيناه من لدنا علما»(١) فهو من حيث انه يخبر عن الذات الالهية والمعاني الغيبية بالامر الالهي الدال عليه قوله تعالى «وما فعلته عن أمري»(٢) اي قتل الغلام وخرق السفينة واقامة الجدار وجميع ما فعله.

انما هو بالأمر الالهي نبي؛ لكن ليس له نبوة شرعية. ولا يلزم من عدم النبوة الشرعية(٣) عدم نبوته، اذ لا يلزم من نفي الخاص نفي العام. ومن حيث انه تابع في الاحكام الظاهرة للنبي المشرع فهو كباقي انبياء بني اسرائيل الذين كانوا تحت حيطة نبوة موسى عليه السلام، فهو من حيث الظاهر تابع لما يأمره المشرع وان كان من حيث الباطن آخذ من اللّه ما يأخذه النبي المشرع منه تعالى(٤).

وأما كونه موجود دائما، فهو من حيث أنه وصل الى عين الوجود الحقيقي وتبدلت جسميته بالجسم الملكوتي النوري او بالجسم العنصري الأخروي، المطهر عن القاذورات البشرية المستوي على ما تقتضيه(٥) الدار الآخرة من غاية اللطافة، كما نطقت الأحاديث الصحيحة بها، ودلّ الكلام المجيد عليها، فلم يقبل الموت والفناء. واتصف(٦) بالقدرة التامة في الظهور والخفاء(٧) في جميع العالم الروحانية الجبروتية والملكوتية والمثالية والحسية في آن واحد بصور مختلفة واشكال متعددة. ولا نفاذ ما اراد اللّه من ظهوره، من انقاذ الغرقى، وانجاء الهلكى، وتكميل الناقصين وارشاد الطالبين، وهداية الضالين في الطرق المعنوية والسُبل الحسية(٨).

١- الكهف: ٦٥، ٢- الكهف: ٨٢، ٣- نبوة شرعية: ب، ٤- يقال: ب، ٥- يقتضي: ب، ٦- والصفة: ب، ٧- ساقطة في ن، ٨- الحسنية: ن.

فليس كونه موجوداً من حيث بدنه العصري الدنياوي المحتاج الى البول والغائط والمخاط وغير(١) ذلك من النقائص البشرية والداعي باجزائه المتضادة والطبايع المتقابلة الى انفكاك الأجزاء وخراب البدن دائماً. وشهود بعض الصالحين اياه في بعض الأوقات بصورة لا توجب ان يكون ذلك مع البدن العنصري. فان الملائكة والكمل يظهرون بالصورة الحسية المثالية في جميع العوالم، كما كان يظهر جبرائيل عليه السلام بصورة دحية الكلبي وبصورة أخرى، كما تمثل بمريم عليها السلام؛ قال الله تعالى: «فتمثل لها بشراً سوياً».(٢)

فالخضر عليه السلام لإتصافه بهذه الصفة يظهر في الصور المثالية والحسية، فيشاهده العارف ويعرف ما يشاهده. ويعرف ان ذلك الشهود في اي حضرة من الحضرات؛ وغير العارف يظن انه موجود بالبدن العنصري الذي كان له اولاً، حتى ظن بعض الصالحين الذين يشاهدون الصور المثالية لما يشاهده على ما عقده انه في خمس مائة سنة تذهب اسنانه وتخرج له اسنان آخر. وقد تبين ذلك في بعض مشاهدته وبعد ان تقرر هذا. فليعلم ان هذا مختصا بشخص اخر واحد، بل كل من سلك هذا السلوك و وصل الى عين الكمل، ويتجلى له الحق ذو الجلال والكمال، فهو شارب ماء الحياة في عين الظلمات، حي ابدي، موجود سرمدي خضري، المشارب عيسوي للشهود من حيث احياء النفوس الناقصة، الميتة بالجهل عن تكميله وارشاده اياه الى الكمال، المظل بالاحياء المعنوي، المحق من حيث الاحياء الحسي لمن مات بالموت الطبيعي، ايضاً كأخبار أبي يزيد قدس الله سره للنملة بالنفخ.

ولما كان هذا المعنى المظهر عليه بشهادة الحق له ذلك بقوله تعالى: «وعلمناه من لدنا علماً»(٣) كان(٤) غير منتسباً اليه في تلك الصفة. قال الشيخ المحقق اوحد الدين رحمة الله عليه:

شمس وقمر وبدر معاني مايم،
مقصود نرسر كن فكاني مايم

چون ظلماد اب كل مكذا شيتم،
هم خضر واب از مكاني مايم.

***

١- عين : ب ، ٢- مريم: ١٧ ، ٣- الكهف : ٦٥ ، ٤- كأن : ب .

لا يعرف حقيقة ما قلناه اليه، ولا ينكشف هذا المعنى يقيناً لديه إلاّ من بلغ مجرى بحر الباطن والظاهر كلياً. وهو التوحيد الذاتي الذي يجمعهما. واتخذ خرق قلبه في بحر ربه سرياً. وقتل غلام النفس الأمارة ابقاء لحياة الوالدين الذين هما الروح والقلب. وخرق سفينة البدن في الإرتياض والمجاهدة واقام جدار التوحيد الذي يحفه كنز العلوم والمعارف الخزونة لينمي الروح والقلب ويتمهما بأقوالهما في بقعة الإمكان واحتجابهما وبعدهما عن حضرة الرحمن.

فانه اذا كان في النسخة الصغيرة الانسانية العلم الذوق والعرفان كان العلم بما في النسخة الكبيرة ايضاً بالذوق والوجدان لتطابق النسختين وتوافق العالمين.

وما يقال من ان اسكندر طلب ولم يفز، فهو كمن سلك ولم يسعفه(١) استعداده بالوصول الحقيقي؛ فلم يصل. اذ ليس كل من طلب وجد . ولا كل من وجد، عرف موجوده. ولا كل من عرف موجوده ، عرف قدره. فرحم اللّه عبداً عرف قدره ولم يتعدّ طوره.

جعلنا اللهُ من الشاربين لماء الحياة الخارجين الى النور من(٢) الظلمات، الفائزين بمقام الكمال الفانين عن انفسهم(٣) والباقين بالكبير المتعال.

وهذا آخر ما اردنا بيانه. والحمد للّه رب العالمين وصلوة على خير خلقه ومظهر حقه محمد آله وصحبه الطيبين الطاهرين اجمعين وسلم سلاماً كثيراً.

قد تمت

***

١- يف : ب ، ٢- إلى : ب ، ٣- نفس : ن.

شرح تأويلات البسملة
بالصورة النوعية الانسانية

شرح تأويلات البسملة بالصورة النوعية الانسانية

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم

الحمد للّه الذي خلق الانسان على صورته، وكرمه تكريماً، واستجد(١) له الملائكة كلهم، وعظمه تعظيماً، وتجلى له بذاته وجميع اسمائه وصفاته ليكون به عليما، وعلمه حقائق الاسماء والصفات ولوزامها تعليماً، وجعله روح العالم ليتممه تتميماً، ونص بخلافته في ارضه، وقدمه تقديما.

وصلى اللّه على من كان بالمؤمنين رؤوفاً(٢) رحيماً، وداعياً الى سبيل ربه بالحكمة عليماً حكيماً، وعلى آله واصحابه المنعمين بنعم الأخرة تنعيماً، الذين اقامهم اللّه مقاماً كريماً.

وبعد:

يقول العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف داود بن محمود بن محمد الرومي القيصري، انج الله مقاصده في الدارين، وجعله من الفائزين بالحسنتين، لما سعدت بخدمة مولانا الأعظم، ملك علمآء العالم، صاحب علوم الوراثة والدارسة، مبين طرق الحقائق، مكمل نفوس الخلائق، سلطان الموحودين، برهان المحققين، قطب العارفين، كمال الملة والحق(٣) والدين،عبد الرزاق بن جمال الدين ابي الغنائم القاشاني، ادام اللّه ظلال جلاله على الطالبين وانارانوار جماله قلوب المستبصرين، وقرأت عليه ما صنفه من كتاب ***«تأويلات القرآن الكريم»***، وعلمت ما اشار اليه من أسرار العزيز الحكيم، وكان قد اول قوله بسم اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ بالصورة النوعية الانسانية الكاملة الجامعة(٤) للرحمة العامة والخاصة ابدا بصعب لمن قل علمه بالحقائق وانحجب عن ادراك الحق المستتر في حجب صور الخلائق. وبذلك طالت(٥) السنة المحجوبين بالطعن فيه واشتاقت قلوب المحبوبين بادراك خوافيه.

١- استحد: أ ، ٢- ساقطة في ف ، ٣- ساقطة في ف، ٤- الجامعة: أ، ٥-طالة: أ.

اشار الى مولانا الأمام العالم، الفاضل الكامل، مفتى الفريقين، امام المذهبين، اقضى(١) القضاة في العالمين، فلان(٢) الدين، ادام اللّه فضائله ان ابسط معناه وابين فحواه ليتضح على الطالبين أسراره(٣) وللمسترشدين انواره ويتهدي بالحق من كان موفقاً(٤) ويعلم ما تحته من الحقايق محققاً.

وكنت محكوماً لأمره ومنقاداً لحكمه، فامتثلت أمره مع قلة البضاعة في علم التحقيق وكثرة الاشتغال والموانع من الشروع في مقام التدقيق، وبينت ما يسرّ اللّه في هذا الكلام والهمني الملك العلام. وقدمت قبل الشروع في المقصود مقدمات تحل معاقده بعقائدها ويتفطن(٥) السالك بمقاصد كثيرة وفوائده. اسأل اللّه تمام الأنعام وان يجعله مقبول نظر العلماء الكرام. وباللّه استعين وعليه التكلان الى يوم القيامة(٦).

المقدمة الأولى

اعلم ان لكل شئ عيناً ثابتاً في العلم الألهي، لأن الذات الالهية(٧) عالمة بذاتها لذاتها وبجميع لوازمها من الصفات والاسماء والأعيان الخارجية والعلمية «فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء، وهو السميع العليم»(٨).

ولكل شئ صورة في علمه تعالى، هي مظهر صفة من صفاته وتجل من تجلياته. وتلك الصورة العلمية المتعينة، لا بداية لها ولا نهاية لها، والاّ يلزم عدم العدم، العلم بها وبما هي صورة لها من الصفات حيناً من الأحيان، المحققة او المقدرة، فهي ازلية وابدية، ولها مظاهر في عوالم الجبروت والملكوت والملك. وبعضها ايضاً مظهر لبعض، كما ان البدن الأنساني مظهر لبدنه المثالي الحاصل في العالم المثالي(٩). وهو مظهر للصورة النفسية المتعلقة بالبدن، وهي مظهر للصورة الروحية المجردة، وهي مظهر للصورة الغيبية الثابتة في علم الحق.

ولما كان كل من تلك الصور العلمية الغيبية تجليات خاصاً، كان كل منها نوعاً من انواع تجليات الوجود، فهي الصور النوعية الحقيقية الثابتة في علمه تعالى، الظاهرة بتجلياته(١٠) الوجودي واسمه النوري الذي هو الوجود الخارجي في(١١) عالم

١- اقصى: أ ، ٢- كذا في الاصول، ٣- ساقطة في أ ، ٤- موفا: أ ، ٥- يتفطى : ف، ٦- القيام : أ ، ٧- الالهى : ف ، ٨- سباء : ٣ ، ٩- الثاني: أ ، ١٠- بتجليه: أ، ١١- ساقطة في أ.

الجبروت والملكوت والملك، الذي هو الشهادة المطلقة. فتنوعت الصور في هذه العوالم لتنوع اصولها التي هي الصور العلمية. واخر مراتب الصور النوعية، الصور الحسية التي للموجودات، كما ان أولها الصور العلمية التي هي حقائقها. وما يقال بأنها عبارة عما هو مبدأ للآثار المختصة بالنوع، وهو النفس المدبر لمتعلقه. فهو ايضاً من جملة مظاهر الصور العلمية. فالصور العلمية صور(١) للصور العينية كلها. فعرفت ما اراد الشيخ الكامل عبد الرزاق القاشاني بالصورة النوعية في تأويله. والله اعلم بالحقائق.

المقدمة الثانية

لابد ان يعلم ان الأعيان الثابتة في الحضرة(٢) العلمية ليست إلاّ وجودات خاصة. وذلك لأن حقيقة الوجود، هي التي تتجلى في مرتبة من مراتبها العينية الثابتة بصفة من الصفات. و يظهر بالصورة العلمية، فيسمى بالعين الثابتة ألا ترى(٣) انك اذا علمت شيئاً ما ليس في ذهنك إلاّ الصورة(٤) الذهنية وهي عين(٥) الوجود الذهني المتعين، مع انها عين ذلك الشئ الظاهر في الخارج بصورة مطابقة لمقابلة من حيث الحقيقة، وان كانت غيره من حيث الصورة(٦) كالصورة (٧) المرئية في المرآة(٨) فأنها في صورة الناظر فيها بلاشك. فهي عينه باعتبار وغيره باعتبار اخر. وليس فيها ذات مغايرة للصورة، ولا وجود يغايرها، بل هي عين وجودها الباقي ببقآء المقابل المنعدم بانعدام التقابل بينهما؛ بل اذا حققت الأمر وامعنت النظر. وجدت الأعيان الخارجية ايضاً عين حقيقة الوجود، تعينت، فصارت ذاتاً من الذوات. فعرض لها ظهور في الخارج، والكون الخارجي. وذلك لأنها تتعين بالصفة القيومية وتصير جوهراً. فيكثر بالأعراض المتكثرة وتصير جواهراً مختلفة، عقولاً ونفوساً واجساماً(٩) فتظهر لك ان حقائق الاشياء كلها راجعة الى حقيقة واحدة. هي مقومها ومبدعها وكثرتها مستهلكه في وحدة حقيقتها، فتظفر(١٠) بالسعادة العظمى والمغفرة الكبرى و(١١) تسعد في الدارين وتحمد في العالمين. رزقنا الله واياكم.

١- اصول : ف ، ٢- الحضرت : أ ، ٣- يرى : ف ، ٤- الصور: أ ، ٥- العين: أ ، ٦- التعين : أ ، ٧- كالصور: أ ، ٨- المرآت: ف، ٩- اجناسا: ف ، ١٠- فتظفي: أ ، ١١- ساقطة في أ

المقدمة الثالثة

الوجود من حيث هو هو، اي لا بشرط شئ هو الحق الذي هو غيب الغيوب وحقيقة الحقائق. اذ هو الذي تحقق كل شئ في العلم والعين، وبه كمالاتها كالحياة والعلم والإرادة وغير ذلك. والمحيط بكل شئ. والحيّ الذي يحيي به كل حيّ. والصمد الذي به يتقوم الكل. واليه يستند الفرع والاصل. وهو النور الحقيقي، المنور للسموات والارض، المظهر للحقائق والاعيان(١)، الموجد للعوالم والأكوان. فهو اللّه الرحيم الرحمن، وله الاسماء الحسنى والصفات العليا. قال اللّه تعالى: «اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد»(٢) وقد بينا هذا المطلوب(٣) في مقدمات **شرح الفصوص**؛ فليطلب هناك اذ المقام لا يحتمل اكثر من ذلك.

المقدمة الرابعة

قال اللّه تعالى: «وللّه الاسماء الحسنى فادعوه بها»(٤) وقال: «قل ادعوا اللّه او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى»(٥) والاسم ذات مع الصفة فأن العليم، ذات لها العلم. والحكيم، ذات لها(٦) الحكمة وكذلك البواقي.

وللوجود مراتب اربعة، وذلك لأن الهوية الوجودية متجلية في الأذهان والاعيان والكتابة والعبارة .وما في العبارة من الألفاظ مظاهر لما في الحضرة(٧) العينية من الأعيان، وهي مظاهر لما في الحضرة(٨) العلمية من الصور الغيبية، كما ما في الكتابة من النقوش مظاهر لما في العبارة من الألفاظ، كما ان ما في العبارة من الأسماء المتداولة مظاهر للأسماء الوجودية العينية التي هي مظاهر الاسماء الغيبية العلمية.

وانما اطلق الاسم على الأعيان، لان الاسم من السمة، وهي العلامة التي بها يعلم الشئ. وبالأعيان يعلم وجود الحق وأسماؤه وصفاته، اذ وجودها يدل على وجود مبدعها(٩) وكمالاتها دالة على كمالات خالقها. ووحدة كل منها دليل على وحدة ربها كما قيل شعر:

ففي كل شئ له آية تدل على انه واحد

١- الانواع: أ ، ٢- فصلت: ٥٣ ، ٣- الموطن: أ ، ٤- الاعراف : ١٨٠ ، ٥- الاسراء: ١١٠ ، ٦- له: ف ، ٧- الحضرت: أ ، ٨- الحضرت: أ ، ٩- مبدعة: ف.

فالهوية الالهية الذات الغيبية مع كل من الصفات اللازمة للذات اسم من اسمائه تعالى.

المقدمة الخامسة

الأشخاص من الأنواع كلها، مظاهر للحقائق الثابتة والصور النوعية والكليات الطبيعية مجردة عن المشخصات، لا يمكن ان توجد في الخارج فهي مريا الحقائق وهي مريا اسماء الله تعالى. فيها يظهر وجهه الكريم. وهي عرشه العظيم. وبها يتحقق اسمه الظاهر، كما انه بالمعاني الغيبية والأعيان الثابتة التي هي نسب(١) تعين الحق. الوجود المطلق المسماة عند أهل النظر بالماهية والمعلوم المعدوم والشئ الثابت يتحقق اسمه الباطن. وهو الهادي. واذا علمت هذه المقدمات فلنرجع الى المقصود.

المقصود

فنقول ان اسم الله اسم للذات الاحدية، كما قال: ﴿قل هو الله احد﴾(٢) واسم الذات مع جميع الصفات باعتبار آخر، كما قال: ﴿وهو الواحد القهار﴾(٣) والفرق بين الواحد والأحد، ان الواحد انما هو باعتبار النسب. وذلك لأن الواحد نصف الأثنين وثلث الثلاثة وربع الاربعة. فتلحقه(٤) نسب غير متناهية. والاحد بالنسبة الى الذات فقط. وهو الاسم الأعظم الجامع لجميع الاسماء. لذلك(٥) صار متبوعاً مقدماً على كل الأسماء ولا يتبع غيره.

وكذلك الاسم الرحمن له المرتبة الجامعة لغيرها من الاسماء، وان كان(٦) تحت حيطة الاسم الله. ولذلك قال: ﴿يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن﴾(٧) فلولا اشتماله على المعذب والمنتقم والقهار، لما صدق ذلك، وان كان ظاهر مفهومه ذات له الرحمة. والرحمة الرحمانية هي الرحمة العامة على أهل الدنيا والأخرة، وتشمل المؤمن والكافر والمطيع والعامي كالوجود والرزق وامثالهما.

واسم الرحيم له الحيطة بالكل. ورحمته الرحمة الخصيصة لكل(٨) من الموجودات التي بها ينتهي نهاية أمره. وهي الكمال المناسب(٩) لاستعداد كل منها. ومظهر

١- ساقطة في ف ، ٢- الاخلاص : ١ ، ٣- الرعد: ١٦ ، ٤- فيلحقه: ف ، ٥- ساقطة في أ ، ٦- كانت : أ ، ٧- مريم: ٤٥ ، ٨- بكل : ف ، ٩- المناسبة: ف.

الاسم الله هي الحقيقية الانسانية. اذ كل من الاسماء يطلب مظهراً يظهر به كمالاته وصفاته. وليس في الوجود من يظهر فيه جميع الاسماء والصفات الاّ الانسان. فتعين ان يكون مظهراً لهذا الاسم الظاهر بها. وهي عرشه. لذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «قلب المؤمن عشر اللّه»(١)

ولولا جامعيته ما احاط بمراتب العلويين ودرجاتهم ولا كان في منازل السفليين ودركاتهم، قال اللّه تعالى: «لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين»(٢) لذلك ظهر تارة بالصفات الرحمانية والملكية واخرى بالشيطانية والحيوانية(٣) ومظهر الاسم الرحمن العقل الاول المحيط بكليات الاشياء وقال تعالى: «الرحمن على العرش استوى»(٤) والعرش الروحاني(٥) هو العقل الاول. والعرش الجسماني مظهره في الشهادة، وهوعلم اللّه الذي فيه صور جميع الموجودات اجمالاً ومظهر اسم الرحيم، هو النفس الكلية قلب العالم الكبير، وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين الذي فيه صورة كل شئ. وهو علم اللّه الذي «لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء» مفصلاً.(٦) وان كانا مظهرين لعلم اللّه الذي هو عين ذاته(٧) تعالى بأعتبار والانسان الكريم، لكونه جامعاً لجميع حقائق العالم الكبير اجمالاً وتفصيلاً، كما قيل:

كل الجمال غدا لوجهك مجملاً، لكنه في العالمين مفصل

وهو مشتمل على حقيقة العقل الاول، كما اشار اليه رسول اللّه صلى عليه وسلم، بقوله: «أول ما خلق نوري»(٨) اي روحي. وقلبه عين النفس الكلية. لذلك يحيط بما احاط به العقل والنفس الكلية. فهو لحقيقته(٩) الجامعة لحقائق العالم ومراتب المجردات في (١٠) الجسمانيات وما يتبعها مظهر للأسم الرحيم ولجسم مظهر الاسماء التي مظاهرها عالم الأجسام والمظهر عين الظاهر بأعتبار ظاهرية الحق والوجود المطلق.

وصدق ان حقيقة الانسان المسماة بالصورة النوعية الانسانية، هو اللّه الرحمن الرحيم بأعتبار، وحدة الظاهر والمظهر، وبإعتبار تغايرهما وتمايزها العقلي هي مظهر هذه الاسماء الثلاثة الكلية المحيطة لغيرها من الاسماء، واليه الاشارة في قوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»(١١) فهو الأسم الاعظم الذي كل المظاهر مظهر

١- العجلوني : كشف الخفاء، ج ١ ، ص : ١٠٠، ٢- التين: ٤-٥ ، ٣- الحوانية : أ ، ٤- طه: ٥ ، ٥- الاهنى : أ ، ٦- سبأ : ٣، ٧- خزانته: ف ، ٨- العجلوني : كشف الخفاء ج ١، ص : ٢٦٣، ٩- لحقيقه : أ ، ١٠- ساقطة في ف، ١١-العجلوني : كشف الخفاء ،ج ١، ص : ٢٦٢.

تفاصيله، وكل الاسماء مبديته. ومن عرف ما قدرناه عرف مطلع قوله تعالى: ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون اللّه يد اللّه فوق ايديهم﴾(١)، وسر قوله: ﴿وما رميت اذ رميت ولكن اللّه رمى﴾(٢) وامثال ذلك من الآيات المبينة للتوحيد.

واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل. هذا آخر ما اردنا بيانه. والحمد للّه اولاً واخراً. والصلوة على محمد كاملاً ومكملاً وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

تمّ.

***

١- الفتح: ١٠، ٢- الانفال: ١٧.

الفهارس

داود بن محمود بن محمد الرومي القيصري: ٢٥
عبد الرزاق بن جمال الدين ابي الغنائم القاشاني: ٢٥
فصوص الحكم: ٢٦، ١٠٠، ١١١، ١١٩، ١٣٣، ١٧٦،
محي الملة والحق والدين : ٢٦
الاعيان الثابتة: ٢٧، ٣٧، ٤٧
العالم المثالي: ٢٨
خلافة الحقيقة المحمدية والاقطاب : ٢٧
النبوة والرسالة والولاية: ٢٧
النبوة: ٨٦، ١١٩، ١٨٢
الوجود ، الوجود الخارجي والذهني، الوجود الزائد: ٢٩، ٣٢
الماهيات: ٢٩
مفهوم العدم: ٢٩
عين الوجود : ٣٠
الصفات السلبية: ٣٠
الاول الاخر، الظاهر، الباطن ، الحياة، العلم ، الارادة، القدرة، السمع، البصر: ٣١، ٣٩، ٤٢
الوحدة الاسمائية: ٣١
الوجود العام: ٣٢
عالم الشهادة: ٣٢، ٣٤
عالم الغيب: ٣٢
الوجود الخاص: ٣٣
جوهر: ٣٣
عرض: ٣٣
ممكن: ٣٣
طبيعة الوجود: ٣٤
العارض: ٣٤
عالم المعاني: ٣٤
حقيقة الوجود: ٣٤، ٣٧، ٣٨
العدم: ٣٥
الوجود المطلق: ٣٥
الوجود الممكن: ٣٥
الوجود الحقيقي: ٣٥
الماهية: ٣٥
العدم: ٣٥
ذات الشئ: ٣٥
عرضاً عاماً: ٣٥
الوجودات: ٣٥
المراتب الكلية: ٣٧
جمع الجمع: ٣٧
حقيقة الحقائق ٣٧
العماء: ٣٧
الوحدانية: ٣٧
مقام الجمع: ٣٧
الهوية: ٣٧
رب العقل الاول: ٣٧، ٤٥
لوح القضاء وام الكتاب والقلم الاعلى: ٣٧
رب النفس الكلية: ٣٨
لوح القدر: ٣٨
اللوح المحفوظ: ٣٨

النفس المنطبعة: ٣٨
رب الهيولي الكلية: ٣٨
الموجد والخالق: ٣٨
رب الطبيعيةالكلية:٣٨
رب العقول الكلية والنفوس الناطقة: ٣٨
الروح: ٣٨
روح القدس: ٣٨
القلب: ٣٨
رب عالم الخيال المطلق: ٣٨
رب عالم الملك :٣٨
مرتبة الملك: ٣٨
مرتبة الانسان الكامل: ٣٨
المرتبة العمائية: ٣٨
خليفة الله : ٣٨
المراتب الالهية والربوبية: ٣٨
مرتبة الاسماء : ٣٩
المرتبة الالهية: ٣٩
العلم : ٣٩
شؤونات: ٤٠
تجليات: ٤٠
ايجابية او سلبية: ٤٠
القيومية: ٤٠
القدوسية والسبوحية: ٤٠
النعوت الجمالية: ٤٠
برزخ : ٤١
مفاتيح الغيب: ٤١، ٤٧
الامهات: ٤٢
الاسم الجامع: ٤٢
الاسماء الحسنى: ٤٢
الظهور، البطون: ٤٢
الاولية: ٤٢
الاخرية: ٤٢
اسماء الذات: ٤٢
اسماء الصفات: ٤٢
اسماء الافعال: ٤٢، ٤٣
النور: ٤٢
الوارث: ٤٢
الجلال: ٤٢
الرقيب: ٤٢
الشكور: ٤٢
القهار: ٤٢
الودود: ٤٢
الحليم: ٤٢
العليم: ٤٢
المحي: ٤٢
الشهيد: ٤٢
البصير: ٤٢
الباعث: ٤٢
الحسيب: ٤٢
الحفيظ: ٤٢
الوهاب: ٤٢
المعيد : ٤٢
الهادي: ٤٢
الرشيد: ٤٢
الفتوحات المكية:٤٣، ١٧٧
الفتوحات: ٤٣، ٤٨، ٦٩، ١٧٥

النشأة الدنياوية: ٤٤
طبايع الاعيان: ٤٤
الموجودات الخارجية: ٤٤
الحدوث الذاتي: ٤٥
العناية الالهية: ٤٥
الفيض الالهي، الفيض الاقدس ، الفيض المقدس: ٤٧
الاعيان الممكنة: ٤٩
الاعيان الجوهرية: ٤٩
الباطن: ٤٩
عالم المثال: ٤٩
العرش: ٥٠
الكرسي: ٥٠
الفلك السابع: ٥٠
صور علمية: ٥١
اولية الذات: ٥١
مفاتيح الشهادة: ٥٢
الجمع جهة القابلية: ٥٢
الكشف التام المحمدي ٦٨
ملكوت: ٧٠
الملائكة السماوية: ٧١
موسى ٧٢
الكشف المعنوي: ٧٢
الجبروت: ٧٣
الارواح الملكوتية: ٧٤
الكشف الشهودي: ٧٤
الواردات الرحمانية والملكية والجنية والشيطانية: ٧٤
الاقطاب: ٧٥
ناوستة لاهوتة: ٧٥
عماء العقل: ٧٦
النفوس الناطقة الفلكية: ٧٦
علي بن ابي طالب: ٧٦
التدبرات الالهية في الممكلة الانسانية: ٧٧
خلافة الحقيقة المحمدية : ٧٧
قطب الاقطاب : ٧٧
الحقيقة المحمدية: ٧٧
الاستمداد: ٧٧
رب الارباب: ٧٧
بفاتحة الكتاب:٧٧
القطب: ٧٨
دائرة الوجود: ٧٨
المقام القطبية: ٧٨
نبوة التشريع: ٧٨
الحضرات الخمسة: ٨٠
الروح الاعظم: ٨١
العالم الانساني: ٨١
الروح والقلب والكمية والروح: ٨١
الصدر والعقل والنفس: ٨١
المرتبة القلبية: ٨٢
الحلول والاتحاد: ٨٢
الرسالة: ٨٦
الولاية: ٢٧، ٨٦ ، ١٢١، ١٢٣، ١٨٢
ظهور الاسماء: ٨٦
الحقيقة المحمدية: ٨٧
اولى العزم: ٨٦
مقام الولاية: ٨٨

الكلام النفسي: ٩١
الحنابلة: ٩١
المعتزلة: ٩١
كشف الحجاب عن كلام الارباب: ٩٢
الحقيقة الوجودية: ٩٣
الملائكة المقربين: ٩٦
الارواح المجردة: ٩٦
العالم الجبروت: ٩٦
المقام الجمعي: ٩٧
الحق: ٩٧
الاسم: ٩٧
الامكان: ٩٧
الحدوث: ٩٨
الالوهية: ٩٨
الحضرة الالهية: ٩٨
الكلام المطلق: ٩٩
التوراة: ١٠١
الانجيل: ١٠١
الزبور: ١٠١
موسى: ١٠٢
الهوية الالهية: ١٠٢
المعتزلة: ١٠٢
الاعيان الانسانية: ١٠٢
النفس الرحمانية: ١٠٧
نور الوجود: ١٠٧
مقام التفريد: ١٠٩
السالكين: ١٠٩
الهوية: ١١١
الاحدية: ١١١
الواحدية: ١١١
مقام الجمع: ١١٢
الصحو: ١١٢
المحو: ١١٢
البقاء: ١١٢
الفناء: ١١٢
الوجود الثاني: ١١٢
المكاشفة: ١١٢
المشاهدة: ١١٢
التلوين: ١١٢
التمكين: ١١٢
الاجسام النورية: ١١٦
الاجسام العنصرية: ١١٦
الروح الكلي: ١١٦، ١١٧
العالم المثالي: ١١٧
اهل الوجود: ١٢٠
الدائرة الكلية: ١٢١
مقام القلب: ١٢٥
مقام النفس: ١٢٥
الجمع: ١٢٦
الوجود العيني: ١٢٦
عين الذات الاحدية: ١٢٦
الوجود العلمي: ١٢٦
قرب النوافل: ١٢٨
التوحيد: ١٢٩
توحيد الخواص: ١٢٩
توحيد العوام: ١٢٩

توحيد الافعال: ١٣٠
توحيد الصفات: ١٣٠
توحيد الذات: ١٣٠
التوحيد الاستدلالي: ١٣٠
ختم الخلافة: ١٣٢
عيسى: ١٣٢
ابن القارض المصري: ١٣٠
نظم الدرر: ١٣٠
مقامات العارفين: ١٣٨
الخمرية: ١٣٨
المحبة: ١٣٨
عمرو بن عثمان المكي: ١٤١
مفاتيح الغيب: ١٤٢
اساس الوحدانية ومبنى الفردانية: ١٤٨
الحقيقة: المحمدية: ١٥٣
كتاب كشف الحجاب عن كلام الارباب: ١٥٤
وحدة الحق: ١٥٦
ارباب الكشف: ١٥٦
الوحدة الوحدانية: ١٥٦
الكنز المخفي: ١٥٩
دراية الزمان: ١٦٣
التغير والحدثن: ١٦٣
نهاية البيان في دراية الزمان: ١٦٤
الزمان: ١٦٥
ابي البركات البغدادي: ١٦٥، ١٦٨
ارسطو: ١٦٥، ١٦٦
المقدار الوجودي: ١٧٤
الفلك الاطلس: ١٨٤
اوحد الدين: ١٨٨
القاشاني: ١٩٥
تأويلات: ١٩٥
القرآن الكريم: ١٩٥
النفس الكلية: ٢٠٠

***

Preface

In the history of Islamic civilization towns and cities are the places where historical experience and heritage were developed, consolidated and exibited. When we look at it from this perspective, Kayseri mostly carries the marks of the Seljuk period. Several madrasas (educational institutions), mosques, Turkish baths and tombs make up the historical texture of the city. These buildings which are still in good condition and in use were effective in the establishment of Kayseri and today still effect the modern settlement plans of the city.

Throughout history, in the towns and cities which became centres of culture and civilization, notable personalities are as important as architectural texture to say the least. In our history Kayseri is known as *"Maqarr-i ulema"* (the dwelling place of the learned men). Especially during the Seljuk period, as well as in the Ottoman era and in the present day many scholars, learned men, philosophers and artisans were/are born and bred in Kayseri. Daud al-Quaysari is one of the most famous of them. He, with his vast knowledge and views, was a philosopher and mystic (sufi) of great renown and was very influential during the establishment period of the Ottoman State. He held the position of *Head - Mudarris* in Iznik madraras during their foundation period and was the first *Mufti* of the State during the rule of Orhan Bey, therefore he gained the title o the first *Shaik al-Islam.*

Ibn Arabi's school of thought to which Daud al-Qaysari belonged, has been very influential world-wide as it has been in our history of thought. Daud al-Qaysari's works are not known very well in our present day, but, in fact they are placed among the basic sources of our culture and history of thought.

Despite his fame Daud al-Qaysari is not known well enough by his fellow countrymen and we have planned to publish his works in the fields of philosophy and mysticism (tasavvuf) in Turkish alongside their original text in Arabic. ***Er-Resâil*** is the first fruit of our efforts in this direction.

Furthermore we have planned to hold an international symposium on the subject of "Islamic Thought in Anatolia in the XIII. and XIV. Centuries and Daud al-Qaysari". I firmly believe as a result of this symposium, our history of thought in general, and vital information related to Daud al-Qaysari in particular will be brought to daylight.

I would like to express my gratitude to all those scholars, researchers and colleagues who have contributed to the preparation and printing of this work and I hope and wish these endeavours will be a humble contribution to our cultural heritage.

Assoc.Prof. Dr. Şükrü Karatepe
Mayor of Kayseri

Sunuş

Şehirler milletlerin tarihi tecrübesinin somutlaştığı mekanlardır. Bu açıdan bakıldığında Kayseri, İslâm medeniyeti içinde geçen tarihimizin daha çok Selçuklu döneminin izlerini taşır. Selçuklu döneminden kalma çok sayıda medrese, cami, hamam ve türbe gibi yapılar Kayseri'nin tarihi dokusunu oluşturur. Günümüzde dimdik ayakta duran bu yapılar, şehrin kuruluşunda olduğu kadar, modern yerleşim plânı açısından da hâlâ etkili olmaktadır.

Tarihte önemli kültür ve medeniyet merkezi olmuş şehirlerde büyük kişiliklerin de, en az mimari doku kadar önemli bir yeri vardır. Kayseri, tarihimizde "*Makarr-ı Ülemâ*" (Alimler Yurdu) olarak bilinir. Başta Selçuklular döneminde olmak üzere, Osmanlı döneminde ve günümüzde çok sayıda âlim, düşünür ve sanatçı yetişmiştir. Dâvud el-Kayserî bunların en ünlülerindendir.

Dâvud el-Kayserî bilgi birikimi ve görüşleriyle Osmanlıların kuruluş döneminde etkili olmuş, Dünya çapında tanınan bir feylesof ve mutasavvıftır. İznik medreselerinin kuruluşunda baş müderris, Orhan Bey zamanında devletin ilk müftüsü, dolayısıyla ilk Şeyhülislâm'ı payesini kazanmıştır.

Dâvud el-Kayserî'nin bağlı bulunduğu İbn Arabî düşünce ekolü, gerek kendi düşünce tarihimizde gerekse dünya çapında etkisini duyurmuştur. Dâvud el-Kayserî'nin günümüzde fazla tanınmayan eserleri, kültür ve düşünce tarihimizin temel kaynaklarındandır.

Böylesine ünlü olmasına rağmen, kendi hemşehrilerince bile yeterince bilinmeyen Dâvud el-Kayserî'nin felsefe ve tasavvufla ilgili kitap ve risâlelerini hem özgün Arapça metni, hem de Türkçe çevirisi ile yayımlamayı plânlamış bulunuyoruz. **Er-Resâil** bu uğurdaki gayretlerimizin ilk ürünüdür.

Ayrıca "XII. ve XIV. Yüzyıllarda Anadolu'da İslâm düşüncesi ve Dâvud el-Kayserî" konulu ve uluslararası nitelikte bir bilimsel toplantı gerçekleştirmeyi düşünüyoruz. Bu toplantı sonucunda genel olarak düşünce tarihimiz, özel olarak Dâvud el-Kayserî ile ilgili önemli bilgilerin gün yüzüne çıkacağına inanıyorum.

Kitapların yayına hazırlanması ve basımında emeği geçen tüm yazar ve araştırmacılarımıza, mesai arkadaşlarıma şükranlarımı arz eder, bu çalışmaların kültürümüz ve insanımız için hayırlara vesile olmasını dilerim.

Doç.Dr. Şükrü Karatepe
(Kayseri Büyükşehir Belediye Başkanı)

KAYSERİ BÜYÜKŞEHİR BELEDİYESİ KÜLTÜR YAYINLARI NO: 22
Kayseri Büyükşehir Belediyesi Kültür Müdürlüğü
Tel: (0352) 232 20 40
Fax: (0352) 222 89 59
Dizgi ve Mizanpaj: Dinçer Ajans
Grafik Tasarım ve Teknik Yapım: İnsajans
Matbaa: Eko Matbaası
İstanbul, 1997
ISBN: 975-8046-22-5

Dâvud el-Kayserî

Er-Resâil

Neşre Hazırlayan

Prof.Dr. Mehmet Bayraktar

KAYSERİ 1997

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

Dâvud el-Kayserî

er-Resâil

KAYSERİ BÜYÜKŞEHİR BELEDİYESİ KÜLTÜR YAYINLARI